

مجلة كلية الآداب

مجلة علمية دورية فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب
بجامعة الزاوية العدد الخامس والعشرون الجزء الأول
يونيو 2018 م

رئيس التحرير
د. إبراهيم محمد سليمان

مدير التحرير
د. المختار عثمان العفيف

المراجعة اللغوية: د. قدرى القنوني
المشرف الفني: أ. أشرف الكوني

الهيئة الاستشارية

د. خالد محمد الباعزي
د. أكرم أبوبكر الهوش
د. البشير عبد الحميد مفتاح
د. مختار عمر برطشت
د. مولود علي بربيش
د. محمد الغريباوي

الترقيم الدولي: ISSN 2521-9235

ترسل المراسلات باسم رئيس التحرير – جامعة الزاوية
www.aladab.zu.edu.ly

دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان
الزاوية- شارع عبد المنعم رياض- 0925031603

قواعد النشر

- 1- تنشر مجلة " كلية الآداب " الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدة والدقة والمنهجية، ولم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة الماجستير أو الدكتوراه للباحث.
- 2- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- 3- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، وأن يُشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لا في أسفل الصفحة.
- 4- يجب أن يُقدم البحث مطبوعاً بالحاسوب من نسختين، مرفقاً معهما قرص "CD" يتضمن البحث المطلوب نشره.
- 5- يجب أن يكتب الباحث اسمه، وعنوان البحث، ومكان عمله، ودرجته العلمية في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى من البحث.
- 6- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغة الأجنبية، على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- 7- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية "الماجستير" و"الدكتوراه" التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
- 8- تقبل المجلة نشر الإعلانات، خاصة تلك المتعلقة بالأنشطة العلمية.
- 9- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.
- 10- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط.

المحتويات

الصفحة	اسم الباحث وعنوان البحث	ت
13-1	مكة ومكائنها الدينية والسياسية والاقتصادية قبل الإسلام د. محمد امحمد سالم	1
39-14	النعيم المعنوي لأهل الجنة د.خيرية محمد الجريبي	2
57-40	واقع البحث العلمي في الوطن العربي وتحدياته في ليبيا د.صلاح الدين محمد الشيباني	3
82-58	ايطاليا ... وفكرة احتلال ليبيا د. مصطفى علي هويدي	4
107-83	أثر التجوية الكيماوية في الصخور الجيرية لمنطقة بئر الغنم أ. الرماح المهدي محمد الشاملي	5
119-108	شرح الأجرومية لخالد الأزهري (ت 905هـ) باب الأفعال د. حسن الخرزة	6
146-120	اتجاهات الأساتذة الباحثون نحو نشر بحوثهم العلمية على شبكة الأنترنت د. عبدالعزيز عبدالحميد عامر	7
174-147	مستوى معوقات تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية د. عائشة عثمان لملوم	8
197-175	مسؤولية أوروبا التاريخية عن بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية من أفريقيا إلى أوروبا أ.مفتاح عمر محمد دربل	9

المحتويات

الصفحة	اسم الباحث وعنوان البحث	ت
217-198	دور وسائل الإعلام في ثقافة التسامح والمصالحة د.الصدیق خلیفة الکیلانی	10
245-218	العامل البشري وأثره على مقومات الانتاج الزراعي الليبي د.عمر رمضان طریش	11
280-246	اثر استخدام استراتيجیة العصف الذهنی فی تدیس مقرر القیاس والتقویم لتتمیة التحصیل الدراسی لدى طالبات کلیة التربیة بالزواویة د.مفیده أبوالقاسم علی الرجیبی	12
296-281	السیاسة البریطانیة فی الخلیج العربی (1820 - 1971) أ.عبدالحکیم الطاهر أبوسته	13
348-297	النقد فی الفن التشکلی العربی المعاصر وتفاسیل وتجلیات فی قراءات تحلیلیة لأعمال عینات فنانین عرب معاصرین د.عمران بشنة	14
367-349	الصعوبات التي تواجه طلاب اللغة الإنجلیزیة فی ترجمة حروف الجر الإنجلیزیة إلى اللغة العربیة د. حسن علی محمد البکوش	15

تنويه

إن تقديم البحوث المنشورة أو تأخيرها في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة، لكن متطلبات التنسيق الفني هي التي تتحكم في هذا الترتيب

مكة ومكانتها الدينية والسياسية والاقتصادية قبل الإسلام

د. محمد امحمد سالم

كلية الآداب - الأصابعة - جامعة غريان

مكة المكرمة مدينة شرفها الله على سائر مدن الدنيا بوجود البيت الحرام بها، وهو أول بيت وُضع في الأرض لعبادة الله، وكان علماء الأمة قد اختلفوا في أمر البيت، فبعضهم أسند إلى سيدنا علي ابن أبي طالب -كرم الله وجهه- قوله إن أول بيت وضع هو الذي ببكة، وأن البركة في مقام إبراهيم، فمن دخله كان آمناً. وقال ابن جرير قال بعضهم إن الله خلق الأرضين، ودحيت الأرض من تحتها، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص إن الله خلق البيت قبل الأرض بألفي سنة، وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء، ثم دحيت الأرض من تحته⁽¹⁾.

وقد وردت في فضل مكة بعض الأحاديث منها: قول رسول الله: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أُخرجت منك ما خرجت"⁽²⁾. وقوله - صلى الله عليه وسلم -: "ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، ولولا أن قومي أُخرجوني منك ما سكنت غيرك"⁽³⁾.

ومدينة مكة تقع في غرب شبه الجزيرة العربية في قلب الحجاز، بين خطي 91-52° شمالاً، وخط 46-49-39 شرقاً، وهي قريبة من شاطئ البحر الأحمر في واد غير ذي زرع، يشرف عليه جبل أبو قبيس، الذي كان يسمّى بالأخشب (الجبل الغليظ) الشرقي، وقيقعان الذي يسمّى بالأخشب الغربي⁽⁴⁾. وموقعها المنخفض جعلها تتعرض لمياه السيول التي تنحدر من التلال المجاورة أثناء سقوط الأمطار.

وتتكون طبيعة منطقة مكة من صخور قديمة، تتمثل في جبالها وأوديتها التي تتبع في تكويناتها حركة التصدّع والانكسارات التي مرّت بها المنطقة خلال الأزمنة الجيولوجية القديمة، وهذه الأودية تغطى بالحصى والرمل. أمّا مناخها فهو متأثر بمناخ البحر الأبيض المتوسط، والمناخ الموسمي فضلاً عن تأثرها بالبحر الأحمر.

أمّا درجات الحرارة فترتفع في الصيف، وتكون دافئة في الشتاء، والأمطار قليلة، وأحياناً تكون نادرة، وتهب على هذه المنطقة الرياح الشمالية الغربية في الشتاء، والشمالية الشرقية الجافة في الصيف⁽⁵⁾، ونتيجة لمناخها الحار كان العرب يتخذونها مشى لهم، قال الشاعر⁽⁶⁾:

تشتو بمكة نعمة ... ومصيفها بالطائف

أسمائها:

ذكر المفسرون والمؤرخون عدة أسماء لمكة قاربت الخمسين اسماً، بعضها ورد في القرآن الكريم، وبعضها الآخر لم يرد فيه. وكان من أهم أسمائها مكة، وهو الاسم الأشهر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾⁽⁷⁾. وقيل سُميت مكة بمكة؛ لأنها تمك أعناق الجابرة، أي تذهب نخوتهم وتذلهم، أو سُميت بذلك لأنه ليس لأحد أن يفجر فيها، ومن يفعل ذلك تلوى أو تدك عنقه⁽⁸⁾. كما ورد ذكر اسم بكة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽⁹⁾. وقيل إنَّ الفرق بين مكة وبكة أنَّ الأول اسم المدينة، والثاني اسم البيت، وقيل إنَّ الباء جاءت بدلاً من الميم من قولهم ضربة لازب ولازم⁽¹⁰⁾ وعلى هذا القول يكون اسم مكة وبكة اسم واحد. كما سماها الله باسم البلد، قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾⁽¹¹⁾، وقال: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾⁽¹²⁾، وسماها أم القرى، وهو اسم يدل على تجمع الناس فيها، من قولهم قريت الماء في الحوض إذا جمعته فيه، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾⁽¹³⁾. وسُميت أيضاً البلد الحرام، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾⁽¹⁴⁾. ويوجد بمكة البيت الحرام، وهو الكعبة، قال الشاعر⁽¹⁵⁾:

أراها الله رأي العين عبداً ... شديد الشوق للبلد الحرام

فيشفي سقمه بطواف بيت ... كريم عند زمزم والمقام

وسُميت الكعبة بهذا الاسم؛ لارتفاعها وتربعها، وكانت العرب تُسمي كل بيت مرتفع كعبة، كما تسمى الكعبة بالبيت العتيق، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ

وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ⁽¹⁶⁾. وقد سُمِّيَت بالببيت العتيق؛ لأنه عتق من الجابرة. وهناك أسماء أخرى لمكة ذكرها أهل الأخبار نذكر منها: الرأس و القادس لأنها تقدّس من الذنوب أي تتطهّر منها، والباسة؛ لأنها تبس أو تحطّم الملحدّين، وكوثي على اسم بقعة كانت تنزل بها بني عبد الدار، كما كانت تسمّى الحاطمة والحرم وصلاح ومعاذ⁽¹⁷⁾ والمكتمان والنابية وأم روح وأم الرحمن⁽¹⁸⁾ والمذهب، قال بشار بن أبي حازم⁽¹⁹⁾:

وما ضَمَّ جِيَاد ... المصلّى ومُذَهَّبُ

بناء الكعبة:

اختلف الإخباريون العرب عن بناء الكعبة، هل كان إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- هما أول من بنيا الكعبة؟ أم أنّهما قاما بتجديدها فقط؟ ذكر جماعة من العلماء أنّ الكعبة بُنيت خمس مرات: الأولى بناء الملائكة، والثانية بناء آدم عليه السلام، والثالثة بناء إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- والرابعة بناء قريش في الجاهلية التي حضرها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والخامسة بناء ابن الزبير⁽²⁰⁾.

وقيل سيدنا آدم -عليه السلام- قد أهبطت له خيمة من الجنة، فضربت في موقع الكعبة، ليسكن إليها، ويطوف حولها، فلم تزل باقية حتى قبض الله آدم، فرفعت الخيمة. وفي رواية أخرى أنّ آدم أهبط معه بيت، فكان يطوف هو، والمؤمنون من ذريته حتى جاء الطوفان، فرفعه الله إلى السماء، وهو البيت المعمور⁽²¹⁾. أمّا إبراهيم عليه السلام فقد أمره الله برفع القواعد التي كان البيت قائم عليها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽²²⁾. وكان سيدنا إبراهيم يبني، وإسماعيل يأتنيه بالحجارة حتى أكتمل البناء، ومن ثمّ أخذوا يطوفان بالببيت، كما تطوف الملائكة حول عرش الرحمن.

وقد قام سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بنصب حدود الحرم بعد أن أراه سيدنا جبريل مكانها، وبعد ذلك لم تحرك من مكانها حتى عام الفتح، حيث جدّدها تميم بن أسد الخزاعي، وبقيت في مكانها حتى زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عندما بعث أربعة من قريش فجّدوها⁽²³⁾. وتعد هذه الحدود حرماً آمناً للطير والشجر، وللخائف الذي يصبح في آمان متى ظل داخل حد الحرم حتى في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ

﴿أَمِنَّا﴾⁽²⁴⁾. وقيل إنَّ سبب حرمتها أنه عندما نزل آدم إلى الأرض كان خائفاً على نفسه، فبعث الله الملائكة لحراسته، فوقفت في المكان الذي وضعت فيه حدود الحرم.

نزول القبائل العربية مكة، وصراعهم على رئاسة البيت:

يذكر الإخباريون أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام جاء إلى الوادي الذي نبع فيه بئر زمزم، وترك زوجته هاجر وابنها إسماعيل -عليه السلام- بقليل من الزاد، ولم يكن في هذا الوادي أحد من الناس، ولما همَّ بالمغادرة تبعته هاجر، وهي تقول: أتذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس به أنيس؟ وكررت ذلك مراراً، لكنه لم يلتفت إليها، وعندئذ قالت هل الله أمرك بهذا؟ فقال نعم، قالت إذن لا يضيعنا. قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾⁽²⁵⁾. ظلت هاجر تشرب من الماء الذي تركه زوجها حتى نفذ، وعطش ابنها، وظل يتلوَّى، فنظرت إلى جبل الصفا فصعدت إليه لعلها تجد أحداً، ثم نزلت إلى جبل المروة، وكررت ذلك سبع مرات، ثم نظرت إلى المروة فإذا بالملك يبحث بجناحه حتى نبع الماء، فشربت وشرب ابنها، وقال لها الملك لا تخافي فإنَّ هذا الغلام، وأبوه سبنيان بيت الله في هذا المكان⁽²⁶⁾.

وقد أراد الله أن يكون هذا الوادي مقصداً للقبائل العربية المهاجرة من اليمن، التي كان من بينها العماليق الذين كانوا تحت أمرة السמידع بن هوبر بن لاوي، نزلوا سهول تهامة يطلبون الماء والمرعى، وبينما هم سائرون رأوا الطير ترتفع، وتهوي على الوادي، فقصدوا هذا الوادي، فوجدوا ماء زمزم عليه هاجر وابنها، فاستأذنوها بالنزول، فأذنت لهن⁽²⁷⁾. أمَّا قبيلة جرهم فأنها لما سمعت بنزول العماليق وادي مكة، خرجت مع زعيمها الحارث بن مضاض بن عمرو، ونزلوا الوادي مع إسماعيل الذي تزوج من ابنة مضاض بن عمرو الجرهمي. وقد نزلت جرهم بأعلى مكة و العماليق أسفلها⁽²⁸⁾. وكانت رئاسة البيت بيد مضاض بن عمرو الجرهمي، ولكن بمرور الزمن أخذ الفريقان يتنازعا ولاية البيت، ومن ثمَّ نشبت الحرب بينهما، وكانت الغلبة لمضاض بن عمر، ثم تصالحا. وقد قال عمرو بن مضاض في ذلك⁽²⁹⁾:

نحن قتلنا سيد الحيِّ عنوة ... فأصبح منها وهو حيران موجه

وما كان ينبغي أن يكون سواؤنا ... بها ملكاً حتى أتانا السמידع
 فذاق وبالأحين حاول ملكنا ... وحاول منا غصة يتجرع
 ونحن عمرنا البيت كنا ولاتنه ... نضارب عنه من أتانا وندفع
 وما كان ينبغي ذلك في الناس غيرنا ... ولم يك حيّ قبلنا ثم يمنع
 كنا ملوكاً في الدهور التي مضت ... ورثنا ملوكاً لا نرام فتوضع
 وقال الإخباريون إنَّ جرهم ارتكبت فضائع في البيت، حيث فجر فيه أساف ونائلة،
 فمسخهما الله حجرين، ثم أرسل الله عليهم خزاعة فغلبتهم، وتولت أمر البيت. وكان أول
 من وليه عمرو بن لحي بن خزاعة، ثم نزلت قريش الشعاب والجال حول مكة، وقد
 ساهمت الظروف في أن يكون لهذه القبيلة شأن كبير في مكة، حيث كان حليل بن حبيشة
 بن سلول الخزاعي يتولى أمر خزاعة ورئاسة البيت، وكان قصي بن كلاب قد تزوج من
 ابنة حليل، وكثر ماله وولده، فلما كبر حليل دفع إليه مفاتيح الكعبة، لكنَّ خزاعة وبني بكر
 خرجوا على قصي فحاربهم، ثم صالحهم بقبول التحكيم الذي قضى أن تكون له الولاية
 على البيت، وبذلك صارت له السقاية والحجبة والرفادة والندوة واللواء⁽³⁰⁾.

أمَّا اسم قريش فقد اختلف حوله الإخباريون، فقال بعضهم جاء من اسم رجل يقال له:
 حبسل قريش وجد مكتوباً في نص حضرمي، وقيل بل سُميت على اسم قريش بن بدر،
 الذي كان دليلاً لقريش والمسئول على ميرتهم⁽³¹⁾. ومنهم من يرى أن تسميتهم تعود إلى
 سمك القرش، الذي كان يصطاده بني النضر بن كنانة، أو أنه جاء من القرش، وهي
 التجارة أو الاجتماع⁽³²⁾، لأنَّ قصي جمعها بعد أن كانت متفرقة في الجبال والشعاب، قال
 حذافة بن غانم القرشي⁽³³⁾:

قصي أبوكم كان يُدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وقد قسم الإخباريون قريش إلى قريش البطاح، وهم الذين كانوا ينزلون الشعب بين
 أخشبي مكة، ويتكسبون من التجارة، وقريش الظواهر، وهم الذين كانوا ينزلون خارج
 مكة في الجبال والشعاب المجاورة، وكان هؤلاء من الفقراء الذين يتكسبون من الرعي
 والغزو.

مكانة مكة الدينية: كان شبه جزيرة العرب مهبطاً للديانات السماوية المتعاقبة التي جاء بها الأنبياء والرسول إلى أقوام مخصوصة، مثل قوم عاد وثمود، وقوم مدين، وكانت هذه الديانات قد جاءت على فترات زمنية متباعدة، لكن أثر بعضها ظل عالماً في أذهان العرب حتى جاء الإسلام، ومن أمثلة هذه الديانات اليهودية والنصرانية، ولذلك كان العرب يعرفون الله، بل كان بعضهم يتعبّد على دين سيدنا إبراهيم، وهم الذين يعرفون بالعرب الحنفاء، وقد أشار إلى ذلك زهير بن أبي سلمى في معلقته التي يقول فيها⁽³⁴⁾:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومن أجل تطبيق الشعائر الدينية كان تقديس قريش للكعبة التي كانت سبباً في اهتمامهم بأمر الحج وتنظيمه، فكانت السدانة تقوم على خدمة الكعبة، والسقاية تقوم على تقديم الماء للحجاج، والرفادة التي تقدم الطعام إلى كل من لم تكن له سعة. أمّا الحجابة فكانت تختص بحفظ مفاتيح الكعبة. ويبدأ الحج في شهر ذي الحجة من العام القمري، وكان الحجاج الغرباء يظهرون عراة باستثناء النساء اللاتي يظهنن بملابسهن كاملة. وكان بعضهم يطوف بالبيت في صفوف وهم يصفرون، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾⁽³⁵⁾. قال ابن عباس كانت القرشيون يطوفون بالبيت عراة يصفقون ويصفرون، لأنّ المكاء هو الصفير، والتصديّة هي التصفيق⁽³⁶⁾. وكان العرب يطوفون بنعالهم، وكانوا يمنعون على الحاج قص شعره وظفره، ولا يتطيب أو يمس النساء، ولا يأكل اللحم ولا يلبس السلاح، وكانوا يقبلون الحجر أساف، ويستلمون الحجر الأسود، ثم يسعون بين الصفا والمروة، اللذين نصبوا عليهما حجرتين هما (مجاور الريح) و(مطعم الطير)، ثم كانوا يفرّقون بين عرفة والمزدلفة لنحر الجمال⁽³⁷⁾.

ولعل أهل مكة كانوا أكثر تمسكاً بشريعة سيدنا إبراهيم، حيث كانوا يختنون، ويحجون البيت، ويقيمون المناسك، ويكفنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويمنعون نكاح البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت. كما كانوا يقمّون الصداق للزوجة، ويحضرون الشهود عند عقد الزواج. أمّا الطلاق فكان عدده طلقة واثنتين، فإن طلقها ثلاث فلا تحل له من بعد⁽³⁸⁾، قال الأعشى⁽³⁹⁾:

أيا جارتني بيني فإنك طالقة ... كذلك أمور الناس غادٍ وطارقه
 وبيني فقد فارقت غير ذميمة ... وموموقة منا كما أنت وامقه
 بيني فإن البين خير من العصا ... وأن لا ترى لي فوق رأسك بارقه
 ولا شك أن الإسلام أقرَّ هذه الشرائع التي أكدها القرآن الكريم في عدة آيات، لأنها
 كانت تتمشى مع الفطرة وموروثات الحنفية التي جاء بها دين سيدنا إبراهيم عليه السلام.
 ورغم بقاء بعض شعائر الحنفية لعبادة الأصنام قد عرفها أهل مكة، وكان أول من جاء
 بها ونصبها في الكعبة عمرو بن لحي الخزاعي، حين خرج إلى الشام، ورأى قومًا كانوا
 يعبدون الأصنام، فأخذ منهم صنماً نصبه على الكعبة، ثم كثر نصب الأصنام حولها، قال
 سحنة بن خلف الجرهمي⁽⁴⁰⁾:

يا عمرو، إنك أحدثت آلهة ... شتى بمكة حول البيت أصناماً
 وكان للبيت رب واحد أبداً ... فقد جعلت له في الناس أربابا
 لتعرفن بأن الله في مهل ... سيصطفي دونكم للبيت حجابا

وكان العربي يعبد الأصنام والأوثان، التي تكون على شكل حجارة منصوبة، أو على
 صورة إنسان من خشب أو ذهب أو فضة، أو على شكل أسود وحيوانات وطيور، وكان
 لكل جماعة صنم أو وثن، وأشهر هذه الأصنام هبل واللات والعزى ومناة، ثم ود وسواع
 ويعوث ويعوق ونسرا، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا
 يَـعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾⁽⁴¹⁾. وهذه الأصنام انتشرت في مكة حتى بلغ عدد التي نصبت في
 الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، هدمها المسلمون عام الفتح. وكانت هذه الأصنام تخص
 القبائل العربية في مكة وما حولها. وعلى ذلك يمكن القول إن مكة كان لها دور ديني كبير
 بين القبائل العربية التي كانت تأتي إلى مكة في كل عام للحج أو التجارة، وكانت مكانة
 البيت بين العرب كبيرة حتى أن إبراهيم الحبشي الذي بنى كنيسة القليس ليصرف العرب
 عن البيت الحرام، لكنه لم يفلح في ذلك، فاضطر إلى غزو مكة في عام الفيل، ثم فشل
 بفعل الطير الأبايل التي أرسلها الله عليه وعلى جيشه⁽⁴²⁾.

مكانة مكة السياسية: لم يكن للعرب في مكة حكومة منمّمة لها سلطة تشريعية أو تنفيذية، وإنما كان لهم زعماء وسادة، يسمّون (بالملا) يقررون أمرهم، وأمر قبائلهم في دار الندوة التي بناها قصي بن كلاب. وكانت قراراتهم تخص أمور الحرب والتجارة، وبعض المشاكل الاجتماعية الأخرى. أمّا القبائل العربية الأخرى فكان لكل قبيلة سيد أو رئيس أو أمير، يختار بمواصفات معينة منها قوة الشخصية والخبرة، وكبر السن والحكمة والشجاعة، وسعة الرزق لينفق على الضيوف وأصحاب الحاجات⁽⁴³⁾. ولا شك أنّ القبيلة ليس لها قانون مدوّن يمكن الرجوع إليه، بل كانت تتخذ من التقاليد والأعراف الاجتماعية دستوراً لها. وأفراد القبيلة يكونون متضامنين في السراء والضراء، وكل فرد في القبيلة كان يخضع لسلطتها، وإذا خرج عنها يخلع ويطرد منها.

مكانة مكة الاقتصادية: كان لموقع مكة المتوسط بين حضارات جنوب شبه الجزيرة العربية مثل (حمير وسبأ ومعين)، والحضارات في الشمال (في الشام ومصر وآسيا الصغرى وبلاد الإغريق) أهمية كبيرة في انتقال البضائع والسلع بين الشمال والجنوب، مروراً بمكة التي كانت تمثل نقطة عبور بينهما، فقد كانت تجارة الإغريق حتى القرن الرابع ق.م مثلاً مقتصرة على شرق البحر الأبيض المتوسط، التي كانت تمر عبر الطريق البري المكي، الذي يمر من الشام إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر حتى يصل جنوب شبه الجزيرة العربية، كما كانت القوافل تمر من الجنوب عبر هذا الطريق إلى مكة ويثرب ومدائن صالح والبتراء، ومنها إلى الشام وآسيا الصغرى ومصر⁽⁴⁴⁾. وكانت هناك رحلتان في الصيف والشتاء، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِبِلَافٍ فُرَيْشٍ إِبِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾⁽⁴⁵⁾. وأغلب الظن أنّ قريش كانت تنفرد بالتجارة دون سائر العرب، يقول الجاحظ: "وبالتجارة كانوا يعرفون، ولذلك قالت كاهنة اليمن: لله در الديار لقريش التجار"⁽⁴⁶⁾. ويقول أحد المؤرخين: "إنّ العرب كانوا من الرواد الأوائل للتجارة العالمية، وكان الرومان لا يستغنون عنهم في جلب السلع والبضائع الشرقية"⁽⁴⁷⁾.

وكانت أموال هذه التجارة تجمع من أسر معينة من مكة مثل: أمية ومخزم ونوفل وهاشم. وكانت القوافل تسير بالآلاف، يحرسها حراس من الأحابيش، وهناك نقاط تستريح بها هذه القوافل.

أما أهم السلع فتمثل في الطيب والتمر والبخور والقرنفل والقرفة واللبان والذهب والفضة والأحجار الكريمة، وبعض المنتجات الهندية، مثل العاج والقصدير والتوابل، وكانوا يجلبون من أفريقيا الشرقية العطور والأطياب وخشب الأبنوس وريش النعام والعاج، وكانوا يشترون من الشام الحنطة والزيت والخمور والمنسوجات⁽⁴⁸⁾.

وكانت هذه السلع تعرض في أسواق شبه جزيرة العرب التي كان من أهمها: دومة الجندل وعكاظ والمجاز وهجر وعدن⁽⁴⁹⁾. وكانت هذه الأسواق يتردد عليها التجار والمستهلكين يبيعون ويشترون حاجاتهم طول العام .

ولا شك أنّ القارئ الكريم سيلاحظ أننا أغفلنا عن عمد الأنشطة الاقتصادية الأخرى، كالأنشطة الزراعية والحيوانية التي لم تكن لها أهمية في مدينة مكة؛ لعدم وجود تلك الأراضي، وإنما كانت توجد في سهول تهامة والواحات، أما المناطق الصحراوية فكانت تشتهر بتربية الإبل.

هوامش البحث ومراجعته:

- (1) حسين عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدنتها، ط1، مكة، 1354هـ، ص7.
- (2) الترمذي، سنن الترمذي، ط 2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2008م، باب في فضل مكة : 69 - 3925.
- (3) نفسه : 69 - 3925.
- (4) تقي الدين محمد أحمد الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلاد الأمين، ج 1، تحق: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص 29 انظر الخريطة بالملحق.
- (5) سليمان بن صالح القرعاري «مكة المكرمة - إعجاز موقعها وحرمتها ومنزلتها وتوسعتها»، كلية التربية، جامعة الملك فيصل الأحساء، المملكة العربية السعودية، 2005م، ص54.
- (6) الشاعر هو: محمد بن عبد الله النميري. ينظر: هامش كتاب علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ط 3، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ص90.
- (7) سورة الفتح، آية: 24.
- (8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، 1977م، ص 182.
- (9) آل عمران، آية: 96.
- (10) صفى الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصر لمعجم ياقوت الحموي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مج 3، ط 1، دار الجبل، 1992م، ص 1303.
- (11) سورة البلد، آية: 1.
- (12) سورة التين، الآيات: 1، 2، 3.
- (13) الأنعام، آية: 92.
- (14) المائدة، آية: 97.
- (15) محمد المكي بن الحسين، أسماء الكعبة المشرفة، إشراف علي الرضا التونسي، ب. ت، ص 10.
- (16) سورة الحج، آية: 29.
- (17) جماعة من العلماء، تاريخ مكة المكرمة، ط 1، دار السلام للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2002م، ص15.

- (18) تقي الدين الفاسي المكي، ص 36.
- (19) ياقوت الحموي، ص 182.
- (20) جماعة من العلماء، ص 21.
- (21) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 121.
- (22) سورة البقرة: الآية 127.
- (23) جماعة من العلماء، ص 11.
- (24) سورة آل عمران: الآية 97.
- (25) سورة إبراهيم، الآية 37.
- (26) الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ج 1، ط 1، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، ص 155.
- (27) المسعودي، مروج الذهب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 1، 1966م، ص 319.
- (28) ابن واصل الحموي، تجريد الأغاني، تحقق: طه حسين وآخر، ج 1، القسم الثاني مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، 1957م، ص 1609.
- (29) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ج 13، عز الدين للطباعة والنشر، 104 .
- (30) أحمد محمود صابون، « دراسة تاريخية وحضارية حول قصي بن كلاب الجد الرابع لرسول الله (ص)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1426 هـ، ص 192، 195.
- (31) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 4، ط 2، جامعة بغداد، 1993م، ص 23.
- (32) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ص 409.
- (33) عبد الله الزوزني، شرح المعلمات، ص 205 .
- (34) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 2، ط 1، دار الأندلس للطباعة والنشر، 1988م، ص 461.
- (35) سورة الأنفال، الآية 35.
- (36) ياقوت، مج 5، ص 184.

- (37) القرطبي، ج 7، ص 400.
- (38) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج1، ط4، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1967م، ص 82.
- (39) ياقوت، مج 5، 184.
- (40) علي إبراهيم حسن، ص 93.
- (41) سورة نوح، الآية 23.
- (42) الحافظ ابن كثير، ج 2، ص 170.
- (43) جواد علي، ج 4، ص 344.
- (44) عرفان محمد حمور، أسواق العرب، ط 2، دار الشورى، بيروت، 1981م، ص 23.
- (45) سورة قريش، الآيتان 1، 2.
- (46) ناصر بن سعد الرشيد، «تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي»، دراسات في تاريخ الجزيرة قبل الإسلام، ك 2، ط 1، جامعة الملك سعود، 1984م، ص 222.
- (47) توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، ب.ت، ص 237 .
- (48) عرفان، ص 24.
- (49) عبد المنعم ماجد، ص 51.



نقلا عن سليمان صالح القرعاوي، «مكة المكرمة... إجازها موقعها وحرمتها وتوسعها»، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، عدد خاص بمناسبة اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية، 2002، ص4.

النعيم المعنوي لأهل الجنة

د. خيرية محمد الجربي

كلية الآداب - جامعة الزاوية

مشكلة البحث ودوافع الاختيار:

وعد الله تعالى عبادة الصالحين جنات عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذا هو وصف الجنة الجامع المانع، فالجنة يعجز اللسان عن وصفها؛ لأنها من عالم آخر غير عالمنا المنظور هذا، وتحكمها قوانين أخرى، وما جاء في وصفها في القرآن الكريم إنما هو لتقريب الصورة الذهنية فقط.

لكن الملاحظ أن أغلب من يتحدث عن الجنة، ويصف نعيمها الأبدي دائماً يتناول الجانب الحسي المادي، فنجد أن أكثر من وصفوا الجنة في كتاباتهم تحدثوا عن قصورها وترابها، وأشجارها وأنهارها ولباس أهلها وطعامهم وشرابهم، والحوار العيني وجمالهن الأخاذ.

ولا شك أن هذه الأمور لها أهميتها في إضفاء السعادة البالغة على النفس، فالجنة دار النعيم الخالد المطلق لا جوع فيها، ولا عطش، ولا عري، لكن هناك جانباً آخر من الذات الإنسانية ألا وهو الجانب النفسي وإن شئت سمه "الروحي" أو "المعنوي" لأننا في هذا البحث الضيق لن نخوض في ماهية الروح أو النفس والفرق بينها إن لم يكونا شيئاً واحداً، فهذه المسألة يطول شرحها.

لذا كان الرأي أن يكون عنوان هذا البحث هو: (النعيم المعنوي لأهل الجنة)، أي نعيمهم الداخلي المتعلق بالجواهر الإنساني، بالذات الإنسانية، فالإنسان قد يكون محاطاً بجميع ألوان النعيم المحسوس، ولكنه يكون بائساً شقيماً بسبب المرض أو الحزن لفقدان حبيب أو بسبب المشكلات الاجتماعية، وأحياناً بسبب الرتابة والملل أو الفراغ العاطفي.

هذا في دار الدنيا، أما جنة الخلد فهي نعيم خالص مادي ومعنوي، وهما مرتبطان أشد الارتباط متكاملان كل التكامل، وهذا البحث محاولة لإبراز جوانب هذا النعيم المعنوي الذي قد يغفل عنه البعض وكان الرأي أن يتضمن البحث المباحث التالية والتي تعرض

ألوان نعيم أهل الجنة المعنوي مما يزيد الإيمان قوة وصلابة ويزيد المؤمن اجتهاداً وتنافساً في الخيرات ليحظى بهذا النعيم الخالد فذلك هو الفوز العظيم.

الأولى - نعيم الجنة عند الاحتضار ونزع الروح:

كل شيء في هذه الحياة الدنيا نسبي لا مطلق، والنعيم والشقاء نسبيان كذلك فقد يشعر الإنسان في لحظات ما من عمره بأنه أشقى الأشقياء ولكن سرعان ما يحمد الله ويغير هذا الحكم عن نفسه حين يلتقي بمن هو أشد منه شقاء لمرض مزمن أو إعاقة دائمة أو المشكلات المعقدة التي قد يعجز عن حلها مهما أوتى من حكمة وبصيرة، فلا يملك إلا أن يسلم فيها الأمر لله ﴿وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾⁽¹⁾.

والسعادة أيضاً نسبية، وإن طالت ستتحول إلى رتابة مملّة، وهذا الفرق الكبير بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، الآخرة لا ملل ولا رتابة، بل ترق في النعيم، من نعيم إلى نعيم أرقى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿۱۰﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾⁽²⁾.

وعن وصف الجنة ونعيمها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ (فيما رواه عن ربه) قال الله: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"⁽³⁾ فاقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾⁽⁴⁾.

كما أخرج البخاري عن سهل قال سمعت النبي ﷺ يقول: "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها"⁽⁵⁾.
والحق الذي لا جدال فيه أن نعيم الجنة يبدأ من لحظة الاحتضار حين تبشر الملائكة المؤمن عند احتضاره بروح وريحان ورب غير غضبان، ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾⁽⁶⁾.

"قال ابن مسعود: "إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام"⁽⁷⁾.

وعن البراء بن عازب في قوله: "تحيتهم يوم يقبضه سلام" فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، لا يقبض روحه حتى يسلم عليه"⁽⁸⁾.

وذكر ابن ماجة عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال "تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان، فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان، فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان، فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى" (9).

كما أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: "من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه" فقالت عائشة - أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت فقال: ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره لقاءه" (10)، وعن قتادة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَرَوْحَوْرِيحَانَ﴾ [الواقعة: 89]، قال: الروح: الرحمة، والريحان: تتلقاه به الملائكة عند الموت (11).

وأما قوله في الحديث: حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى، فالمعنى أمر الله وحكمه وهي السماء السابعة التي عندها سدرة المنتهى التي إليها يصعد ما يُعرج به من الأرض ومنها يهبط ما ينزل به منها" (12).

وبعد دفن الميت وسؤال الملكين يريه الله تعالى مقعدة من الجنة فمن حديث طويل للبراءين عازب يصف فيه رسول الله ﷺ احتضار المؤمن وانتقال روحه إلى الدار الآخرة قال فيه: "... فينادى منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة، قال: فيأتيه من ريحها وطيبها ويُفسح له في قبره مدّ بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: ربّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي" (13).

وهكذا يكون هذا المؤمن الميت منعماً في قبره، فالقبر أول منازل الآخرة، وهو إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار أجارنا الله وإياكم.

الثاني- نعيمهم عند البعث والمحشر: يقوم المؤمنون من أهل الجنة من قبورهم عند بعثهم يوم القيامة مستبشرين فرحين غير محزونين ولا وجلين؛ لأنهم بُشِّروا بمقامهم عند ربهم وبمقعدهم في الجنة وهم في انتظار الإقامة الأبدية، ويتبين هذا المعنى في قوله جلَّ من قائل: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (14).

"والفرع الأكبر أهوال يوم القيامة والبعث" وقيل "هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار" وقيل: "هو إذا أُطبقت النار على أهلها وذُبح الموت بين الجنة والنار" (15). والمعاني متقاربة، فأهل السعادة هؤلاء تستقبلهم الملائكة تبشرهم وتهنئهم عند بعثهم أو على أبواب الجنة ويجوز في الموقعين معاً، فهم في فرح ونعيم لا مثيل له من حين خروجهم من قبورهم إلى دخولهم جنة الخلد.

الثالث- أمنهم وسلامهم: أول تنعم لهم بعد دخول الجنة وهو شعورهم بالأمن من الموت وذلك بذبح الموت بين الجنة والنار، فبعد قدوم أهل الجنة إلى الجنة وفوداً مكرمين يحييهم خزنتها بالسلام والتهنئة ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ وقالوا الحمد لله الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (16) الجنة هي دار السلام والأمان.

وبعد دخولهم الجنة ودخول أهل النار إليها [أجارنا الله وإياكم] يُوتى بالموت في صورة كبش يُذبح بين الجنة والنار، وينادى منادٍ للفريقين: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً وسعادة ونعيماً إلى نعيمهم، ويزداد أهل النار شقاوة إلى شقائهم وحرناً إلى حزنهم.

ففي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبح، ثم ينادى منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حرناً إلى حزنهم" (17).

ولا نستغرب كيف يمتلئ الموت في صورة كبش فكل ذلك بقدرته الله المطلقة وبأمره كن فيكون فقدرته لا تحدّها نهاية.

ولا شك أن نعيم الدنيا مهما كان واسعاً إلا أنه ينتهي في أفضل الأحوال بعد العمر المديد والسعادة بالموت الطبيعي ، فالعمر وإن طال فهو قصير قياساً بزمان اللانهاية زمن الخلود، فالموت أكبر المنغصات في الحياة الدنيا يخطف الأحباب وفلذات الأكباد، يفرق الجماعات ويهدم اللذات، لهذا كانت أولى بشائر النعيم في الجنة هي أنه لا موت فيها، وهذا يؤدي إلى استقرار نفسي كبير وإحساس عظيم بالأمان والسعادة القصوى، فحب الخلود فطرة في الإنسان، الإنسان يحب أن يبقى موجوداً، شعوره بالوجود بالحياة شيء رائع لكنه في الدنيا زائل مهما طاللت الأعمار .

الموت الأصغر: يلحق بالموت النوم فهو الموت الأصغر وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (18).

فالنوم آية من آيات الله، عالم النوم عالم يحيطه الكثير من الغموض والأسرار، والغرابة، وفي الحياة الدنيا يقضي الإنسان ثلث عمره نائماً على وجه التقريب إذا نام في اليوم ثماني ساعات وهي متوسط ساعات النوم الضرورية لأغلب الفئات فهي تتفاوت حسب العمر والحالة الصحية والنفسية.

ينام الإنسان ليريح جسده المتعب، وأعصابه المجهدة فيتجدد النشاط ويتوقد الذهن، ويفرز الجسم بعض الهرمونات أثناء النوم تساعد على النمو وتعويض ما تلف من خلاياه. لكن في الجنة الإنسان لا يحتاج لكل هذه الأمور؛ فأهل الجنة لا ينامون لأن جسد الآخرة خلقه الله بكيفية أخرى، كيفية تجعله صالحاً للخلود بقدرته تعالى، فهو ليس بحاجة لتجديد النشاط أو تعويض الخلايا وليس بحاجة إلى راحة؛ لأنه لا يتعب لا تعب في الجنة مطلقاً! ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَبَسٌ وَلَا فِجْرٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (19) هي دار النعيم المطلق، أضف إلى ذلك أن النوم يُفوت على المؤمن فرصة التمتع في الجنة والله يريد لعباده تمام النعمة والتتعم فجعلهم لا ينامون في الجنة بل هو نعيم دائم وترق في هذا النعيم إلى ما لا نهاية. ففي الحديث الذي رواه جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "النوم أخو الموت أهل الجنة لا ينامون" (20).

"وهم ليس لديهم ليل أو نهار وإنما هم في نور أبداً"⁽²¹⁾ نورهم نور عرش الرحمن الذي هو سقف الجنة ويشع نور عرشه ليغرق الجنة في أنوار العظمة والجلال والجمال.

الرابع - شبابهم الدائم: من الجائز أن نطلق على مفهوم الشباب الدائم أنه [الحلم المستحيل]؛ لأنه من المحتم أن يأتي يوم يدب فيه الشيب إلى الشعر، وتضعف القوى، وتأتي الشيخوخة تركض ركضاً.

قيل إن الشباب ثلاثة أقسام: شباب الجسد وشباب القلب وشباب العقل، وكلما تجتمع هذه الثلاثة في شخص واحد وتلازمه إلى آخر العمر، فقد يكون أحدهم يحيا بقلب شاب إقبالاً على الحياة وحباً لها؛ لكن المرض ينهكه فلا يقوى على السهر والسفر، وما إلى ذلك، وقد يحتفظ أحدهم بوجه نضر مشرق يبدو أصغر من عمره الحقيقي، لكن الهموم تجثم على صدره فيعزف عن الحياة ويشعر بتقلها وتصيبه الكآبة فأين هو من شباب القلب؟!

ومع تقدم طب وجراحة التجميل في هذا العصر ومن خلال ما نشاهده ونقرؤه في القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) استطاع الإنسان أن يبدو أصغر من عمره بعشرات السنين ويتحقق له حلم الشباب الدائم ظاهرياً، وذلك بإجراء بعض العمليات التجميلية مثل شدّ جلد الوجه وشفط الدهون الزائدة وحقن الوجه والأطراف بمواد معينة لإضفاء النضارة والحيوية عليها.

هذا هو الحلم المستحيل الذي يرجوه كل إنسان الشباب الدائم الصحة الجسمية والعقلية والقوة والجمال وهو يعلم أنه لا بد وأن يأتي يوم ليصبح كل ذلك في خبر كان.

لكن الجنة دار البقاء، كل شيء فيها خلق للبقاء! بكن فيكون! شباب دائم، في عمر واحد، عمر الورود، النضج والشباب ثلاثون أو ثلاثة وثلاثون عاماً، جرداً، مردّاً، مكحلين، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، وهم لا يتصفون بالصفات المسببة للاشمئزاز كالتخط والعرق وما شابهه، ما أروع هذا!

روى أبوهريرة عن رسول الله ﷺ واصفاً أهل الجنة: "إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخون، ولا يتغوطون، أنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك"⁽²²⁾

كما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" (23).

كما قال رسول الله ﷺ: "يدخل أهل الجنة جرداً مردأً مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين" (24).

وفي صحيح مسلم قال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: "ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تباؤوا أبداً" (25). وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَتَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (26).

الخامس- صفاء السريرة بذهاب الغل والحقد من قلوبهم: قال تعالى واصفاً حال أهل الجنة بقلوبهم الصافية، وصدورهم التي امتلأت محبة ورحمة لعباد الله المؤمنين من إخوانهم من أهل الجنة، فلا تباغض ولا تحاسد، بل هم على قلب رجل واحد، إخوان متحابين، قال جل من قائل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (27).

قال القرطبي: "ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من الصدور والنزع: الاستخراج. والغل: الحقد الكامن في الصدر. والجمع غلال. أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا... وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ﴾. وقيل: نزع الغل في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم" (28).

وهذا جائز أيضاً؛ فبفضل الله وقدرته يتطهر أهل الجنة من أحقاد الدنيا فلا تحاسد ولا تباغض مهما كانت الأسباب.

وقريب من معنى الآية المذكورة قوله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (29).

ويقول ابن عباس في تفسيره لهذه الآية: "أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين

الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نظرة النعيم، ونحوه عن علي رضي الله عنه⁽³⁰⁾.

وهم من شدة الودّ الذي يجمعهم يواجه بعضهم بعضاً يجلسون⁽³¹⁾ على سرر متقابلين عليها وقيل: الأسرة تدور بهم كيفما شاءوا فياله من نعيم!

فما ذكره مجاهد بشأن هذا المعنى قوله: "لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواصلًا وتحاباً، وقيل: الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد. وقال ابن عباس: على سرر مكللة بالدرّ والياقوت والزبرجد، السرير منها ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة وقيل تدور بأهل المنزل الواحد"⁽³²⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب درى في السماء إضاءة، قلبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم"⁽³³⁾.

بل إن صفاء سريرتهم ونقاءها لأبعد من ذلك فهو يكون بين الضرائر أزواج الرجل الواحد، لا غيرة ولا تباغض بينهم وإنما حب ورضا "لأن الحق سبحانه وتعالى ينزع في الآخرة من الصدور كل ما كان يكثر صفو النفوس في الدنيا"⁽³⁴⁾.

السادس - إعراضهم عن اللغو وفضول القول وإلهامهم التسبيح: لن يصل الإنسان إلى كمال النفس والراقي بها إلا إذا تعلم حسن الأدب مع الله ثم مع عباد الله بسموه عن الصغائر وتوافه الأمور كلغوالحديث الذي لا طائل من وراءه، وفضول القول التي لا يجني صاحبها إلا الحسرة والندامة فقد يوقعه لسانه في الخطأ دون أن يلحظه، فكثرة الكلام تقوده إلى الباطل من القول، فالسلامة في قول الخير أو الصمت.

وأفضل الكلام بعد كلامه سبحانه وتعالى هو ما اصطفاه الله لعباده وملائكته: "سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله".

وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت"، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»⁽³⁵⁾.

وقد مدح الله الذين يذكرونه في جميع الأحوال بقوله جلّ من قائل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁽³⁶⁾.

فذكره تعالى من أفضل القربات التي ينال بها المؤمن حب ربه ورضاه بل يذكره في المأ الأعلى.

ومتى ما امتدّ بالإنسان العمر وأصبح الموت والحساب أمام ناظريه تحسّر على كل لحظة ذهبت دون أن يذكر فيها ربه تسبيحاً وتمجيداً وتقديساً، فالدنيا تشغل الإنسان عن العبادة والذكر فلا يمكنه التفرغ للعبادة مهما أوتي من قوة إيمان؛ لأنه في الدنيا لا بد له أن يسعى من أجل لقمة العيش جرياً وراء الأسباب وهو يعتريه أحياناً المرض فأحواله متقلبة فيها، أما في الجنة عالم الخلود تنقطع شواغل النفس التي تبعدها عن الله، فكلام أهل الجنة لا لغو فيه ولا إثم بل تسبيح وتمجيد لربهم: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾⁽³⁷⁾.

كما قال جلّ من قائل في هذا المعنى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا مِن فُجَاءٍ إِلَّا قِيَامًا سَلَامًا﴾⁽³⁸⁾ وقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾⁽³⁹⁾ وقوله تقدست أسماؤه وتعددت آلاؤه: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾⁽⁴⁰⁾.

وهم إلى ذلك يُلهمون التسبيح كما يُلهمون النفس، فمما أخرجهم مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتمخضون ولا ينغوظون ولا يببولون، ويكون طعامهم ذلك جشأً ورشاً كرشاً المسك، يُلهمون التسبيح والحمد كما يُلهمون النفس" وفي رواية: "التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس" أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس⁽⁴¹⁾.

"وفي هذا دليل على أن العبادات ترتفع عن أهل الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة"⁽⁴²⁾.

يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرُ دَعَاؤُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾.

"فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره، فأوله تسبيح وآخره حمد، يُلهمونهما كما يُلهمون النفس" (44).

وفي هذا إشارة إلى أن التكليف يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوة التي يلهمونها، وفي لفظة "اللهم، إشارة إلى صريح الدعاء، فإنها متضمنة لمعنى يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء" (45).

فأهل الجنة تطهرت قلوبهم وألسنتهم التي لا تتكلم إلا بالخير وذكر الله فصدق فيهم قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٤٦﴾.

السابع - تنعم بصحبة المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم: مما يزيد في نعيم أهل الجنة اجتماعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأنسهم به ورؤيتهم له ومحادثهم له، فكل من آمن به وأحبه في حياته أو آمن به بعد موته يراه في الجنة ويجتمع به إذا أحبه وسار على سنته في الحياة الدنيا فعلاحة حب الله ورسوله اتباع السنة الصحيحة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾، فأهل محبة رسول الله في الدنيا هم من يكونون معه في الجنة رغم تفاوت درجاته صلى الله عليه وسلم عليهم جميعاً، فمما أخرجهم مسلم في صحيحه عن أنس قال: قال رجل: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ فلم يذكر كبيراً، قال: ولكني أحب الله ورسوله. قال: "فأنت مع من أحببت" (48).

الثامن - تنعم بالسماع (الغناء): مع تسبيح أهل الجنة وتحميدهم وذكرهم لربهم الذي أنعم عليهم يطربون لسماع غناء أزواجهم من الحور العين ونساء الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿٤٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿٤٩﴾.

في معنى هذه الآية قال مجاهد وقتادة أن يحبرون تعنى: ينعمون، وقال يحيى بن أبي كثير: يعني سماع الغناء" (50).

"ولا يخالف هذا قول ابن عباس يكرمون وقول مجاهد وقتادة: ينعمون، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم" (51).

ومن حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً أنه قال: قال رسول الله: (من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين، فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: قراء أهل الجنة) خرجه الترمذي الحكيم في نواذر الأصول (52).

وقال الأوزاعي: إذا أخذ أهل الجنة في السماع فلم تبق شجرة في الجنة إلا وردت، ولم يبق ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح، ولم تبق حلقة على باب إلا طنت بأنواع طينها، ولم يبق أجمة من آجام الذهب إلا وقع أهبوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر، ولم تبق جارية من جواري الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها، ويوحى الله تبارك وتعالى إلى الملائكة أن جاوبوهم وأسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانية فتختلط هذه الأصوات فتصير رجة واحدة" (53).

ثم يقول الله عز وجل ذكره: يا داوود قم عند ساق العرش فمجدني، فيندفع داوود بتمجيد ربه بصوت يعم الأصوات ويجليها وتتضاعف اللذة، وأهل الخيام من تلك الرفارف تهوي بهم وقد حفت بهم أفانين اللذات والأغاني، فذلك قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: 15] (54).

وقد روي "أن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لمتوا طرباً" ذكره الزمخشري (55).

وعن أبي هريرة قال: "إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق، ما يرون في الجنة لذة مثلها، فقلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل" هكذا رواه موقوفاً (56).

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "إن الحور العين يغنين في الجنة، يقلن نحن الحور الحسان، خلقن لأزواج كرام" (57).

وعن غناء وسماع أزواج أهل الجنة ما رواه ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد، إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسام، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعين، وإن مما يغنين به نحن الخالدات فلا نمتته، نحن الأمانات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نطعنه".

وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد⁽⁵⁸⁾ وصححه الألباني.

فأهل الجنة يتمتعون فيها بالغناء أو ما يُعرف بالسماع والفترة السليمة للإنسان في الدنيا تجعله يتلذذ ويطرب للصوت العذب واللحن الشجي المؤثر والكلمة المعبرة ومن لا يحرك قلبه الجمال فليس له قلب، ومن المؤكد أن من صور الجمال، جمال الصوت والكلمة.

ولا شك أن جمال وجلال ربنا ليس يساويه جمال وجلال فهو أهل أن يُعبد ويُعشق ويُتغنى به وصفاً وتمجيداً وتقديساً، أهل الجنة يتروحون بالخالق سبحانه وتعالى، وهم بين قول منثور بالتسبيح والتحميد وبين القول بالألحان وفي هذا التنوع نعيم فوق النعيم.

فغناء إسرافيل وداوود وترديد الأشجار والأبواب والجواري وملائكة الرحمن يهز القلوب والوجدان، صورة رائعة بروعة المكان، صفاء القلوب وطهارتها من كل خبث، سعادة غامرة، طرب، وجد، فرح بالفوز العظيم، بالنعيم المقيم ورضا رب العالمين، إنه احتفال الجنة وأهلها! والملائكة تدخل عليهم بين الحين والآخر تحمل الهدايا من رب العرش المجيد.

ففي قوله جلّ من قائل: "وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً"⁽⁵⁹⁾ عن مجاهد أنه قال: ملكاً كبيراً: عظيماً وقال استنذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن"⁽⁶⁰⁾.

التاسع - تنعمهم بصحبة الأهل والأحبة: سعادة الإنسان لا تكتمل إلا بجمع شمله مع من يحبمن زوجة وأبناء وأصحاب، يزورهم ويأنس إليهم، يحادثهم يستشيرهم، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم.

والجنة لا تمثل بالدنيا إلا لتقريب الصورة فأهلها يجتمعون ويتزاورون ويتذكرون ما كان بينهم في الدنيا ويفرحون أن الله نجاهم من برائتها وغادروها بسلام، وهذا يتبين في

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٦٢﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٦٣﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ (61).

ومما يزيد في نعيمهم أنه يلحق بعضهم بعضا الأبناء والآباء حتى لا تكون سعادتهم ناقصة.

ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (62) يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتتانه ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا أعمالهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمعهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذلك" (63).

نقل هذا المعنى عن ابن عباس ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري، روى موقوفاً ومرفوعاً (64).

"وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء وإن كانوا صغاراً في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي واتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء" (65).

ومما يدل على صحة القول السابق "إن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنهم ليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم، وهلمّ جراً إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين" (66).

وهذا القول أقرب للصواب؛ لأنه لو اتبع الأبناء الآباء في الدرجة لكان جميع أهل الجنة في درجة واحدة برفع الأبناء إلى رتبة الآباء تسلسلاً، فيستوى باللاحق بالسابق وهذا

بعيد عن المنطق، وهناك احتمال آخر فكم من ابن فاق والديه ورعاً وتقياً فدخل الجنة برحمة الله وتفاوت درجاتها بالعمل والله أعلم.

ومما يزيد من سرورهم وسعادتهم أن أزواجهم متحبيبات إليهم، يجمعن بين جمال الظاهر والباطن "فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع الله لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس وقرّة النواظر" (67) وصدق فيهن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ۖ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ۖ عُرْبًا ۖ أَتْرَابًا ۖ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (68). أي: "خلقناهن خلقاً وأبدعناهن إبداعاً، والعرب تسمى المرأة فراشاً ولباساً وإزاراً، والمراد نساء بنى آدم أي خلقناهن خلقاً جديداً وهو الإعادة أي أعددناهن إلى حال الشباب وكمال الجمال... وعربياً جمع عَرُوب. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العُرب العواشق لأزواجهن وقيل هي الملقّة، والغنجة، ومنه قول لبيد:

وفي الخباء عروب غير فاحشة رياً الروادف يُعشىَ دونها البصر

وقيل هن المتحبيبات إلى أزواجهن وقيل: هي الحسنة التبعل لتكون ألدّ استمتاعاً.

وهن أتراب على ميلاد واحد في الاستواء وسن واحدة ثلاث وثلاثين سنة، وأتراب في الأخلاق لا تباعض بينهن ولا تحاسد" (69).

وهذا مما يزيد في السرور والنعيم لأهل الجنة فالمعتاد والأغلب في الدنيا أن الرجل عادة هو من يتحبيب إلى زوجته وهي تتمتع.

لكن زوجات أهل الجنة جمعن بين الجمال والدلال والغنج والعشق لأزواجهن، وكمال الأنوثة وحسن الخلق وحسن التبعل، وهذا ما يزيد النفس سعادة؛ فمن دواعي السرور والانسجام في العلاقة الزوجية الحميمية تبادل المحبة والعشق بين الزوجين، وكلما كانت المرأة أكثر غنجاً ودلالاً كانت ألدّ استمتاعاً.

وما يحدث بين الضرائر في دار الدنيا من تباعض وتحاسد لا يكون شيء منه في الجنة؛ لأن الضرائر يصرن أخوات تحب كل واحدة منهن الأخرى ويجمعهن حب زوجهن فلا غيرة بينهن ولا حسد مما يعكر صفو الحياة ويضعف الودّ والمحبة.

فالصورة تبدو غاية في السعادة المطلقة، أهل الجنة يتعمون برفقة الأزواج والأبناء والأحباب وإذا اشتاق بعضهم إلى بعض تتحرك أسرتهن بهم فيلتقون ويتذكرون ما كان

بينهم في الدنيا، تحركهم المشاعر الصادقة إذا تحركت مشاعر الشوق تحركت بهم أسرته.

"وإذا تذكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألد من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة، وهذه لذة يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها على من عداهم" (70).

وأضيف إلى هذا القول أن تذاكر أهل الجنة قد يكون أيضاً فيما استعصى عليهم فهمه في الدنيا من العلوم الطبيعية والظواهر الكونية، فهذا من المتع الروحية التي يختص بها أهل العلم؛ لأنهم يعشقون البحث ويسعدهم الوصول للحقائق العلمية وهم دائماً في حالة شغف وتعطش للمزيد، أقول قد يكون هذا الأمر والله أعلم!

العاشر - إحلال رضوانه تعالى على أهل الجنة: ومما يزيد في نعيم أهل الجنة وشعورهم بالسعادة المطلقة هو أن رب العزة يحلّ عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، فمما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً" (71).

ويبدو معنى الرضوان واضحاً جلياً في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾.

"فذكر جل وعلا أولاً أعمالهم من طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ وقيام بفرائض الإسلام، وواجبات الدين، وعمل على تبيان دين الله عز وجل نصحاً لعباده وأمرأ بالمعروف، ونهياً عن المنكر، ثم أتبع ذلك جل شأنه - بذكر ما أعد لهم من ثواب بترتيب بديع؛ بدأه بذكر

ما أعدّ لهم من جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم ذكر المساكن العظيمة، والغرفات العلية التي أعدها لهم نزلاً ومسكناً في تلك الجنات، ثم ذكر الكرامة الكبرى، والمنّة العظمى ألا وهي رضوانه تبارك وتعالى - عنهم قال: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ثم ختم السياق بقوله: ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ولم يذكر المفضل عليه بعد قوله: "أكبر" للعلم به، وبياناً لعظم رضوان الله سبحانه وتعالى وجلالة شأنه، وأنه أكبر من كل نعيم، وأجلّ من كل عطية، وذلك أن رضوان الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته عز وجل، وجنته وما فيها من كرامات وعطايا وهبات مخلوق من مخلوقات الله وعز وجلّ فرضوان الله أكبر من الجنة، وأكبر من كل نعيم، فيها إذ هو أعظم كرامة، وأجلّ عطية⁽⁷³⁾ "قرضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعم"⁽⁷⁴⁾.

ولو حاولنا تقريب صورة الرضوان وبأنه فوق كل نعيم فهو يشبه رغبة الابن البار في الحصول على رضا والديه فهما يكفلان له ما يريد وهو يطيعهما ويكون في خدمتهما ويصاحبهما بالمعروف ولكنه دائم التساؤل: هل أنتما راضيان عني؟ يهمله رضاها لأنه لا يريد إلا رضاها هو المطلب الأسمى! هو المطلب الأكبر؛ لأنه يعلم أنه مهما عمل لهما فلن يوفيهما حقهما.

وهكذا شأن المؤمنين مع ربهم! مطلبهم الأكبر هو التمتع برضوانه تعالى فهو يمنحهم هذا الرضوان وهو نعيم ما فوقه نعيم.

إنه يعني شعورهم بالأمان والسلام لأنهم في جوار الحبيب، رضي عنهم ورضوا عنه، وأسبغ عليهم نعمه، لا يخشون غضبه وسخطه، هم في أمن وطمأنينة دائمين فرضوانه تعالى أعظم من كل نعيم؛ لأن الله هو خالق النعيم والرضوان منه مباشرة فهو الفوز العظيم.

الحادي عشر - التمتع الأكبر واللذة الكبرى رؤية الحق تبارك وتعالى: أكبر النعيم في الجنة وأعظم لذاتها هي رؤية الله تبارك وتعالى، ويحدث هذا بقدرته تعالى حين يرفع الحجب عن وجهه الكريم ويتجلى لأهل الجنة ويكلمهم ويرونه بأعينهم وقد وردت في القرآن الكريم والسنة المشرفة أدلة على هذه الرؤية منها قوله جلّ من قائل: ﴿ لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً لَا يَرَهُ قُوجُوهُمْ فَتَرَوْا لَدَلَّةً أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾.

قوله تعالى "الحسنى" يفيد الاستغراق مثل البشرى ومثل الصالحة التي جمعها الصالحات، والمعنى للذين أحسنوا جنس الأحوال الحسنى عندهم، أي لهم ذلك في الآخرة... والزيادة يتعين أنها زيادة لهم ليست داخلية في نوع الحسنى بالمعنى الذي صار علماً بالغلبة، فلا ينبغي أن تفسر بنوع مما في الجنة؛ لأنها تكون حينئذ مما يستغرقه لفظ الحسنى فتعين أنها أمر يرجع إلى رفعة الأقدار، فقيل هي رضا الله تعالى كما قال: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72] وقيل: هي رؤيتهم الله تعالى وقد ورد ذلك عن النبي ﷺ في صحيح مسلم وجامع الترمذي⁽⁷⁵⁾ وجاء في تفسير القرطبي من حديث أنس أنه قال: سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله "وزيادة" قال: "الذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم" وهو قول أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في رواية وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وأبي موسى وصهيب وابن عباس في رواية، وهو قول جماعة من التابعين⁽⁷⁶⁾.

روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل". وفي رواية حماد بن سلمة زيادة: ثم تلا هذه الآية ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً﴾⁽⁷⁷⁾.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أيضاً قال: "قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة، فيها منافقوها، فيأتهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم،

فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيعرفونه⁽⁷⁸⁾.
 وحديث أبي هريرة الأخير يدل على رؤيته تعالى في الحساب وتجليه للمؤمنين بالصورة التي يعرفونها عنه في الدنيا وما كانوا رأوه والمقصود أنهم يعلمون يقيناً أنه لا يشبه أحداً من مخلوقاته ففي فتح الباري: "فيتجلى الله لهم بالصفة التي يعلمونه بها، وإنما عرفوه بالصفة وإن لم تكن تقدمت لهم رؤيته لأنهم يرون شيئاً لا يشبه المخلوقين، وقد علموا أنه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، فيعلمون أنه ربهم، فيقولون: أنت ربنا"⁽⁷⁹⁾.
 وهذه الرؤية تكون بالعين على الأرجح ولكنها لا تعني الإحاطة والإدراك التام لذاته العلية المقدسة فهذا محال.

قال ابن عباس: في معنى قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار"⁽⁸⁰⁾ أي: "لا تحيط به الأبصار، وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار، وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم... فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم، بمعنى أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطونه بكلام، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه"⁽⁸¹⁾.

ولتبسيط معنى الرؤية والإحاطة والفرق بينهما فإننا نسوق المثال التالي: كلنا يرى الشمس والنجوم البعيدة، يراها مضيئة متألئة ويظن أنها هكذا ويرى القمر ليلاً منيراً وقد يظن أنه فعلاً ينبعث منه النور ولكن لا يدرك أن القمر يعكس نور الشمس وهو في الحقيقة جسم صخري ترابي مثل كوكب الأرض ويرى هذه الشمس المشرقة ولا يدرك أن هذا الضوء ينبعث من كتلة ملتهبة مشتعلة من الغازات بسبب تفاعلات تحدث في الشمس تفاعلات كيميائية لا تنتهي⁽⁸²⁾ فسجان الله خالق كل شيء - والله المثل الأعلى، فالله يرى ولكن يستحيل أن يحاط به وتدرج حقيقته، لأنها فوق العقول بمستوياتها الرفيعة، فالإدراك مطلق أما الرؤية فهي نسبية فقط.

فالمؤمنون فقط من يتنعمون برؤيته تعالى لأنهم آمنوا به في الدنيا وهو غيب عنهم فاستحقوا أن يرونه في الآخرة، أما الكفار لا يرونه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾⁽⁸³⁾.

فالرؤية والكلام لا تكون إلا للمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ قَوْلًا لَيْكَلْمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾⁽⁸⁴⁾.

ولذة الرؤية مع لذة التكليم تزيد في أنس أهل الجنة بربهم وشعورهم الغامر بالسعادة ورضوانه تعالى عنهم.

"وقد أخبر الله تعالى أنه يسلم على أهل الجنة، وأن ذلك السلام حقيقة، وهو قول: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾⁽⁸⁵⁾ ... وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول: "سلام عليكم يا أهل الجنة" فيرونه عياناً، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو"⁽⁸⁶⁾.

ولا شك أن علوه تعالى ليس علو مكان؛ لأنه لا يحيطه ولا يحده مكان أو زمان؛ لأنه خالق المكان والزمان إنما هو علو مقام وإن أضيف معنى العلو لأهل الجنة فهذا الوصف يخصهم، فالشمس مثلاً - والله المثل الأعلى نقول إنها فوقنا لكنها بالنسبة للمجموعة الشمسية والمجرة والكون أين تقع هذه الشمس ما هو مركز الكون؟ لا أحد يعلم، ليس في الفضاء فوق أو تحت، وبالتالي فإن علوه سبحانه وتعالى ليس محدوداً بزمان أو مكان ليس كمثلته شيء وهو السميع العليم.

وهنا أحب أن أنوه أن إحلال رضوانه تعالى على أهل الجنة ورؤيته تعالى، يتفاوت فيه أهل الجنة فهم بحسب درجاتهم فيها فمنهم من يتمكن من رؤيته تعالى متى يشاء ليس بينه وبين الله حجاب وهذا أعلى مقام في الجنة وهو مقام الوسيلة ولا يكون إلا لعبد من عباد الله وهو صفيه وحببيه أفضل الأولين والآخرين سيدنا رسول الله ﷺ ومنهم من يزور ربه بين الحين والآخر في يوم المزيد وهو يوافق يوم الجمعة في أيام الدنيا، حيث يلتقي أهل الجنة في سوقها ويزورون ربهم ولا يبقى أحد منهم إلا ويحضره ربه محاضرة ويحملون ما شاءوا من متاع السوق فهي سوق لا يباع فيها ولا يشتري وإنما

جعلها الله يلتقي فيها أحبابه وأصفياءه ببعضهم ويلتقون به فيفيض عليهم من عطاياه ويحل عليهم رضوانه⁽⁸⁷⁾

نسأل الله لنا ولكم الجنة وكل عمل يقرب منها ونعود بالله من النار ومن كل عمل يقرب منها، ونسأله تعالى أن يحشرنا مع الأبرار المصطفين الأخيار وأن نكون في صحبة الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام.

هوامش البحث

- (1) سورة غافر، الآية: 44.
- (2) سورة الكهف، الآيتان: 107-108.
- (3) لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ضبط محمد عبدالقادر أحمد عطا، ج2، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، دار التقوى - مصر، ط1، 2001م، ص152.
- (4) سورة السجدة، الآية: 17.
- (5) ج3، كتاب الرقاق، باب مثل الدنيا في الآخرة، ص309.
- (6) النحل: 32.
- (7) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، دار الفجر للتراث - القاهرة، ط1، 2000م، ص55.
- (8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (9) المصدر نفسه، ص56.
- (10) متفق عليه، البخاري (6507)، مسلم (2684)، ابن ماجه (4264).
- (11) التذكرة، ص58.
- (12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (13) كتاب الروح، ابن القيم، تحقيق/ محمد محمد تامر، دار التقوى، القاهرة، ط1، 2008م، ص48. والحديث صحيح رواه أبوداود (239/4) كتاب الجنائز، باب الجلوس عند القبر حديث (4753) والإمام أحمد في المسند (287/4) حديث (18557).
- (14) الأنبياء: 103.

- (15) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص346.
- (16) الزمر: الآيتان 73-74.
- (17) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص338.
- (18) الزمر: الآية 42.
- (19) فاطر: 35، أنظر تفسير الكشاف/ محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق أبي عبدالله الداني بن منير آل زهوى-ج4، دار الكتاب العربي- بيروت -د.ط/2008م، ص465.
- (20) التذكرة، ص461، حادي الأرواح، 331، صححه الألباني في سلسلته الصحيحة (1807).
- (21) التذكرة، ص480.
- (22) متفق عليه، إحياء علوم الدين، ج4، ص531.
- (23) متفق عليه، إحياء علوم الدين، ج4، ص531.
- (24) التذكرة، ص459، سنن الترمذي (2545) حسن لغيره.
- (25) إحياء علوم الدين، ج4، ص527، وهو في صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، حديث رقم (2837)، ص1404.
- (26) الأعراف 43، حاديا لأرواح، ص149.
- (27) الأعراف: 27.
- (28) تفسير القرطبي، ج7، ص208.
- (29) الحجر: 47.
- (30) القرطبي، ج10، ص33.

- (31) التذكرة، ص485.
- (32) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (33) البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ص154.
- (34) محمد متولي الشعراوي، أوصاف أهل الجنة، إعداد وتقديم، عادل أبوالمعاطي، دار الروضة، ص77.
- (35) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (2695) ، ص1336.
- (36) آل عمران: 191.
- (37) مريم: 62.
- (38) الواقعة: 25.
- (39) النبأ: 35 للقارئ مراجعة تفسير الكشاف، ج4، ص519.
- (40) الغاشية: 11.
- (41) حادي الأرواح، ص: 338.
- (42) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (43) يونس: 9-10.
- (44) حادي الأرواح ص347.
- (45) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (46) الحج: 24، راجع تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج17، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ص104.
- (47) آل عمران: 31.
- (48) صحي مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ص308.

- (49) سورة الروم: 14-15.
- (50) تفسير ابن كثير، ج3، ص680.
- (51) حادي الأرواح، ص220.
- (52) تفسير القرطبي، ج14، ص54.
- (53) التذكرة، ص484.
- (54) المصدر نفسه، ص12.
- (55) تفسير القرطبي، ج14، ص13.
- (56) حادي الأرواح، ص220.
- (57) المصدر نفسه، ص221 والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (1598) وأخرجه أبونعيم في صفة الجنة (432).
- (58) ج10، ص419.
- (59) الإنسان: 20.
- (60) حادي الأرواح، ص237.
- (61) الطور: 85-88.
- (62) الطور: 21.
- (63) تفسير ابن كثير، ج4، ص351.
- (64) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (65) حادي الأرواح، ص333.
- (66) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (67) المصدر نفسه، ص244.
- (68) الواقعة: 37.

- (69) القرطبي، ج17، ص211.
- (70) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (71) البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ص338.
- (72) التوبة: 71-72.
- (73) عبدالرزاق بن عبدالمحسن البور، محاضرة مطبوعة، ص4-5.
- (74) تفسير ابن كثير، ج2، ص546.
- (75) يونس: 26. انظر : تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج11، مؤسسة التاريخ ، بيروت - لبنان، ط1، ص64.
- (76) ج8، ص33.
- (77) المصدر نفسه، الصفحة نفسها، صحيح مسلم، مجلد واحد، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، ص105.
- (78) كتاب الرقاق، باب الصراطجسر جهنم، ص342-343.
- (79) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج11، بعناية عبدالعزيز بن باز، كتاب الرقاق ، مكتبة الصفا، ط1، 2003م، ص501.
- (80) تفسير ابن كثير، ج2، ص547.
- (81) حادي الأرواح، ص253.
- (82) الموسوعة العلمية الميسرة، ترجمة، يوسف الشريف، مجلس تنمية الإبداع الثقافي، بنغازي، ط1، 2003، ص190.
- (83) المطرفين: 15، راجع كتاب التوحيد، الحافظ الكبير خزيمة، دار الجيل، بيروت، ط1988، ص196.

-
- (84) آل عمران: 77. أنظر تفسير روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين الألويسي البغدادي، تصحيح/ محمد أحمد الأمد وعمر عبدالسلام السلامي، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1999م، ص268.
- (85) يس: 58.
- (86) حادي الأرواح: 292.
- (87) لمزيد من التفاصيل، أنظر المصدر نفسه، ص230 وما بعدها.

واقع البحث العلمي في الوطن العربي وتحدياته في ليبيا

د.صلاح الدين محمد الشيباني

جامعة صبراتة

ملخص البحث:

تعرض البحث إلى وظيفة البحث العلمي، وهدف إلى الكشف عن واقع البحث العلمي في الوطن العربي، والتحديات التي تواجهه في ليبيا، وتناول الباحث محورين رئيسيين لوصف موضوع البحث وتحليله :

المحور الأول: واقع البحث العلمي في الوطن العربي.

المحور الثاني: التحديات التي تواجه البحث العلمي في ليبيا .

وأوصى البحث بالإهتمام بالإعداد الجيد للباحثين، وبجودة العملية التعليمية من مختلف النواحي، البنية التحتية والأستاذ الجامعي والمقررات والمناهج وطرق التدريس. والعمل على الربط بين تطوير عضو هيئة التدريس وبين أدائه البحثي والعلمي في المؤسسات التعليمية حتى لا يعفيه التدريس عن القيام بنشاط البحث العلمي. وإنشاء شبكة عربية للمعلومات تيسر حصول الباحثين على المعلومات وتتيح تبادل الآراء والأفكار، وإثراء المكتبة بالمراجع والكتب الحديثة.

ووجه إلى ضرورة اختيار الموضوعات البحثية ذات الصلة باحتياجات وقضايا المجتمع وسبل مواجهتها. وتوجيه موضوعات البحوث والدراسات في الماجستير والدكتوراه لهذا الغرض. وكذلك تشجيع الطلاب الباحثين بالمشاركة في الأبحاث التي يجريها الأساتذة لإكسابهم الخبرة العلمية بالإضافة إلى إشراكهم في المؤتمرات العلمية على المستوى المحلي والخارج، وأكد على ضرورة التعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحوث ووزارة التعليم والمستثمرين. والسعي لتحقيق موازنة معقولة في مجال البحث العلمي بين الناحية التطبيقية والناحية العملية. ونوه إلى تخصيص جزء مهم من الدخل القومي للبحث العلمي.

مقدمة: إن التقدم السريع الذي يشهده العالم اليوم له أسباب كثيرة ومتعددة، يقف في مقدمتها الإهتمام الكبير بالبحث العلمي، ففي الوقت الذي تقف فيه المشروعات العربية في مجال البحث والتطوير عند عتبة الدعاية البعيدة عن جدية الإنجاز، أو عند باب "الترف الأكاديمي" فحسب، نجد أن دول العالم المتقدم تركز الكثير من إمكاناتها لدعم البحث والتجارب العلمية المختلفة من أجل التطوير، ومن أجل مستقبل أكثر ثباتاً. وأصبح من المسلم به أن البحث العلمي هو المدخل الطبيعي لأي تقدم وأساس لكل نهضة حضارية، وأنه الوسيلة المثلى لتنمية المجتمعات، وسمة من السمات اللازمة لأي مجتمع كي يلحق بركب الحضارة المعاصرة، وله الفعالية الكبرى في التقدم والازدهار والإصلاح. وهو سبب من الأسباب الأساسية والهامة للتقدم العلمي والتنمية، لما له من مشاركة فعالة في التنمية بجميع جوانبها المختلفة الاقتصادية، والصناعية والزراعية، كما أنه يساعد على إيجاد الحلول للمشاكل التي تواجهها القطاعات الإنتاجية، ويساعد في تحسين الأداء وزيادة الإنتاج والحصول على جودة عالية للمنتجات والخدمات.

وتعتبر الجامعات هي المعقل الرئيس للبحث العلمي، فهي التي تربط العلم بالمجتمع وتنسق الجهود العلمية بهدف تقدم المعرفة الإنسانية من جهة، ولجعل العلم في تنمية المجتمع ونهضته من جهة أخرى، وهي أهم الجهات التي تهتم بالبحث العلمي والدراسات العلمية في مختلف فروع المعرفة لغرض الوصول إلى أفضل السبل لمعالجة مشاكل المجتمع باعتبارها تمتلك مقومات البحث العلمي مثل الخبراء والعلماء والباحثين في شتى ميادين المعرفة بالإضافة إلى التجهيزات الحديثة والمعامل والمختبرات، ومن أهم أهداف الجامعات العمل على رعاية وإعداد الباحثين من خلال البرامج التعليمية التي تقدمها للطلاب الدارسين في مراحل الماجستير والدكتوراه.

وعلى الرغم من ما تبدله الجامعات الليبية اليوم من جهود في مجال تطوير البحث العلمي خاصة في الدراسات العليا إلا أن البحث العلمي لا يزال يعاني قصورا واضح المعالم نظرا للكثير من المشاكل والمعوقات المتركمة لعقود التي لا تمكنه من تحقيق أهدافه.

ولكي يتمكن البحث العلمي من القيام بالمهام والاضطلاع بالأدوار المنتظرة منه، فإنه يجب رسم السياسة العامة للبحث العلمي بالجامعات ووضع خطة البحوث العلمية في كل جامعة في ضوء المشكلات التي ترد من قطاعات ومؤسسات الإنتاج بما يدعم العلاقة بين البحث العلمي وتلك القطاعات والمؤسسات، وهو ما يؤكد الدور الهام للبحث العلمي في حل المشكلات التقنية والمجتمعية الملحة.

وحاجتنا اليوم ماسة للإهتمام به سواء في الوطن العربي عامة أو ليبيا خاصة، فقد ثبت من خلال الدراسات أن العلم والتقانة في حال استثمارهما بجدية ودقة يسهمان في تطوير عملية التنمية بمختلف مجالاتها. فتقدم الدول لا يقاس بما حققته على المستوى السياسي والإقتصادي والإجتماعي فقط، بل يقاس أيضا بما حققته في مجال البحث العلمي، فقرة الدول أصبحت الآن رهينة بما توليه له من أهمية .

مشكلة البحث: يواجه البحث العلمي في العالم العربي عامة وليبيا خاصة العديد من التحديات والعقبات التي تعرقل مسيرة التنمية الإقتصادية والإجتماعية والعلمية بدرجات متباينة، ولكن ما يجمع بين هذه العقبات في معظم - إن لم يكن كل - هذه الدول هو نوعية التعليم متمثلا في المقررات والمناهج وطرق تدريسها، والبنية التحتية للمؤسسات والجامعات ومراكز الأبحاث، وضآلة مساهمة ومشاركة القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني في تفعيل وتمويل البحث العلمي في هذه البلدان. وكذلك الهوة بين مؤسسات البحث العلمي والمؤسسات الخدمية في المجتمع، في وقت أصبحت فيه الحاجة إلى الإهتمام بالبحث العلمي أشد منها في أي وقت مضى، حيث أصبح العالم في سباق محموم للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة التي تكفل الراحة والرفاهية للإنسان.

وفي هذا الإطار فإن مشكلة البحث تتمحور حول تحليل واقع البحث العلمي في الوطن العربي، والتحديات التي تواجهه في ليبيا.

أهمية البحث: يعتبر البحث العلمي من الوظائف الرئيسية للجامعة والمراكز البحثية، وهو البعد الأساسي في التنمية المستدامة، وله الدور الهام في بناء المجتمعات، وهو ليس رافدا للعمليات الإقتصادية والإجتماعية فحسب بل هو في الصميم من نسيجها، لأنه صيغة التقدم

التي بها تبنى الأوطان. من كل ما سبق تتبع أهمية البحث والتي تشير إلى أن أسباب التأخر المحلي والعربي في مجال البحث العلمي يعود لعدم توفر المقومات العامة للبحث العلمي والتي يمكن تحديدها أولاً: في البيئة التمكينية للبحث العلمي والتي تشمل كل ما هو لازم لتنشيط وتطبيق البحث العلمي. وثانياً: العنصر البشري (الباحث) فالمؤهلات والشهادات لا تكفي لتكوين الباحث، بل يحتاج البحث العلمي إلى بناء قدرات خاصة بالبحث وإلى نشر ذهنية البحث العلمي بين العاملين في الوسط العلمي بشكل عام. وثالثاً: الدعم المادي اللازم والذي يعد الركيزة الأساسية للبحث العلمي إلى جانب توفير الطلب على البحث العلمي، والذي يتطلب توفير النموذج التنموي على مستوى الدولة والذي يضع في خطته الاعتماد على العلم والتكنولوجيا كأداة للتنمية.

هدف البحث وتساؤلاته: يهدف البحث إلى الكشف عن واقع وظيفة من وظائف الجامعة ألا وهي البحث العلمي. وبالتالي يطرح البحث تساؤل مؤداه ما واقع البحث العلمي في الوطن العربي؟ وما التحديات التي تواجهه في ليبيا؟

وللكشف عن كل ذلك سيتناول الباحث محورين رئيسيين لوصف موضوع البحث

وتحليله

المحور الأول: واقع البحث العلمي في الوطن العربي .

المحور الثاني: التحديات التي تواجه البحث العلمي في ليبيا .

مفهوم البحث العلمي: كثيرة هي التعريفات التي تُعبر عن "البحث العلمي"، وتتنوع هذه التعريفات بتنوع أهدافه ومجالاته وأدواته ومناهجه، ولكن معظم هذه التعريفات تلتقي حول التأكيد على دراسة مشكلة ما بقصد حلها، وفقاً لقواعد علمية دقيقة، وهذا يعطي نوعاً من الوحدة بين البحوث العلمية رغم اختلاف حياديتها وتعدد أنواعها.

وقد تناول العديد من الباحثين مفهوم البحث العلمي، كما اختلفت مداخلهم وتباينت اتجاهاتهم حول هذا المفهوم، فكل واحد منهم قد نظر إليه من زاويته الخاصة وحسب ميوله أو قناعاته العلمية⁽¹⁾.

ويعد التعريف التالي للبحث العلمي من التعاريف الأكثر إنتشاراً وإستخداماً بين الباحثين في كتبهم ومقالاتهم، حيث يعرف البحث العلمي على أنه " عملية فكرية منظمة يقوم بها

شخص يسمى (الباحث) من أجل تقصي الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة معينة تسمى (موضوع البحث) بإتباع طريقة علمية منظمة تسمى (منهج البحث) بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشكلات المماثلة تسمى (نتائج البحث)⁽²⁾.

وعموماً فالبحث العلمي هو: الدراسة العلمية الدقيقة المنظمة لظاهرة معينة باستخدام المنهج العلمي للوصول إلى حقائق يمكن الاستفادة منها والتحقق من صحتها.

واقع البحث العلمي في الوطن العربي: من المعروف أن التعليم العالي في البلاد العربية قد ابتعد كثيراً عن التعليم العالي في البلدان المتقدمة، في محتواه وفي دوره الاجتماعي، فقد بلغ في تلك البلاد شأناً رفيعاً، وامتلك تميزاً في بناء ثقافة متكاملة، سياسية واجتماعية وثقافية، من خلال مشاركته الفعالة في هذا البناء. أما مجتمعاتنا العربية فتختلف في بنيتها، وفي مراحل تطورها، وفي حاجاتها عن المجتمعات المتقدمة، وعلينا أن نستنبط الوسائل والأساليب المناسبة لإصلاح التعليم العالي العربي، وهي وسائل وأساليب قد تختلف من قطر عربي إلى آخر نظراً لاختلاف مستوى تطور المجتمع والنظام التربوي والتعليمي فيه، كما علينا أن نعي أن التجديد لا يتم من خلال التقليد، وأن دعوات الإصلاح الناجحة تأتي انطلاقاً من الوعي الذاتي والجمعي بأهميتها والحاجة إلى وجود التعليم بصفة عامة، والتعليم الجامعي بصفة خاصة في رأس قائمة إهتمامات المجتمع، ووجود إدارة سياسية وقيادة واعية بأهمية إصلاح منظومة التعليم العالي، ورصد مبالغ مالية لعمليات الإصلاح ومشاركة أطراف العملية التعليمية كافة في عملية الإصلاح، وإرساء معايير واضحة تحكم سير العملية التعليمية والعمل على تغيير أساليب التعليم الجامعي، بحيث تستطيع الوقوف أمام التحديات المستقبلية والعمل على مواجهتها، وتدعو الحاجة ضرورة الإرتقاء بمستوى جودة المخرجات، لأن تقدم المجتمعات يعتمد على كفاية مخرجاتها لنخبة متميزة، بما يضمن توظيفها لمصلحة مستقبل المجتمع وإزدهاره، وبالتالي يتوجب القيام بعملية المقارنة مع أنظمة التعليم العالي المتقدمة، واستناد عملية الإصلاح إلى التخطيط والتقويم والبحث والمنهج العلمي، والنظر إلى التعليم الجامعي على أنه القاطرة التي تقود المجتمع، وأنه حجر أساس التنمية والنهوض الحضاري⁽³⁾.

من خلال ما سبق تدعو الحاجة إلى الإهتمام بجودة التعليم فهي ما ينعكس إيجاباً على البحث العلمي الذي لا مناص منه لكي نصل إلى ما وصلت إليه الدول المتقدمة. خاصة وأن الإعلان العالمي بشأن التعليم العالي للقرن الحادي والعشرين الصادر عن المؤتمر العالمي للقرن الحادي والعشرين (الرؤية والعمل) الصادر عن منظمة اليونسكو في 5 - 9 أكتوبر 1998م بباريس يحدد في بعض فقراته بأن من مهام التعليم العالي ووظائفه تطوير وإستحداث ونشر المعارف عن طريق البحوث، وكذلك تسخير نتائج البحوث لما فيه مصلحة البشرية.

ولعل من المقولات التي سمعناها ونسمعها على الدوام في عالمنا العربي - الإسلامي ضرورة تنمية القدرات الذاتية وسد الفجوات الحضارية وامتصاص الصدمات المستقبلية، بيد أن واقع الحال مغاير تماماً لتلك المقولة. وفي محاضرة للعالم المصري أحمد زويل الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء (1999م) بقاعة الصداقة في الخرطوم أبان أن هناك فجوة علمية كبيرة يستحيل تجسيرها في الوقت الحاضر بين العالم الغربي (أوروبا وأمريكا) والدول النامية ومن بينها الأقطار العربية والإسلامية. وأورد العالم أحمد زويل أن ما يصرف على البحث العلمي في العالم العربي لا تزيد نسبتته عن 1% من إجمالي الدخل القومي مقارنة بإسرائيل (3%). واتساقاً مع ما أورده العالم المصري نلحظ مفارقة غير مبررة بالتأمل في الوضع العلمي بين العالم العربي وإسرائيل، فعدد الكتب والدوريات العلمية التي تصدر سنوياً في الأخيرة يبلغ 4000 إصدار في حين أن العالم العربي ينتج فقط 400 دورية ومؤلفاً رغم الإمكانيات المالية المهيولة للعرب وبخاصة دول الخليج البترولية، وتترجم جمهورية مصر العربية، أكثر الدول العربية سكاناً، مائة كتاب في العام مقابل 25 ألف كتاب يترجمها اليونانيون و18 ألف كتاب يترجمها الأتراك، وتترجم كتاباً واحداً مقابل ألف وسبعمائة كتاب يترجمها اليابانيون.

وبلغ عدد معاهد الدراسات الاستراتيجية 15 معهداً في إسرائيل لوحدتها مقارنة بـ 12 معهد في كل العالم العربي. وتورد بعض الإحصائيات (2008م) أن نسبة القراءة في العالم العربي تتراوح بين 4% - 5% فقط. ويصدر العرب كتاباً واحداً لكل 12 ألف إنسان بينما هناك كتاب واحد لكل 500 بريطاني ولكل 900 ألماني. ورغم أن عدد

الفضائيات العربية وصل الآن 482 فضائية - وهو رقم مرشح للزيادة- فما هو مخصص للعلوم والثقافة من هذه الفضائيات لا يتعدى 5% من إجمالي هذا العدد⁽⁴⁾.

ويلزم التنويه إلى أن المنطقة العربية والشرق الأوسط وشمال أفريقيا والتي يقطنها أكثر من (377) مليون نسمة لا تحظى بتمثيل لائق في الفضاء الإلكتروني حيث يقوم (56) مليون شخص (17%) فقط من مستخدمي الإنترنت بالبحث باللغة العربية.

ونجد أن هناك اهتمام بالمنشورات العلمية وبراءات الاختراع في الدول العربية وهي مؤشرات مفيدة لنشاط البحث العلمي والتطوير الثقافي إلا أنها لا تعبر بحد ذاتها عن النشاط الابتكاري المنتج الداعم للتنمية كما أن الأسواق تكاد تخلو من الابتكارات العربية مما يشير إلى أن إنتاج المعرفة لم يصل إلى التجديد، وغالب الجامعات العربية التي تزيد عن 184 جامعة تنتشط في البحث العلمي المرتبط بالدراسات العليا والترقيات العلمية، ويتسم البحث العلمي بالطابع التجريدي لا الاحتياجات الاجتماعية إلا نادراً.

وتنشأ معظم المؤسسات بدون هدف عام واضح وتنظم بأساليب بدائية عاجزة، وتضع المؤسسات البحثية أمام الباحثين إطاراً تقليدياً لاختيار الموضوعات باستثناء حالات لا يمكن القياس عليها⁽⁵⁾ لذا فهي لم تتجح في تناول القضايا الحيوية في المجتمع العربي بالتحليل، بل ولم توفق في دراسة ما عرضت له من موضوعات، مما دعا البعض إلى القول بأن معظم مراكز ومؤسسات البحث العلمي والتطوير التكنولوجي قد تحولت إلى مراكز توظيف أكاديمي حيث تركز أساساً على العمل الأكاديمي بدلاً من تركيزها على البحث العلمي⁽⁶⁾. كما أن البحث العلمي في الوطن العربي بصفة عامة وليبيا خاصة يواجه بقوى وتحديات داخلية وخارجية، تستهدف الحفاظ عليه في حالته الراهنة، بوصفه نشاطاً يهدر الإمكانيات المادية والعقلية أكثر منه نشاطاً لاستثمارها والاستفادة منها، والحفاظ على مؤسساته البحثية المختلفة في حالتها الراهنة ككيانات منفصلة عن الواقع الاجتماعي والتنمية العربي عاجزة عن الاستفادة من معطياته وعاجزة أيضاً عن الوفاء بمتطلبات ذلك الواقع العلمية والتنمية، وإذا أخذنا مؤشر التمويل على سبيل المثال فوفقاً لإصدار 1998 من تقرير "العلم في العالم" يعد تمويل البحث في العالم العربي من أكثر المستويات انخفاضاً في العالم⁽⁷⁾.

لذا يجب أن نخرج من إطار ردود الفعل إلى صناعه الفعل، وهذا يتطلب إستراتيجية قومية واقعية، تُعرض بشفافية بحيث يلتف حولها الجميع ويلزم ذلك أن يكون هناك قناعه وإيمان لدى صانعي القرار بأن البحث العلمي ضروري وهام وأنه وراء كل تقدم في العالم، وكذلك العمل الجدي على توعية قيادات القطاع الخاص بأهمية البحث العلمي وضرورته لحلول المشكلات المختلفة، مما يسهم برفع الكفاءة الإنتاجية لهذه القطاعات، ويؤدي أيضا بدوره إلى زيادة مساهمة هذا القطاع في تمويل عمليات البحث العلمي، وليس فقط الاعتماد على الحكومة كمصدر وحيد للتمويل، أسوة بما يحصل في بلاد العالم المتقدم.

وهذا يتطلب الاهتمام بجودة رأس المال البشري وتوفير نماذج لاختيار المشكلات الاجتماعية وتحديد الحلول المناسبة وكذلك الإطار الذي من خلاله يمكن لثقافة وقيم المجتمع أن تُدرس وتتطور⁽⁸⁾. وتبقى سلامة الجهود البحثية وجدواها بل ومشروعيتها لا تقاس بقيمتها العلمية (النظرية والمنهجية) فقط ولكن أيضا بقدرتها على الإسهام في تحقيق تقدم على طريق حل مشكلاتنا. وتبدو الحاجة ماسة كما يدعو "التقرير الاقتصادي العربي الموحد"⁽⁹⁾ أكثر من أي وقت مضى لإعتماد سياسات فاعلة للتنسيق بين التنمية والبحث العلمي والتطوير والابتكار، ويتطلب ذلك، من بين أمور أخرى، إعادة بناء ودعم مؤسسات البحث العلمي بما فيها مواقع البحث في الجامعات ضمن أفق أوسع مع ربط هذه المؤسسات بمواقع الإنتاج العامة والخاصة، والتي يتعين بلورة وإيجاد مفهوم عام ومقبول بدورها في تطوير المجتمع ضمن وظائفها الاجتماعية.

ولا يخفى الارتباط الوثيق والتفاعل المفترض بين البحث العلمي وتطبيقاته التكنولوجية، بالتنمية الوطنية والإعمار، ويبدو أن الدول المتقدمة صناعيا، بارعة في ترسيخ هذا الارتباط والاستفادة منه لأقصى الحدود، حيث يعود التحسن في مستوى معيشة أفرادها بنسبة 60 إلى 80% إلى التقدم العلمي والتقني، بينما يعزى هذا التحسن بنسبة 20 إلى 40% إلى وجود رأس المال⁽¹⁰⁾.

إن تحقيق التنمية المستدامة بإعتبارها هدفا إستراتيجيا، يفترض أن يلبي إحتياجات الحاضر دون الإخلال بقدرات وإحتياجات الأجيال المقبلة، ويتطلب ذلك إستحضار عنصر

البحث العلمي والانفتاح على ما تتيحه التكنولوجيا الحديثة من إمكانيات وإنجازات واعدة في هذا الشأن.

وهذا ما تؤكد العديد من التجارب العالمية في كل من كوريا الجنوبية والصين وماليزيا التي إستثمرت خلالها الإمكانيات المذهلة التي يتيحها هذا الحقل وما يرتبط به من تقدم علمي، بشكل فعال لصالح تطور وتنمية ورفاهية المجتمع في مختلف الميادين والمجالات، وما يتبع ذلك من حث وتشجيع على البحث والإبتكار وإستثمارهما على أحسن وجه.

فالدول التي تعرف كيف تطبق مخرجات البحث العلمي، نجدها دائما تحتل مكان الصدارة في مجالات عديدة، مثل تصنيع الآلات والأجهزة الحربية، وهذا يجعلها تتفوق عسكريا، وتكثر مساهماتها الثقافية والعلمية في الحضارة الإنسانية، أو في مجال تقديم الخدمات المتنوعة لمواطنيها وفق أحدث الأساليب، أو في نموها الاقتصادي وبناء المصانع وزيادة الإنتاج وحسن إستغلال الموارد الطبيعية⁽¹¹⁾.

التحديات التي تواجه البحث العلمي في ليبيا: يعاني مجتمعنا اليوم من إشكالية تحكم العلاقة بين البحث العلمي والواقع الاجتماعي، فلا يزال البحث العلمي عاجزا عن الاستجابة الجدية لمشكلات هذا الواقع، فهو لا يزال يعيش في معظم الأوقات مع نفسه سواء كان ذلك في مجال العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية رغم أن البحوث في العلوم الطبيعية تجري تجاربها بشكل محكم في المختبرات العلمية إلا أن الاستفادة من نتائجها لازال محدوداً، كذلك ما يجري في مجال الدراسات الاجتماعية يخالف منطق البحث الاجتماعي عند (جون ديوي) الذي يرى ضرورة ارتباط البحث العلمي بمشكلات واقعية محددة ومعينة، وبالتالي ضرورة العمل على ربط الأبحاث العلمية بمشاكل المجتمع وقطاعاته المختلفة، الصناعية والزراعية والخدمية، الخاصة منها والحكومية، من خلال المسوح الشاملة لهذه المشكلات وضرورات الحاجة الملحة لحلها بما يخدم برامج التطوير والتنمية الشاملة، ويلعب التنسيق هنا بين مراكز الأبحاث في الجامعة وخارجها دورا مهما في هذا المجال للتركيز على الأبحاث النوعية ومنع تكرار البحوث ذات المشكلات المتشابهة، مما يجب الإهدار في الإنفاق والجهد ومضيعة الوقت.

ومن خلال الملاحظة فإن البحث العلمي يعاني قصوراً في تلبية الاحتياجات الماسة والعاجلة وما زال دون المستوى المطلوب من أجل تحقيق تنمية شاملة، وذلك نظراً لوجود العديد من المشاكل تتمثل أساساً في ضعف مستوى إعداد الباحثين وعدم توفر المناخ المناسب للعمل والإفتقار إلى المعلومات وصعوبة الحصول عليها وانخفاض نسبه ما تخصصه الدولة من ميزانيتها للإنفاق على البحث العلمي والتكنولوجيا.

وتؤكد نتائج بعض الأبحاث إلى أن عدم التخطيط الجيد وعدم تهيئة المناخ المناسب لإجراء البحث العلمي هو لب المشكلة يلي ذلك إعداد الباحثين فالإدارة والتمويل⁽¹²⁾ وأشار بحث آخر إلى غياب إستراتيجية أو خطة تسترشد بها مؤسسات البحث العلمي على المستويين القومي والقطري وترتبط بإستراتيجيات أو خطط عامة للتنمية الإجتماعية الشاملة لذا أصبح النشاط والمنتج البحثي يتسم بطابع العشوائية والتبعثر بل وبانعدام الهدف المجتمعي له وأصبح الذي يحكم اختيار مشكلات البحوث ومجالاتها عوامل فردية خاصة بالباحثين (مثل إهتماماته الشخصية أو ميدان عمله أو سهولة جمع المادة أو نوع التدريب الذي حصل عليه أو تأثره بنمط البحوث الذي يجري بالبلد الأجنبي الذي تلقى هو أو أساتذته تعليمه فيه) وحصيلة ذلك كله غياب القضايا القومية الكبرى التي يفترض أن تكون لها الأولوية في البحث⁽¹³⁾.

كما تشير نتائج البحوث إلى أن الأزمة لا تكمن في نقص علمية العلم وإنما في اختيار مداخل منهجية قاصرة، واستعمال أساليب بحث وأدوات جمع معلومات معيبة بطريقة غير سليمة، وارتكاب أخطاء كثيرة في ممارسة البحث ، والتفريط في الوظيفة التنظيرية للعلم، بالإضافة إلى سوء الفهم والخلط⁽¹⁴⁾.

وقد أكدت نتائج دراسات محلية أن من التحديات التي تواجه الجامعات الليبية هو عدم فاعلية البحث العلمي وانفصاله عن المشكلات التي تعاني منها القطاعات الصناعية والخدمية بسبب تركيز الجامعات على وظيفتها التعليمية وليس الثقافية . وأوضحت أيضاً أن هناك بعد بين الجانب النظري والجانب التطبيقي للعلوم المختلفة وبالتالي تدني مستوى الخريجين من حيث المهارة مما يجعلهم غير قادرين على نقل المجتمع إلى عصر المعلومات. وبينت أن ليبيا تفوقت على 10% فقط من بلدان العالم فيما يتعلق بالتعاون

العلمي بين الجامعات والمنشآت الصناعية إضافة إلى ذلك حققت ليبيا نسبا متدنية في جودة مراكز البحوث وإنفاق المنشآت على البحث والتطوير وفي مدى جاذبية البلد للعقول والكوادر البشرية وتعود أسباب ذلك إلى تراجع الإهتمام باقتصاد المعرفة. وأشارت إلى تدني مستوى أداء الأستاذ الجامعي ومن ثم جودة المعايير المطبقة فعليا في اختيار المعيد وعضو هيئة التدريس والتي لا تعكس إلا نسبة قليلة من المعايير الواجب استخدامها في اختيارهم، وعدم اهتمام أعضاء هيئة التدريس بالبحث العلمي والتأليف والنشر، وعدم قيام الجامعة بتوفير الدوريات الحديثة ولا تقدم اشتراكات لأعضاء هيئة التدريس في المجالات العالمية. ولا توجد سياسات قوية تلزم من خلالها الجامعة عضو هيئة التدريس بالمنهج العلمي المقرر (15).

وكذلك يوجد عدد من التحديات تفرضها ممارسات الجماعة العلمية نفسها فهي تركز الفردية والنزجسية والتعصب العلمي، وإقصاء الآخر العلمي، والعبث بأخلاقيات الممارسة العلمية، والاستسهال، وما إلى ذلك من ممارسات وقيم قد يطول المقام بالإفاضة فيها وتفسيرها ورصد نتائجها المعوقة لمسارات البحث السوسولوجي (16).

كما أن المناخ العام يدفع بالباحثين إلى الاستغراق في حالة من التأمل النظري المكتبي والتعامل مع مفاهيم معقدة لا صلة بينها وبين الواقع المجتمعي وقضاياها (17).

يضاف إلى ذلك أن ممارسة النقد خاصة بين كبار الأساتذة المتخصصين ما زال ضعيفاً وانعكس ذلك على مستوى الرسائل العلمية (للمجستير، والدكتوراه) أو على مستوى أبحاث أعضاء هيئة التدريس (18)، وعادة ما تتدخل المجاملات والعلاقات الإجتماعية في إجازة الرسائل أو بحوث الترقيات العلمية. ولهذا نجد أن البحث العلمي يفتقر إلى كثير من الجدية والدقة فضلا عن الإحساس بالمسؤولية الوطنية والقومية (19).

وتشير معظم الأبحاث إلى أن الميزانية المخصصة للبحث العلمي تلعب دوراً أساسياً في جودة البحث العلمي وإن العلاقة بينهما طردية. وهذا ما تؤكد نتائج البحوث الميدانية التي ترى أن أهم معوقات التعليم والبحث العلمي ترجع إلى قلة الإمكانيات المادية، وكذلك النواحي العلمية والإدارية والاجتماعية (التي تتعلق بنظرة المجتمع للبحث العلمي) والسياسية من خلال علاقة الجامعة بالدولة (20). إلا أن هناك دراسة أخرى تختلف مع ما

سبق حيث تشير إلى أن الميزانية لا تعد معوقاً أساسياً وتذهب إلى أن معوقات البحث العلمي لا تكمن في الميزانية المادية وعدم توفر مستلزماته كما يُعتقد ولكن يكون التعبير الأكثر ملائمة إذا قلنا أن عدم تهيئة المناخ المناسب والتخطيط الجيد لإجراء البحث العلمي هو لب المشكلة⁽²¹⁾.

ونجد أن هناك نظرة قصور للبحث العلمي لدى المسؤولين ورسمي السياسات، إذ يرون أن حل المشكلات المختلفة لا بد أن تكون باستيراد النماذج الجاهزة والناجحة في بيئاتها الأصلية عوض الإعتماد على الاقتراحات التي تضعها البحوث والتي يصعب التأكد من فرضية تحققها ميدانياً، وكذلك عدم التفهم الكافي من قبل بعض المسؤولين لأهمية نتائج البحث العلمي واستخدامها، والاستعلاء من جانب البعض، والإدعاء بوضوح أسباب المشاكل، ونجد أن هناك عزوف شبه تام من مسؤولي المؤسسات العامة والخاصة من الإعتماد على نتائج البحوث العلمية في المجال الصناعي والتقني فما بالك إقبالهم على نتائج البحوث الإجتماعية والتي لا يؤمنون بجودها وأهميتها في رفع الإنتاج وتطويره . وبالتالي نجد أن البيئة العلمية في الجامعات الليبية تعاني من صعوبات، فهي لم تبدأ فيما يعرف الآن بإنتاج المعرفة، إضافة إلى أن برامج الدراسات العليا لازالت بعيدة عن هدف إنتاج المعرفة وتنقصها الإمكانيات والتفاعل مع مراكز البحث العلمي العالمية، فهي الأخرى مثل سائر أنواع التعليم الأخرى تهتم بالكم ولا تسعى إلى الكيف والتنوع، إضافة إلى أنها تقليدية فيها الكثير من الإزدواجية والتكرار وبعيدة عن الإتجاه العالمي الآن وهو تداخل وتكامل العلوم والتخصصات في برنامج واحد⁽²²⁾.

وبمقارنة أخرى نلاحظ أن هناك ضعف كبير داخل الجامعات الليبية في وظيفة البحث العلمي من عدة جوانب منها إعداده ومعالجته وتدريبه وأسلوب ممارسته، وبالتالي يستوجب من المسؤولين في هذه الجامعات ووزارة التعليم العالي المشرفة عليها ضرورة التفكير في كيفية معالجة هذا القصور حتى يتم تفعيل دوره في الجامعات، والنظر إلى واقع البحث العلمي في برامج الدراسات العليا والمشاكل التي تعترض ممارسته من قبل الطلاب ومدى ارتباط موضوعاته التي يناقشها الطلاب بالجوانب التطبيقية لمعالجة مشكلات المجتمع الليبي وتميمته أيضاً، كما يجب معالجة قضية هامة جدا وهي

موضوعات البحث العلمي التي يناقشها الطلاب الدارسون في مرحلة الماجستير والدكتوراه ومدى الاستفادة من نتائجها وكيفية الربط والتنسيق بين الجهات المستفيدة من نتائج تلك البحوث ومراكز البحث العلمي إضافة إلى التعرف على مدى تأثير العوامل المساعدة لتنمية وتطوير البحث العلمي من مكاتب ومعامل لدعم البحث العلمي في الدراسات العليا⁽²³⁾.

كل هذه المطالب منوطة على عاتق وزارة التعليم وإدارات الجامعات ويجب على كافة هذه الجهات تحمل مسؤوليتها في تنمية الحركة الفكرية والثقافية وممارسة البحث العلمي في كافة المجالات الأدبية والفنية والاقتصادية والإدارية، والإهتمام بإعداد الكوادر البشرية المؤهلة واللازمة لمعالجة المشاكل الاجتماعية وتحمل المسؤولية الاجتماعية والمهنية في مواقع العمل المختلفة وتهيئة الجامعات الليبية لاستقطاب الباحثين المتخصصين في المجالات العلمية المختلفة وخاصة أولئك الذين أثبتوا جدارتهم في ميادين المعرفة والعلم والحاصلين على الدرجات العلمية من الجامعات المحلية والعالمية، كما أنه من المهم أن يخضع اختيار أعضاء هيئة التدريس في الجامعات إلى عدة معايير حتى لا يصل إلى منصب أستاذ الجامعة إلا من كان جديراً بهذا الشرف⁽²⁴⁾.

كما يجب الإهتمام بالبحث العلمي الموجه للإقتصاد الليبي وتحدياته المختلفة، ودفعه ليكون إقتصاداً مزدهراً ومنتجاً قادراً على النمو يحتاج دائماً إلى أيدٍ عاملة جديدة وعقول علمية مستتيرة مبدعة تخرجها الجامعات ومراكز البحث العلمي، وقادرة على العمل وتطوير الإقتصاد وإنتاجيته وقدرته على المنافسة والجودة في السلع والخدمات التي ينتجها⁽²⁵⁾.

فالجامعات الناجحة عالمياً هي تلك الجامعات التي تفتح أبوابها للمجتمع الموجودة فيه وتقوم بمعالجة مشاكله، وتصف له العلاج ومهتمة بتطلعات وطموحات هذا المجتمع وترسم له طريق النجاة من خلال ما تقوم به من دراسات كما يجب على جامعاتنا أن تسعى من خلال برامجها للدراسات العليا إلى تخريج أعضاء أكفاء قادرين على العمل في مجال البحث العلمي وعلى المشاركة في ربط البحث العلمي بالمجتمع الليبي والمشاركة الفعلية في تقديم أعمال تعالج مشاكل التنمية والقطاعات المرتبطة بها، وكذلك يجب عدم

ترك المجال لإختيار موضوعات الأبحاث للباحث نفسه، بل يجب أن توجه البحوث لمعالجة القضايا الفعلية في المجتمع، وإلا أصبحت هدر للوقت والجهد، كما علينا خلق شركات ذات قدرة فعلية لتحويل نتائج بحوث الطلاب في الجامعات الليبية إلى انجازات مادية لأن التقنية تعني تحويل نتائج البحوث العلمية إلى انجازات مادية فهل وصلت جامعاتنا بأبحاثها وبرامجها إلى كسب ثقة القطاع الخاص المستفيد من الأبحاث التي تقذف بها جامعاتنا بدلا من أن تبقى الأبحاث حبيسة الأدرج. هذا هو التحدي الحقيقي، وحتى نصل إلى ذلك نحن بحاجة إلى أن نعيد النظر في برامج الدراسات العليا وخاصة ما يرتبط بالبحث العلمي من ناحية واختيار موضوعات البحث من ناحية أخرى⁽²⁶⁾.

خاتمة البحث وتوصياته: يؤكد كل ما سبق أن البحث العلمي هو الذي يمنح المجتمع قوته الإنتاجية، التي تسهم في الإنتاج الإقتصادي وفي المعرفة وفي المعلومات وفي مجالات الإبداع الأخرى. ولهذا يرى خبراء التنمية أن البحث العلمي هو القاطرة التي تدفع المجتمع نحو استدامة التنمية.

ولعل الفكرة الأساسية التي نود تأكيدها في هذا السياق هي أنه كما يكون المجتمع - بنية وعلاقات - يكون البحث العلمي والعكس يكاد يكون صحيحاً ولهذا يجب أن نتطلع للتنمية في ليبيا لإعداد رأس المال البشري وتمكينه كي يكون فاعلاً تنموياً في مجتمعه، بل والوطن العربي بأسره بهدف أن يكون للبحوث العلمية دور فعال في تحقيق التنمية المستدامة. من أجل تقديم تصورات للبدائل التي يمكن إتباعها لبلوغ هذا الهدف انطلاقاً من الواقع وما يتوفر به من إمكانات يجب تنظيمها واستغلالها عبر إقامة مجتمع المعرفة حتى نملك من أسباب العزة والمنعة المعرفية ما يمكننا من الوجود باقتدار في مجتمع المعرفة العالمي الآخذ في التشكل.

هذا ويمكن الخروج ببعض التوصيات من أهمها:

1 - الاهتمام بالإعداد الجيد للباحثين، والاهتمام بجودة العملية التعليمية من مختلف النواحي، البنية التحتية والأستاذ الجامعي والمقررات والمناهج وطرق التدريس.

- 2- اختيار الموضوعات البحثية ذات الصلة باحتياجات وقضايا المجتمع وسبل مواجهتها. وتوجيه موضوعات البحوث والدراسات في الماجستير والدكتوراه لهذا الغرض.
- 3 - إنشاء شبكة عربية للمعلومات تيسر حصول الباحثين على المعلومات وتتيح تبادل الآراء والأفكار، وإثراء المكتبة بالمراجع والكتب الحديثة.
- 4 - تشجيع الباحثين من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمراكز البحثية على التعاون لإجراء بحوث جماعية بدلاً من البحوث الفردية، فالبحوث الجماعية تساعد على تناول المشكلات والقضايا التربوية بصورة كلية شاملة.
- 5- التعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحوث ووزارة التعليم والمستثمرين.
- 6 - السعي لتحقيق موازنة معقولة في مجال البحث العلمي بين الناحية التطبيقية والناحية العملية.
- 7 - الربط بين تطوير عضو هيئة التدريس وبين أدائه البحثي والعلمي في المؤسسات التعليمية حتى لا يعفيه التدريس عن القيام بنشاط البحث العلمي.
- 8 - تشجيع الطلاب الباحثين بالمشاركة في الأبحاث التي يجريها الأساتذة لإكسابهم الخبرة العلمية بالإضافة إلى إشراكهم في المؤتمرات العلمية على المستوى المحلي والخارجي.
- 9 - تخصيص جزء مهم من الدخل القومي للبحث العلمي.

مراجع البحث:

- 1 - محمد مسعد ياقوت (2007)، أزمة البحث العلمي، دار النشر للجامعات، القاهرة.
yakut.blogspot.com/2007/07/blog-post_4121.html
- 2 - الغالي احراشاو، معوقات التأسيس العلمي للعلوم الإنسانية في الوطن العربي، مجلة الوحدة، السنة الخامسة، العدد (50)، نوفمبر 1988، ص22.
- 3 - مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، إصلاح منظومة التعليم الجامعي الحكومي في ليبيا - الواقع والمستقبل <http://www.ssraw.org>
- 4 - ناصر عراق، حول "التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية"، مجلة دبي الثقافية، العدد (43) السنة الخامسة، ديسمبر 2008م، ص162.
- 5 - فريدريك معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص 140.
- 6 - علا الحكيم، قطاع البحث العلمي والتكنولوجيا وتحدياته، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، معهد التخطيط القومي، القاهرة، ديسمبر، 2003، ص 214 .
- 7 - توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد 186، الكويت، ديسمبر 1992، ص 13 .
- 8 - United Nations, Responding To Globalization : Skill Formation And Unemployment Reduction Policies , New York , 2003 , pp 15-17.
- 9- الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سبتمبر، 1999، ص 59.
- 10 - فهد العرابي الحارثي، أزمة البحث العلمي والتنمية، (يونيو / 2011)،
www.asbar.com/ar/contents.aspx?c=994
- 11 - محمد كيلاني، معوقات الأخذ بنتائج البحوث الاجتماعية في رسم السياسات وصنع القرار في العالم العربي، www.asbar.com/ar/contents.aspx?c=971

- 12- مبارك بن سعيد حمدان، كمال الدين محمد هاشم، معوقات البحث التربوي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعه الملك خالد بأبها، مجلة كلية التربية، العدد 31، جامعه طنطا، يونيو، 2002، ص ص 305 - 321 .
- 13 - سمير نعيم أحمد، علم الإجتماع والإلتزام بقضايا الإنسان العربي، في كتاب : المنهج العلمي في البحوث الإجتماعية ، ط5، دار سعيد رأفت، القاهرة، 1988 ، ص 269 .
- 14 - محمد عزت حجازي، الأزمة الراهنة لعلم الإجتماع في الوطن العربي، نحو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1986، ص 25.
- 15 - رحاب محمد بن سعود، التحديات الغير تقليدية للبحث العلمي في ليبيا وسبل مواجهتها، جامعه بنغازي، كلية الإقتصاد، uob.edu.ly/assets/uploads/pagedownloads/e3df5
- 16 - عبد الباسط عبد المعطي، إنتاج المعلومات السوسولوجية: المهام والتحديات، مؤتمر الأدوار المستقبلية لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا في مصر ، 13-14 مايو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998 ، ص ص 1-5 .
- 17 - رايت ميلز، الخيال العلمي الإجتماعي، ترجمة عبد الباسط عبد المعطي وعادل الهواري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص ص 2 - 4 .
- 18 - محمد الجوهري، حاجة الانثروبولوجيا في مصر إلى تيار نقدي جديد، في مؤتمر الأدوار المستقبلية لعلم الاجتماع، 13-14 مايو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص ص 1-2 .
- 19 - محمد عزت حجازي، مرجع سابق، ص 30 .
- 20 - منال رشاد عبد الفتاح، أهم المعوقات التي تواجه البحث العلمي بجامعه قناة السويس، دراسة حالة، المؤتمر السنوي الرابع عشر، كلية التربية، جامعه المنصورة، ص 245.
- 21 - مبارك بن سعيد حمدان كمال الدين محمد هاشم، معوقات البحث التربوي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعه الملك خالد بأبها، مرجع سابق ص297.

- 22 - علي الحوات، التنمية البشرية في عالم متغير، دراسات في المجتمع الليبي، طرابلس، منشورات الجامعة المغربية، ط2، ص 214.
- 23 - مفتاح محمود الزعيليك، البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعات الليبية، منظمة المجتمع العلمي العربي، <http://www.arsco.or>
- 24 - المرجع السابق نفسه.
- 25 - علي الحوات، التنمية البشرية في عالم متغير، مرجع سابق، ص 2018.
- 26 - مفتاح محمود الزعيليك، البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعات الليبية، مرجع سابق.

إيطاليا..... وفكرة احتلال ليبيا

د. مصطفى علي هويدي

جامعة الجبل الغربي

تقديم:

لقد كانت تجربة الإيطاليين الاستعمارية في أفريقيا فاشلة ولم يكتب لها النجاح من جميع الجوانب، ففي سنة 1896م عندما قام الجيش الإيطالي بالاعتداء على القوات الحبشية ودارت بين الطرفين أشد المعارك (معركة عدوة) التي نتج عنها انهزام الجيش الإيطالي أشد وأمر هزيمة عرفها الإيطاليون حتى ذلك الوقت في التاريخ المعاصر، فقد تم قتل ستة آلاف من الإيطاليين وجرح ألفين وأسر ألفين آخرين...⁽¹⁾.

ووصل خبر الهزيمة إلى روما عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فقدم رئيس الوزراء استقالته في الحال خشية مواجهة ردود الفعل وهيمنت خيبة الأمل على الساسة الإيطاليين، وقد علق موسوليني على ذلك فيما بعد بقوله أن خسارة عشرة آلاف رجل إيطالي سوف تبقى في مخيلته إلى الأبد...⁽²⁾.

وظلت هذه الهزيمة تؤرق الضمير الإيطالي حيث خرجت الجموع الإيطالية غاضبة في مظاهرات زاحفة في الشوارع غالبية عليها خيبة الأمل... وعندما استقر الرأي الإيطالي الحكومي على غزو ليبيا لمحو عار الهزيمة السابقة لقرب ليبيا من إيطاليا وقلّة عدد سكانها واتساع رقعتها، فإن نسبة من الشعب الإيطالي كانت رافضة لتلك المغامرة، فدعا الاشتراكيون طبقة العمال إلى الإضراب العام وحددوا لذلك موعداً في يوم 25 سبتمبر 1911م، وقد استجاب لذلك معظم العمال في روما - ومودينا - وبيروجيا - وبارما - وكابري - وبولونيا - وميلانو.. وغيرها من المدن الأخرى...⁽³⁾.

ردود الفعل الإيطالية: وقد عقدت الكثير من اللقاءات والمؤتمرات العامة وندد الخطباء فيها بمشروع الاحتلال الإيطالي لليبيا ووصفوه بأنه عملية خاسرة وفاشلة، إضافة إلى انه اعتداء على الحريات في ساحة البحر المتوسط وأصدر الحزب الاشتراكي بياناً اثر عقده في مدينة Modina وكان مما جاء فيه:

"إن الحزب يعارض الحرب الاستعمارية ويستتكر التسلط والعدوان"، وقد اتهم توراتي الحكومة بالحمافة وقال "إن التفكير في غزو ليبيا سيؤدي إلى حرب عدوانية ليس لها ما يبررها سوى محاولة إيجاد متنفس للغرائز الرجعية وثغرة يتسلل منها الرجعيون إلى كرسي الحكم..."⁽⁴⁾.

ومن أقوال النائب البرلماني دي رنزي Di Rinzi "أنا أكره السياسة العدوانية ولا أقر الحرب ولا أرتضيها لا في البحر الأحمر ولا في البحر المتوسط..."⁽⁵⁾.

وكان الصحفي سالفيميني يكتب مقالات في جريدة أفانتي Avanti ويفند بالحجج والبراهين الدامغة معاذير الحكومة الإيطالية لتبرر غزوها لليبيا باستغلال الثروات التي زعموا أنها موجودة، بأنها أحلام خيالية لا وجود لها إلا في مخيلة مروجيها...⁽⁶⁾.

وكتب يقول بأن الحملة الإيطالية هي نتيجة جهل وطيش الطبقة الحاكمة التي تتأثر بالبعاطوية أنها عملية ليست لها فائدة فهي تعتبر خيانة لسكان الجنوب الذين ينتظرون تسوية مشاكلهم بشأن الفقر والتخلف...⁽⁷⁾.

وكان موسولينى Myssolini قاسياً في شجبه ورفضه للحرب فقد قال كل اشتراكي صادق يجب أن يرفض هذه المغامرة أنها تعني فقط إراقة الدماء بطريقة غبية لا فائدة منها...⁽⁸⁾.

أما النائب كوليني فقد صرخ في وجه جبوليتي Giolitti قائلاً: " إن الشعب لا يريد الحرب أنه يريد الخبز يريد أن يرى أولاده يحملون الفأس والمطرقة ليعملوا في الحقل والمصنع ولا يحملون السلاح ليعتدوا ويموتوا..."⁽⁹⁾.

وكانت أشد الاحتجاجات لهيباً بإقليم رومانيا الإيطالية وقد أفضت يوم 26 سبتمبر 1911م إلى إعلان إضراب عام لمدة يوم كامل في كافة أرجاء إيطاليا، وفي مدينة ميلانو Milano تدخل الجيش لمنع مظاهرة عامة حيث القي القبض على ثلاثين شخصاً...⁽¹⁰⁾.

وبصرف النظر عن المعارضة الاشتراكية ومعارضة قوى سياسية أخرى لم تخلو البلاد الإيطالية من المعارضين لعملية احتلال ليبيا، فقد كانت هناك معارضة منعزلة حتى ولو أن من قام بها هم رجال ذوو نفوذ وثقافة كانت تشغلهم النتائج التي تحدثها سياسة المغامرة على حياة البلاد الإيطالية وعلى علاقاتها الدولية...⁽¹¹⁾.

والواقع إن فكرة احتلال ليبيا لم تكن لها في بداية 1911م ، زخم شعبي في إيطاليا، ولقد كتب السفير الألماني في روما خلال شهر فبراير 1911م يقول: "إن جماهير غفيرة من الشعب الإيطالي تتصرف تجاه هذه الأشياء بدون مبالاة ولا تفكر في أي نزاع....." (12).

كما أن المظاهرات الوطنية حسب محافظ نابولي بدأت مساء يوم 6 أكتوبر 1911م وقد ردت صحيفة بروباغندا على أصوات تلك المظاهرات بقولها " عصابة من اللصوص والمتسولين يعدون عدوا جنونياً في شوارع نابولي صائحين فلتحيا طرابلس إيطاليا، إن هؤلاء السفلة كانوا يذهبون كل يوم بحماية الشرطة للاحتجاج..." (13).

وقد نشرت صحيفة الشباب الاشتراكي الإيطالية في أكتوبر 1911م، منشوراً مواجهاً للمجندين جاء فيه: "لا تكونوا قطعاً يترك نفسه لقياد سلبياً إلى المجزرة، تعلموا أن تستفيدوا من أجل قضيتكم من السلاح الذي بأيديكم، كونوا حازمين في عدم تقديم حياتكم لراحة مستغليكم بل قدموها من أجلكم واجل بعثكم..." (14).

وقد جاء في أحد المناشير موقع باسم الاشتراكيين والفوضيين جاء فيه : "أيها العمال نحن لا نفرق بين لغة أو أرض، أننا نرى في العمال الأتراك - بطرابلس - الذين يقتلهم العمال الإيطاليون بصورة لا شعورية لتقوية البرجوازية الوطنية إننا نرى فيهم أخوه يتألمون مثلنا ويؤمنون بمستقبل أفضل، أننا نشمئز من هذه المجزرة الفظيعة ونخجل لأن الذين قاموا بها هم من العمال الإيطاليين..." (15).

وفي منشور آخر جاء فيه "...إن العالم لا حدود له مثل الهواء الذي يحيط بك و النور الذي يضيئك والعلم الذي يهذبك، إن جميع الرجال إخوتك لا يوجد إيطاليون ولا يابانيون ولا روس... كما لا يوجد مسيحيون أو مسلمون أو يهود، وجميع الرجال إخوتك في الإنسانية الحرة لان لهم نفس الحاجة و القناعات التي يريدون إرضائها، لو كنت أماً لقلت لولدي المطلوب لإرساله للحرب ارفض انك لا تستطيع ولا يجب أن تكون قاتلاً، إن الحرب الوحيدة الأكثر قدسية التي تستطيع أن تقاوم فيها هي حرب الحرية والخير..." (16).

ومن الرسائل التي أرسلت إلى جوليتي رئيس الوزراء الإيطالي تنتقد تلك الحرب "... الموت للرجل الغير جدير الذي يتسبب في حزن العائلات الكثيرة وأن يعاقبه الله أشد

عقاب، أيها المغتصب الظالم لقد أفلحت في دفع الصحف إلى الوقوف إلى جانبك ولكن الأكثرية ضد عمليتك... «(17).

وكان من بين المعارضين لهذه الحرب موسوليني الذي كان وطنياً معارضاً للغزو الإيطالي لما قد يجره على بلاده من ويلات ومصاعب اقتصادية وكان مما قاله في هذا الخصوص " بما أنني إيطالي وأحب الوطن الذي فيه ولدت والذي أتحدث لغته، فأنتني كإيطالي صالح اعرض مناهضتي لحملة ليبيا على أساس اقتصادي وجغرافي لما قد تتعرض له بلادي في مصالحها التي تتعلق بمصلحة العمال أنفسهم... «(18).

وكان موسوليني رافضاً وبشده غزو ليبيا، فعندها حضر اجتماع المؤتمر الاشتراكي القومي في مدينة ميلان كمنسوب عن دائرة (فورلي) وشعر تأييدا من اغلبيه المجتمعين للحكومة، فقد صاح رافضاً معترضاً على ذلك وأطلق عليهم المنافقين الاشتراكيين، وصاح يدعو عمال دائرة فورلي بأن يتوجهوا إلى الاجتماعات السياسية بأذرع تحمل السلاح وإعلان الثورة، ومضى يقود الزحوف لاقتلاع قضبان الترام في المدينة... «(19).

ويظهر موسوليني رجل محب للسلام كارهاً ورافضاً للحرب حيث ألقى بنفسه أمام القطار ليعوق حركة الجنود التي تريد أن تغزو ليبيا... «(20)، وقد تم القبض عليه وزجه في السجن وأطلق سراحه بعد خمسة أشهر.

وفي شهر مارس سنة 1912م تعرض الملك الإيطالي "فيتوريو عمانويل الثالث" لمحاوله اغتيال، حيث أطلق عليه النار أحد الإيطاليين الناقمين على الحرب في ليبيا أثناء مروره في احد شوارع روما ثلاث طلقات أصابته بجراح ولكنه لم يمته...، واسم ذلك الشاب هو انطونيو دالبا في شارع الكورسو بالعاصمة... «(21).

قال الإيطالي كبرياني " أن حماقة إيطاليا عظيمة في انتهاجها سياسة العصا الغليظة لأنهاهي نفسها من الأمم المعرضة التي تعاني من استخدام الدول الأوروبية لهذه السياسة إزاءها... إن أكبر عار في تلك الجريمة التي لا تغتفر والتي ارتكبتها المملكة بهجومها القرصاني على طرابلس يتمثل في أنها رميت إلى الكلاب ومرغت في بحر من الوحل... قبل ستة شهور خلت كان لدينا شعور عظيم بالاعتزاز بأن نقول أننا لم نقهر أحداً على

الإطلاق بل على العكس إننا أرسلنا زهرة شبابنا لتحطيم أغلال القهر في أقطار أخرى، أما الآن فإننا نقتل وننهب ونسفك الدماء وهي خطيئة تنتستر وراء أسم البطولة"....(22).

ولعله من الجدير بالذكر أن أصواتاً ارتفعت في إيطاليا متسائلة لماذا الاهتمام بطرابلس والصرف بسخاء عليها، بينما هناك مناطق في إيطاليا ترزح تحت الفقر والحاجة؟

أليس من الأفضل لو صرفت هذه الأموال داخل إيطاليا، إن الساسة الإيطاليين قد أعلنوا عن عديد المشاريع في ليبيا مثل الطرق والموانئ والمدارس والمستشفيات والسكك الحديدية... وغيرها ، وقد بدأ التنفيذ فيها هناك، ألم يكن من الأفضل لإيطاليا لو أنها أقامت مثل هذه المشاريع في القرى والمدن المختلفة في الأراضي الإيطالية؟

لقد كتب الرجل الجنوبي الشهير جيوسيتينو فورتناتو يقول : (من أكثر مني اقتناعاً بأن طرابلس ستكون مشروعاً عديم الفائدة ومكلفاً)، بينما علق جيسليري بأن هذه الحرب على ليبيا كانت مدمرة أكثر من غزو بربري... (23).

وفي مدينة فانو Fano وزع منشوراً بعنوان إذا كنت أما فأقول لأبني الذي طلب منه الذهاب إلى الحرب ما يلي: " إن الحرب الوحيدة والمقدسة التي يمكنك أن تخوضها هي الحرب المرتبطة بالحرية وبخير الإنسانية، ومن أجلها فقط كن جندياً شجاعاً ضحى من أجلها بحياتك التي أعطيتها لك "....(24).

أما أموديو فقد كتب في 24 أكتوبر 1911م من بالرمو ".... لا يبدو لي أنه من حقي أن أهتف للأمة التي يديرها جوليتي في خدمة المصالح الاحتكارية لأسرة سافويا البرجوازية، إن الأمة وهي لا تزال مفككة الأوصال تعصف بها غنغرينة الجهل والخرافة، وأني لأخشى من أن نشوة الحماس هذه تضر أكثر مما تفيد وأود لوطني حتى في حالة النصر أن يظهر بمظهر الرجولة الباردة والهدوء الحكيم"....(25).

لقد كانت إيطاليا تعاني من ثلوث المصائب كما قال لطفي السيد وخاصة الجنوب الإيطالي، فقد كان 80% من سكان صقلية جهلة وحوالي 90% منهم غير صالح للخدمة العسكرية... وكان النقص واضحاً في كل الضروريات كالماء والكهرباء، وكان الجنوب يعيش في حالة إهمال تام وفي أمس الحاجة إلى ما قد يصرف في المغامرات العسكرية

ووصل سوء الأحوال في الجنوب الإيطالي بزعماء صقلية إلى الإعلان جهراً عن فكرة الانفصال عن إيطاليا...⁽²⁶⁾.

إن إيطاليا ليست لها ثروة كبيرة تعتمد عليها لذلك فإن سكانها يتنون عبء الضرائب الباهظة، كما أن الملايين من سكان الجنوب - خاصة - يعانون من سوء التغذية والجهل والمرض، كما أن الفلاحين خاصة في إقليم أبوليا يعدون فقراء لدرجة أنهم لا يستطيعون شراء معدات لحفظ إنتاجهم، والكثير من السكان الإيطاليين يعتبرون الرغيف والملح من رفاهيات الحياة...⁽²⁷⁾.

هكذا كانت رؤية الحكومة الإيطالية مؤكدة الإصرار الكامل على غزوها لليبيا، بينما شعبها بئس فقير من الجوع والفقر والجهل، لقد تمثلت سياستها في قول المستشار الألماني: "إن إيطاليا ليست إلا دولة مغامرة أسدتها الثورة وتبحث دائماً عن مغامرات جديدة..."⁽²⁸⁾.

أو كما قال الكونت سان نالييه: "إن سياسة إيطاليا الحالية هي سياسة الرجل المريض الذي يتألم في فراشه ويتمنى احتلال فراش جاره حتى يرى إن كان سيجد فيه خلاصاً من آلامه..."⁽²⁹⁾.

أما بالنسبة إلى الدولة العثمانية فقد كانت الظروف والأوضاع فيها أسوأ بكثير لقد انتهى مجدها، الذي أخذ في الانحدار منذ عام 1840م عندما أطلق عليها الإمبراطور الروسي اسم (الرجل المريض).

كانت الأمور الاقتصادية فيها في حالة من الفوضى لا مثيل لها، وقد بلغت الميزانية العامة 80 مليون دولار، بينما بلغت المصروفات 95 مليون دولار، ومن الناحية العسكرية فقد آلت جل سفنها الحربية إلى سوق الخردة لأنها لم تُصن طيلة عمرها بينما كانت وزارة الحربية تصر على أن القوات البحرية كانت تبلغ ثلاثون ألفاً في حالة جيدة...⁽³⁰⁾.

وفي سنة 1897م تقدم إسماعيل كمال بك بمذكرة إلى الحكومة العثمانية يذكر فيها أن الضعف كان ينخر هيكل تركيا وإن الدوائر الرسمية أصبحت وكراً للجاسوسية ولم يعد الأب يثق في ابنه ولا الأخ في أخيه، وبلغ الفساد حداً لم يعرف من قبل وعمت الرشوة

الدوائر الحكومية وآلت المناصب الرفيعة إلى الجهلة وصغار الموظفين فجعلوا من تركيا بلاداً بلا سلطة وشعباً بدون حكومة...⁽³¹⁾.

وقد حكم العثمانيون ليبيا ما يزيد عن ثلاثة قرون يقول عنه فضيلة الشيخ الطاهر الزاوي ما يلي: "استمر الترك في حكمهم الفاسد: فوضى في الحكم وسلب في الأموال، وعدم اهتمام بالإصلاح فتفشى في الشعب الجهل لعدم المدارس، وتمكن فيه الفقر لقلة التجارة والزراعة وانعدمت الصناعة، وكثرت فيه الأمراض لقلة الأطباء والمستشفيات... وأصبح في حالة دونها كل ما يتصوره الإنسان من حالات البؤس"⁽³²⁾.

دور حقي باشا في الاحتلال الإيطالي: رجل إيطالي النزعة أشتهر بحبه للمدينة الإيطالية ومعاشرته الإيطاليين، وكانت له علاقة متينة بالسفارة الإيطالية في استانبول، وقد حمّله حبه للإيطاليين أن يطلب العمل كسفير لبلاده في روما، وكان له ما أراد حيث ازدادت أواصر الصداقة والمحبة بينه وبين المسؤولين الإيطاليين.

ومنذ ذلك الوقت انبهر حقي باشا بأمر كثيرة هناك، فقد أصبح شخصية إيطالية الاتجاه والميول والسلوك أكثر منها عثمانية الوطنية والقومية، فلم يعد يهتم ببلاده ومصيرها وظروفها وسرعان ما تزوج من إحدى الشقراوات الإيطاليات وأصبحت معظم سهراته الليلية في النوادي الإيطالية، حيث أعقد عليه الإيطاليون الشيء الكثير وأصبح في نعيم الكفر الإيطالي يسرح ويمرح وأصبح ذلك يمثل كل مشاغله واهتماماته، ولم تكن ليبيا لتخطر على باله اللهم إلا الثمن الرخيص الذي دفعه الإيطاليون إليه كثمن لشراء ليبيا...⁽³³⁾.

وكان حقي باشا يمضي أغلب أوقاته في منزل روبيلان باشا الإيطالي (مفتش الجاندرمة) يقامر مع بناته ومن يجتمع معهن من الفتيات الإيطاليات إلى ما بعد منتصف الليل...⁽³⁴⁾.

وبسعى من الإيطاليين لدى السلطان العثماني وحاشيته تم تعيين حقي باشا صدراً أعظم (رئيس الوزراء) بدلا من حسن حلمي باشا ولقد لعب اليهود دوراً هاماً في ذلك، وكانت أولى أعماله في ليبيا - طرابلس - عزل الوالي إبراهيم باشا بناء على رغبة "السنينور غالي" قنصل إيطاليا في طرابلس، كما أمر بنقل الأسلحة الموجودة بها بحجة إصلاحها،

وكان يوجد في ولاية طرابلس الغرب أربعون ألف بندقية نوع سيندر، كما أخلى حقي باشا قلاع طرابلس من المدافع والحرس... هذا إضافة إلى سحب معظم الضباط والجنود العثمانيين من طرابلس بحجة القضاء على ثورة اليمن وهي حجة واهية لا تصدق، والحقيقة أن كل ذلك كان خدمة للإيطاليين لتسهيل غزوهم لل ليبيا، وقد اقترح المشير إبراهيم باشا الذي كان واليا في طرابلس تأسيس معمل للسلاح وقرطيس البنادق في مدينة طرابلس، وكتب إلى الباب العالي بأن أهالي ليبيا أشداء وذو بصائر وشجاعة نادرة في مواجهة من يغير عليهم ويهاجمهم...⁽³⁵⁾، ولم يحصل شيء من ذلك.

وهكذا هانت ليبيا على العثمانيين لدرجة أن رئيس وزرائهم حقي باشا كان لا يريد أن يزج أصدقاءه الإيطاليين بتكثيف المقاومة ضد قواتهم فيها، ولدرجة أن الحكومة العثمانية أرسلت برقية لضباطها في طرابلس تأمرهم بالانسحاب منها وعدم المقاومة إرضاء لرغبات حقي باشا الذي أثار حوله عاصفة من الاستياء والاحتقار حتى أنه اضطر أخيراً إلى الاستقالة، كما قال الزاوي: "إن إيطاليا ملكت عليه شعوره وعقله، بحيث جعلته لا يسمع إلا ما تقول، ولا يعقل إلا ما تشير به عليه..."⁽³⁶⁾، وقد طالب المندوبون في مجلس (البرلمان العثماني) بوضعه مع أعضاء حكومته أمام المسؤولية القضائية ومحاکمتهم نظير ما اقترفوه بحق ليبيا ...⁽³⁷⁾.

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر سبتمبر سنة 1911م قدم السفير الإيطالي في استانبول الإنذار بعزم إيطاليا على احتلال ليبيا إلى حقي باشا رئيس الوزراء الذي فض الظرف وقرأ ما فيه، وسرعان ما بدأت علامات الخوف والاضطراب عليه...⁽³⁸⁾.

وفي هذا الإنذار الإيطالي والذي أرسله وزير الخارجية الإيطالي سان جوليانو موقفاً باسمه الموافقة على تسليم ليبيا إلى إيطاليا خلال فترة يوم كامل (24 ساعة)، وضمنه أن الحكومة مضطرة إلى القيام بعملية الاحتلال إذا لم يتلق رداً يستجيب لطلبه...⁽³⁹⁾.

سارع حقي باشا إلى مقابلة السلطان العثماني محمد الخامس وأبلغه بالأمر فبدت عليه علامات الغضب والانفعال، وقام بتوبيخ حقي باشا توبيخاً شديداً قائلاً له: "لقد خربت الدولة في سنتين" ثم طرده...⁽⁴⁰⁾.

وبعد سقوط حكومة حقي باشا، شكلت حكومة جديدة خلال أسبوع برئاسة سعيد باشا وهو رجل ضعيف محدود القدرات إضافة إلى كبر سنة، وتولى وزارة الخارجية عاصم باشا بينما أسندت وزارة الدفاع إلى رجل كان محل تهمة عديدة وهو محمود شوكت باشا، ومن المعلوم أنه تم اغتيال سعيد باشا في روما سنة 1912م.

ومن مفارقات السياسة العثمانية أنها أرسلت (الحكومة) وفداً رفيع المستوى إلى روما برئاسة ولي العهد العثماني في أواخر أغسطس سنة 1911م، وقد علق لورد جراي وزير خارجية إنجلترا بقوله لقد أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا مع أن ولي العهد العثماني كان قبل ذلك بأسبوعين يعانق ملك إيطاليا في محطة روما...⁽⁴¹⁾.

ولما أيقنت الحكومة العثمانية أن إيطاليا ستهجم على ولاية طرابلس الغرب في القريب العاجل رأت أن تحفظ ماء وجهها أمام العالم الإسلامي خاصة، فإنها قامت بشحن باخرة (أدرنة) بالسلاح والذخيرة وأرسلتها إلى طرابلس وكانت رافعة العلم الألماني تمويهاً للإيطاليين.

دخلت البخرة أدرنة ميناء طرابلس يوم الثلاثاء الساعة الثامنة الموافق 26-09-1911م وكان قبطانها حسن فهمي، ورغم اعتراف الإيطاليين بأنهم كانوا يجوبون البحر من مالطا إلى طرابلس يومياً إلا أن ذلك لم يمنع مرور البخرة بسلام، يقول الضابط الإيطالي أرسى " رأينا ليلة 28 سبتمبر البخرة التركية درنة متوجهة نحو طرابلس محملة بالأسلحة والعتاد والذخيرة، وقد ألقيت البارجة نابولي أضواءها الكاشفة عليها واكتشفنا أنها كانت تستعمل اسم اتيل فريدريك الألماني كاسم مزور، ولكننا تركناها تمر لأن تعليمات رئاسة الأركان تفرض علينا ألا نتعرض لها قبل انتهاء مدة الإنذار التي أطلق الأسطول صفارتها لبدء العمليات الحربية ليلة 30 سبتمبر..."⁽⁴²⁾.

وقد أسرع الشباب الليبي لإنزال ما بالسفينة من أسلحة وذخائر التي قدرت بعشرين ألف بندقية موزر سعة عشر طلقات، وعشرة آلاف صندوق من الذخيرة بها حوالي مليوني أطلقة، وعى وجه السرعة وزعت جميعها قبيل الهجوم الإيطالي، وتسلم بها رجال القبائل الليبية...⁽⁴³⁾.

وكانت هذه البنادق هي الزاد الوحيد الذي تسلح به المجاهدون حيث هبوا من كل حذب وصوب من أنحاء ليبيا ملتحمين مع القوات العثمانية للدفاع عن بلادهم الليبية. ولكن العثمانيين يقولون أنه في يوم 22-9-1911م خرجت سفينة أدرنة من اسطنبول محملة بالأسلحة والإمدادات العسكرية، فوصلت أمام مدينة طرابلس بعد يوم من حصار المدينة أي يوم 26 سبتمبر وشقت خط الحصار ودخلت مياه الميناء، وجاءت محملة بخمس وعشرين ألف بندقية من نوع موزر، و6812 صندوقاً من الذخائر وخمسمائة كيساً من الألبسة، وتسعمائة وواحد وخمسون كيساً من الدقيق، وخمسمائة حمل من الخبز المجفف، وأمام إنذار القائد الإيطالي للمسؤولين في طرابلس الغرب يوم 30-9-1911م بأن إيطاليا أعلنت الحرب على الدولة العثمانية، وطلب تسليم السفن العثمانية الموجودة في ميناء طرابلس فقد تم رفض ذلك وفتحت حنفيات مخازن السفينة وأغرقت نفسها في المكان الذي أرسلت فيه...⁽⁴⁴⁾، وقد أدعى الإيطاليون بأنه قد تم قصف السفينة وإغراقها من قبلهم⁽⁴⁵⁾.

الاطماع الإيطالية في المشروع الاستعماري: عانت إيطاليا من أزمات اقتصادية حادة في أواخر القرن التاسع عشر إلا أنها تكاد قد تخلصت من ذلك منذ أوائل القرن العشرين، ومع ذلك فقد تميز الريف الإيطالي خاصة في المناطق الجنوبية بالفقر والتخلف ذلك أن نصف عدد سكان الريف يمثلون طبقه من العمال البائسين .

وقد انعكس التحسن الاقتصادي على تجارة إيطاليا الخارجية، فارتفعت بذلك قيمة الصادرات والواردات من 2,600 مليون ليرة في الفترة 1896-1900م إلى 5,900 مليون ليرة خلال الفترة 1911-1913م ، ومع ذلك ظل الميزان التجاري في حالة عجز ففي الفترة من 1901-1905م ، بلغ العجز في الميزان التجاري 17%، وقد ارتفعت هذه النسبة إلى 36% خلال المدة 1909-1913م ،وقد أدى ذلك إلى انخفاض في قيمة الليرة الإيطالية إضافة إلى المغامرات الإيطالية الخارجية...⁽⁴⁶⁾.

أصبحت مشكلة الجنوب الإيطالي تمثل ظاهرة بارزة في سياسة إيطاليا المحلية وكان لها أيضا اثر واضح في تحول إيطاليا إلى مشروع التوسع الاستعماري لتخفيف الضغط

السكاني هناك، خاصة وأن الجنوب يضم 40% من سكان إيطاليا كما أن دخل الفرد في الجنوب لم يتجاوز نصف دخل الفرد في الشمال... (47).

وخلال فترة أواخر القرن التاسع عشر برزت أربع ظواهر سياسية في العالم كانت لها أهمية كبرى وهي (ضعف الدولة العثمانية - ظهور حركة القوميات - ظهور الحركة الاستعمارية الأوروبية - اشتداد المنافسة و الخلافات الأوروبية ووصلت إلى ظهور النزاعات فيما بينهم)، وهذه الظواهر يبدو لإيطاليا آنذاك إنها متيسرة لها، وعليه قررت الإسراع في استعمار مناطق بعينها ترى فيها الأولوية للاحتلال مثل (تونس - ليبيا - شرق أفريقيا).

أما عن النزاعات الأوروبية فقد شاركت فيها إيطاليا وخاصة ضد فرنسا ويرجع الخلاف بينهما بسبب استحواذ فرنسا على المنطقتين سافوى التي تبلغ مساحتها 6,500 ميل مربع، ومنطقة نيس التي تقع في الجنوب على ساحل المتوسط، وقد تعهد ملك فرنسا خلال عام 1859م بمساعدة الولايات الإيطالية في كفاحها خلال صراعها مع النمسا، مقابل الحصول على سافوى ونيس الإيطاليين إلا أن القوات الفرنسية تخلت عن تأييد الإيطاليين قبل أن يتحقق النصر لهم، وأكثر من ذلك فقد أجرت فرنسا استفتاء لسكان المنطقتين لكي يقرروا بإرادتهم إلى أي من البلدين ينضمون فاختار السكان الانضمام إلى فرنسا، وقد كانت منطقة سافوى ونيس مصدر نزاع دائم بين فرنسا وإيطاليا... (48).

لقد كانت هناك مطامع جادة إيطالية لضم تونس وقد سعت من أجل ذلك حيث تواجدت في تونس أكبر جالية أوروبية - إيطالية - كما مهدت إيطاليا من أجل حصولها على تونس بالعديد من المشاريع التنموية الحديثة في معظم المجالات، ولما تأكدت فرنسا من رغبة إيطاليا في الحصول على تونس، فقد أسرع باحتلالها سنة 1881م عن طريق الحماية عليها - معاهدة باردو - بموافقة الدول الكبرى، وقد كانت هذه العملية ضربة قوية لإيطاليا وأصيب الاستعماريون الإيطاليون بصدمه مفاجئه، وطفق كرسبي يلوم فرنسا لاحتلالها تونس وتعدبها على حقوق أختها هناك، وكان من نتائج هذا العمل أن انضمت إيطاليا إلى الحلف الألماني النمساوي الذي أصبح يعرف بالحلف الثلاثي سنة

1882م الذي رأته فيه إيطاليا الضغط بشكل أو بآخر أن فرنسا تعمل على عرقلة عملية التوسع الإيطالي في منطقة شمال افريقية... (49).

وقد توالى التصريحات من الساسة الإيطاليين ضد سياسة فرنسا فقد قال فرنشيسلو كريسيبي الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزارة الإيطالية، في مدينة باليرمو: "كان من واجب فرنسا ألا تعتدي على حقوق شقيقتها اللاتينية في تونس، أما الآن وقد فعلت فإننا نطالبها بأن تصحح غلطتها وتترك تونس لإيطاليا صاحبة الحق، فالبحر المتوسط الممتد بين إيطاليا و شمال أفريقيا يجب أن يكون بحيرة إيطالية خالصة..." (50).

وأمام قيام فرنسا باحتلال الجزائر و تونس، واحتلال انجلترا قبرص ومصر، فإن إيطاليا زادت من اهتمامها بضرورة احتلال ولاية طرابلس الغرب و التوجه نحو شرق افريقيا، وفي سبيل الوصول إلى تحقيق أهدافها عملت على التواصل مع بريطانيا فعقدت معها اتفاقية يوم 12-2-1887م، وقد رحبت بريطانيا بالاتفاقية لعدم تعرض مصالحها الاستعمارية لأية مخاوف في منطقة شرق أفريقيا، وفي مقابل اعترافها بحق إيطاليا في ليبيا تساند إيطاليا حق بريطانيا في مصر (51).

تبين لإيطاليا عدم الفائدة من مقاطعة فرنسا لذلك فقد توصل وزير الخارجية الإيطالي سنة 1896م إلى عقد اتفاق مع الحكومة الفرنسية للحصول على عدة مكاسب أولية، وفي سنة 1898م عقد الطرفان اتفاقية أنهت بموجبها الحرب الاقتصادية بينهما إضافة إلى تخفيض الرسوم الجمركية، في سنة 1902م أجريت صفقة مشتركة بين إيطاليا وفرنسا تم بموجبها احترام إيطاليا لصالح فرنسا في المغرب مقابل تنازل فرنسا لإيطاليا عن غزوها لليبيا... (52).

وهكذا رغب الطرفان الإنجليزي والفرنسي أن تتال إيطاليا مستعمرة في ليبيا، بحيث تفصل بين إنجلترا في مصر و الفرنسيين في تونس مثلما فعلا في فلسطين... (53).

وبذلك تفاهمت إيطاليا مع كل من فرنسا وإنجلترا، أما ألمانيا والنمسا فقد تم التنسيق معهما، خلال زيارة قيصر روسيا (نقولا الثاني) لإيطاليا عام 1907م فقد اعترف بمصالح إيطاليا في ليبيا مقابل تأييد إيطاليا لحرية المرور في مضيق الدردنيل... (54).

بدأت إيطاليا تعد العدة للسيطرة على ليبيا واحتلالها، فمهدت للعمل على ذلك مع معظم الدول الأوروبية الكبرى، وفي داخل ليبيا أخذت تعمل في إقامة المشروعات التي تحقق لها رغبتها في السيطرة عليها، فبنت المدارس وشيدت المستشفيات والملاجئ لليتامى خاصة في طرابلس بنغازي، واشترت الأراضي الخصبة الواسعة وأرسلت البعثات العسكرية في شكل رحاله جغرافيين وآخرين لدراسة المياه و التربة، إضافة إلى بعثات التبشير وأخرى لدراسة أحوال الولاية، وعملت على استثمار رؤوس الأموال في السوق الليبية مستغلة بذلك تدمير المواطنين الليبيين و استيائهم من الدولة العثمانية، كما اشترت إيطاليا ذم العديد من الليبيين وتمكنت من الوصول إلى العائلة السنوسية... (55).

وبهذه الأعمال المختلفة والتي تصب في رافد واحد يهدف إلي خضوع ليبيا إلى إيطاليا وتسهيل إجراءات ذلك... فقد طالب الليبيون بالإصلاح وبحث أصواتهم في الاهتمام ببلادهم ورفعوا العرائض والالتماسات إلى الحكومة العثمانية منبهين إلى الخطر الكبير من جانب إيطاليا و الذي أصبح واضحاً وضوح الشمس، وقبيل ذلك شهدت البلاد الليبية موجة عارمة لرفض حركات التغلغل الاستعماري الإيطالي، فأقيمت مظاهرات الغضب التي عبرت عن سخطها لما يجري في الواقع على أرضهم الليبية مصرين مسبقاً بكل عناد على المقاومة بكل شجاعة وتضحية، وقاطعوا البضائع الإيطالية وتعرضت الجالية الإيطالية لبعض أعمال العنف، وأشعلت النيران في بعض المصالح الإيطالية كما وقعت بعض الاعتداءات على قلة من الإيطاليين منها مقتل الأب فوستينو يو في مدينة درنة، كما ألقى القبض على الصحفي الإيطالي أربيبي، وكتبت جريدة المرصاد (وهي الناطق الرسمي بطرابلس باللغة العربية)، عدة موضوعات مملوءة بالتعليقات الوطنية المتحمسة ضد إيطاليا لتهدية السكان المحليين ضدها و ضد مصالحها في ليبيا، وفي سنة 1908م قتل قسيس إيطالي ولم يتم التحقيق في مقتله بشكل مرضي. (56)...

كما تم اغتيال المبشر جوستينو باشييني رئيس البعثة التبشيرية المسيحية في شهر مارس سنة 1908م ، وقتل المترجم الايطالي غاستوني تيريني قرب مدينة طرابلس خلال شهر يونيو سنة 1908م... (57).

وفي الفترة التي تولى فيها الوالي رجب باشا (1904-1908) وقع خلاف كبير بينه وبين القنصل الإيطالي، لدرجة إن الأخير كتب يعلم حكومته بأنه من المستحيل التعامل مع الوالي الجديد وذلك لكراهيته الواضحة للإيطاليين، مما اضطر الوالي إلى مكتبته الحكومة في اسطنبول حيث بعث رسالة مطولة بتاريخ 2-2-1908م، لخص فيها الوضع في الولاية بما في ذلك الأعمال و تصرفات إدارة مصرف روما التي هي نوع من الأعداد للاستيلاء على الولاية- ليبيا- في المستقبل القريب، وأشار إلى أن شراء المصرف للأراضي كان الهدف منه إعدادها للمهاجرين الإيطاليين، وطلب من حكومة اسطنبول تزويده بالأوامر حيال ذلك مذكراً بأنه طبقاً للقانون العثماني لا يجوز للمؤسسات الأجنبية ملكية أراضي من الولاية، وفي يوم 22 ربيع الأول سنة 1326 (1908م) أصدر السلطان إرادة سنوية بخصوص موضوع الأراضي في ولاية طرابلس الغرب، وقد جاء في هذه الإرادة أن الأرض الميري أي الأراضي التي كانت مملوكة للدولة من قبل لا يمكن بيعها، وكذلك لا يجوز لأهالي الولاية أن يبيعوا أراضيهم لأي مؤسسة أجنبية، وفي ذيل الإرادة أشار السلطان إلى ضرورة إعلام الإيطاليين بذلك حتى يكونوا على بينة من الأمر، وقد غضب هذا القرار العثماني الحكومة الإيطالية وسرعان ما شنت حملات شعواء ضده في وسائل الإعلام... (58).

كانت عبارة التغلغل السلمي قد انتشرت في إيطاليا خلال فترة ما قبل الغزو للأراضي الليبية، وكانت تعني جهود الحكومة الإيطالية لتأسيس جملة من الأعمال التي يتسنى من خلالها تسهيل ابتلاع الولاية- ليبيا- التدريجي الصامت، ثم العمل على ضمها بكل سهولة حسبما اعتقد وتصور الكثير من الإيطاليين.

الموقف الإيطالي الرسمي من فكرة احتلال ليبيا: وفي عام 1905م تم اختيار مصرف روما على أن يلعب هذا الدور التمهيدي للاحتلال وهو مصرف كبير، وقد أنشئ يوم 9-3-1880م في مدينة لازيو الإيطالية، وكان أول رئيس لهذا المصرف (بييترو بريلي - Pietro PiReli) وكان معظم رأس مال المصرف في بداية تكوينه من ثروة الفاتيكان، وعمل على فتح العديد من الفروع له خارج إيطاليا وكان بذلك أول مصرف إيطالي يفعل ذلك، وقد تم افتتاح فرع لهذا المصرف في مدينة طرابلس يوم 15-4-1907م، وترأس

هذا الفرع (أنريكو برشيانى - Enrico Bersclani)، وقد تم تأسيس وكالات تجارية تتبع هذا المصرف في طرابلس وكانت في بنغازي و الخمس ودرنة وزليتن وطبرق و مصراته وعدة مدن أخرى...⁽⁵⁹⁾.

كما كان من أهداف المصرف الرئيسية البحث عن استغلال الموارد المعدنية في ليبيا خاصة الفوسفات والكبريت... وإنشاء السكك الحديدية وشراء الأراضي، كما أنشأ المصرف محطة الكهرباء الوحيدة في طرابلس، وصدرت في مدينة طرابلس صحيفة إيطالية بعنوان (ساعة طرابلس).

اتضح للحكومة العثمانية أن مشاريع هذا المصرف عديدة وتكاد تغرق الولاية الطرابلسية في الديون الكبيرة، إضافة إلى تكديس أعداد من الإيطاليين في المدن الليبية كانت تشكل خطراً على حكومة الولاية، كما أن الدولة العثمانية بدأت تستشعر الخطر وتعتبره تمهيداً لزحف إيطالي مرتقب، أضافه إلى نشاط هذا المصرف في ليبيا فقد قام بإنشاء مؤسسة الزيوت الإيطالية بطرابلس في شهر ديسمبر سنة 1907م وأقامت لها فروع في عدة مدن أخرى، كما افتتح مصنع كبير لعصر الزيتون بطرابلس خلال شهر مارس 1910م، كما أوجد المصرف أيضاً منطقة زراعية في بنغازي مساحتها أربعمئة ألف هكتار إضافة إلى شراء خمسة عشر ألف من الماشية... وكان من نشاط المصرف تسليف الناس في طرابلس مبالغ مالية مقابل الرهن، والمصرف لا يقبل إلا الرهنيات التي تتجاوز قيمتها خمسة فرنكات كحد أدنى، وقد قام المصرف بإنشاء مصنع للتلجج و تصنيع الإسفنج وريش النعام، وأقام مطبعة وفتح خط للملاحة كان يصل إلى الاسكندرية... وافتتاح عدة مشاريع أخرى...⁽⁶⁰⁾.

ورغم هذا النشاط للمصرف وتنوعه وتعدده، فقد كتب القنصل العام الإيطالي في طرابلس (ميدانا - MedaNa) إلى حكومته في روما يفيدها بأنه نظراً لسياسة الوالي العثماني الجديد في طرابلس (رجب باشا)...⁽⁶¹⁾، فإن التسلل الاقتصادي مستحيل، وعليه فإن الاحتلال هو الطريق الوحيد لتأمين مصالح إيطاليا.

وترتب على ذلك استدعاء رجب باشا الأستانة وعين مكانه الوالي الجديد (أحمد فوزي) في أوائل عام 1909م، إلا أنه كان على العكس من سابقه مما تسبب في عزلة

بسرعة لسلوكه الضعيف تجاه الإيطاليين والتساهل معهم، وتم تعيين اللواء إبراهيم باشا وكان مخلصاً صادقاً، يقول عنه بريشاني كانت مهمته هي إخماد حماسنا وإلغاء جميع الاتفاقيات المعقودة مع المواطنين - الليبيين-، وقد صرح بعد تعيينه انه سوف يعارض بانتظام وبصوره لا رجوع فيها جميع النشاطات الإيطالية بناء على تعليمات حكومته... (62).

عين إبراهيم والياً في أواخر سنة 1909م، وقد وجد البلاد في ارتباك كبير من جراء النفوذ الإيطالي وتعاضمه، وسرعان ما شرع في إصلاح الأمور واستعمل نفوذه في كل كبيرة وصغيرة، وفرض الجندية في البلاد حيث استطاع أن يجمع سبعة آلاف جندي، كما منع مصرف روما من إخراج الحجارة الأثرية بمنطقة قرقرش... فالتجأت حكومة روما إلى حكومة الأستانة التي منحتها ترخيص بذلك، وهكذا وقف إبراهيم باشا ضد السياسة الإيطالية فما سلكت طريقاً إلا سده حتى عرف (بعدها إيطاليا الأكبر)، وقد كتب لحكومته يحذرها من نشاط إيطاليا وأنها جادة في احتلال ولاية طرابلس الغرب ولكن الحكومة العثمانية لم ترد عليه... (63).

ولم استلم حقي باشا رئاسة الوزراء كان من أولويات أعماله عزل إبراهيم باشا، فقد كان حقي إيطاليا أكثر من الإيطاليين أنفسهم ولم يتم تعيين والياً جديداً حتى تسهل مهمة الإيطاليين في طرابلس، وهكذا شاعت حكومة الأستانة لتترك لنفسها مندوحة لانتحال ما يشبه أن يكون عذراً وما هو بعذر ولكنه التمويه والاعيب السياسة الضالة كما قال الزاوي... (64).

وبعد التدقيق والتحقيق في القروض التي وهبها مصرف روما بطرابلس اتضحت عدة أمور جديدة أهمها:

1. أثبت التحقيق أن المصرف كان يتحايل على القانون الذي يمنح المؤسسات الأجنبية من ملكية الأراضي في الولاية، ومنح قروض من المصرف للإيطاليين وأجانب آخرين لشراء أراضي الولاية.

2. تبين بعد التحقيق أن جميع الأراضي المشتراه من الأجانب أو الوطنيين أنها آلت إلى نفس المصرف بعد أن ادعى مشتروها عدم قدرتهم على سداد ديونهم إلى المصرف، وبذلك تعود ملكية تلك الأراضي لصالح المصرف.

3- كما أثبتت التحقيق أن معظم الأمور التي منحها المصرف كقروض، أو التي قام المصرف بشراء أراضي... اتضح أن تلك الأموال هي أموال من الحكومة الإيطالية من الحكومة الفاتيكان، وقد اعترف المصرف بذلك...⁽⁶⁵⁾.

إما بالنسبة للجالية الإيطالية في ليبيا فقد كانت متواضعة في عددها رغم أن نفذها كان قويا، خاصة بعد افتتاح مصرف روما في ليبيا، لذلك عملت حكومة الماركيس (دي روبيني) علي أتباع سياسة إفاد المزيد من البعثات التبشيرية والمؤسسات المالية والرواد المستعمرين لتنظيم أوضاع الجالية الإيطالية... وتقديم الدعم لها وفتح المزيد من المدارس والمعاهد لتوسيع قاعدة نشر اللغة الإيطالية وتهيئة الأفكار للتعامل مع الاحتلال المزمع حدوثه في وقت قريب، وقد وصل أفراد هذه البعثة إلى ستمائة قسيس وجاسوس سنة 1880م، اجتهدت حكومة جيوليتي الإيطالية في تحويل مجرى الهجرات من الشعب الإيطالي إلى أمريكا و تونس و البرازيل نحو ليبيا لكي تجعل من أولئك المهاجرين كيانا ثابتا لمجتمع إيطالي جديد ونواة في أرض ستصبح عما قريب إيطالية...⁽⁶⁶⁾

توسعت إيطاليا في بناء المدارس المختلفة لأبناء جاليتها (مدارس للطفولة- المدارس الابتدائية- ومدرسه تجارية وأخرى صناعية)، وكان عدد الطلاب تسعمائة طالب وطالبة، وبلغ ما تصرفه الحكومة الإيطالية على هذه المدارس سنويا ست وأربعون ألف ليرة إيطالية...⁽⁶⁷⁾، وتختلف المصادر والمراجع في عدد أفراد الجالية وقد ورد في تقرير لاقنصل إيطاليا العام في طرابلس خلال سنة 1901م إن عدد أفراد الجالية الإيطالية في طرابلس يبلغ 704 شخصا وفي برقية بقل عددهم عن ذلك....⁽⁶⁸⁾.

وبينما يذكر كاكيا أن عدد أفراد الجالية الإيطالية في ليبيا يبلغ 1100 نسمة موزعين على النحو الآتي:

في بنغازي	120	في طرابلس	930
في درنه	20	في الخمس	20

في مصراته 10...⁽⁶⁹⁾

وقد حظيت إيطاليا في ليبيا بحق التمتع بالتسهيلات الكبيرة ابتداء من اوائل سنة 1873م، وافتتح أول مكتب تجاري إيطالي في مدينة بنغازي سنة 1880م، وبعد عام من ذلك أرسلت بعثة تجارية خاصة إلى برقة، وفي بداية القرن العشرين أخذ النشاط التجاري والاقتصادي الإيطالي في التوسع والنمو والازدياد.

الهوامش:

1. منصور عمر الشتيوي، الغزو الايطالي لليبيا، طرابلس: مؤسسة الفرجاني (1970م)، ص 29.
2. نفسه، ص 30.
3. محمد مصطفى بازامة، العدوان، ج-1، طرابلس: مكتبة الفرجاني، (1965م)، ص 155.
4. خليفة المنتصر، ليبيا، طرابلس: دار الاتحاد (1972م)، ص 66.
5. نفسه، ص 67.
6. نفسه، ص 68.
7. محمد الشركسي، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا، الدار العربية للكتاب (1976 م)، ص 23.
8. وليم أسكيو، أوروبا والغزو الإيطالي، ترجمة ميلاد المقرحي، مراجعة عقيل البربار، م.د.ج.ل، (1988م) ص 69.
9. محمد الزائدي، الغزو الإيطالي لليبيا، بنغازي: دار الكتاب الليبي (1974م)، ص 72.
10. ايريك ساليرنو، حرب الإبادة في ليبيا، تعريب على الصادق حسنين، طرابلس (1984م)، ص 39.
11. فرانشيسكو مالجيرى، الحرب الليبية، ترجمة وهبي البوري، الدار العربية للكتاب، (1978م)، ص 83.
12. ياخيوفتش، الحرب التركية الإيطالية، ترجمة هاشم التكريتي، طرابلس، منشورات الجامعة الليبية (1970م)، ص 54.
13. مالجيرى، مرجع سابق، ص 271.
- محمد الشركسي، مرجع سابق، ص 24 وما بعدها.
14. ماليجري، ص 274.
15. نفسه، ص 275.

16. نفسه، ص 276.
17. نفسه، ص 345.
18. بازامه، العدوان، مرجع سابق، ص 152.
19. جمال بدران، موسوليني، القاهرة : دار الكتاب العربي (1998م) ، ص 26.
20. عباس محمود العقاد، ردود وحدود، دار حراء (1969م) ، ص 433.
21. محمد الإسطى، ورقات مطلوبة، طرابلس : المنشأة العامة للنشر (1983م)، ص 78.
22. باولو مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد، ترجمة عبد الرحمن العجيلي، م.ج.ل.د.ت، (1979م)، ص 360.
- فرانسيسي ماکولا، حرب ايطاليا من أجل الصحراء، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، م.ج.ل.د.ت، (1991م) ص 56.
23. كلوديو سيجري، الشاطئ الرابع، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي، م.ج.ل.د.ت، (1987م)، ص 57.
- مالتيزي، مرجع سابق، ص 366-92-93.
- مالجييري، مرجع سابق، ص 85-86-87.
24. الشركسي، مرجع سابق، ص 27.
25. مالجييري، ص 456.
26. الشتوي، مرجع سابق، ص 33.
- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، القاهرة: دار الفكر العربي (1948م)، ص 105.
- زاهر رياض، استعمار أفريقية، القاهرة : الدار القومية للنشر (1965م)، ص 223-225.
- ماکولا، مرجع سابق، ص 84.
27. جاك بيشون، المسألة الليبية، ترجمة على ضوي، مراجعة صالح مخزوم، طرابلس: م.ج.ل.د.ت، (1991م)، ص 103.

28. نفسه، ص 104.
29. محمد عبد الكريم الوافي، الطريق إلى لوزان، طرابلس : دار الفرجاني (1978م)، ص 68.
- الشتيوي، مرجع سابق، ص 38.
 - الزائدي، مرجع سابق، ص 97.
 - 30. الشتيوي، مرجع سابق، ص 40.
 - 31. الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الإبطل في طرابلس الغرب، ط 3، بيروت : دار الفتح (1973م) ص 19-20.
 - 32. نفسه، ص 47-61.
 - الزائدي، مرجع سابق، ص 111-126.
 - 33. الزاوي، مرجع سابق، ص 50.
 - ماکولا، مرجع سابق، ص 77-78.
 - 34. الزائدي، مرجع سابق، ص 96-113-111.
 - 35. الزاوي، مرجع سابق، ص 61.
 - 36. مجلة المنار، ج 11 مجلد 14 نوفمبر 1911، القاهرة، ص 861-867.
 - أبو القاسم سعد الله، شعوب وقوميات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب (1985م)، ص 19.
 - صبري أبو المجد، عزيز على المصري وصحبه، ج 1 - القاهرة (1990م) ص 331.
 - محمد لطفي المصري، تاريخ حرب طرابلس الغرب، بنها (1946م)، ص 29.
 - الزاوي، مرجع سابق، ص 54-64.
 - مصطفى علي هويدي، الظروف السياسية في ولاية طرابلس (رسالة دكتوراه دولة) جامعة الجزائر (1997م)، ص 137.
 - الوافي، مرجع سابق، ص 69.
 - محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ج 2، القاهرة (1957م)، ص 430.

- شكري، السنوسية دين ودولة، مرجع سابق، ص 115.
- 37. أنظر نص الإنذار الإيطالي والرد العثماني عليه عند :
• مالجييري، مرجع سابق، ص 466-496.
- 38. الزاوي، مرجع سابق، ص 54.
- 39. نفسه، ص 54.
- 40. خليفة المنتصر، مرجع سابق، ص 130.
- 41. أرسى، مع الإيطاليين في حرب طرابلس، ترجمة منصور الشتيوي، طرابلس: دار
الفرجاني (1972م)، ص 20.
- بأزمة، مرجع سابق، ص 20.
- 42. الزاوي، مرجع سابق، ص 77.
- علي مصطفى المصراطي، الصيلات بين ليبيا وتركيا، طرابلس (1968م)، ص 81-82.
- وفي يوم 5-10-1911م نسفت الباخرة أدرنة من قبل البحارة الإيطاليين.
- 43. (دم) تاريخ القوات المسلحة التركية- الحرب العثمانية الإيطالية 1911-1912،
ترجمة محمد الأسطى وعلي اعزازي (منشورات م.د.ج.ل)، 1988 ص 148-511-510-149.
- 44. أمحمد سعيد البوجديدي، موسوعة روايات الجهاد، مراجعة علي صالح قريميدة،
منشورات مركز الجهاد الليبي (2002م)، ص 17.
- 45. عبد المنصف حافظ البوري، الغزو الإيطالي لليبييا، الدار العربية للكتاب (1982م)،
ص 51.
- سمعان بطرس فرج الله، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، ج1، ط2،
القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية (1980م) ص 61.
- بلغ عدد الزيادة السكانية كل عشر سنوات بمعدل مليوني نسمة تقريباً.
- 46. البوري، مرجع سابق، ص 61-64.

47. محمد متولي - محمود أبو العلا، الجغرافية السياسية، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) ص 432-433.
48. محمد حسن صالح منسي، الحملة الإيطالية على ليبيا، القاهرة: دار الطباعة الحديثة (1980م)، ص 24.
- زاهر رياض، شمال أفريقيا في العصر الحديث، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية (1967م)، ص 222.
49. البوري، مرجع سابق، ص 28-29-33.
50. الزائدي، مرجع سابق، ص 52.
51. البوري، مرجع سابق، ص 35.
- الزائدي، مرجع سابق، ص 53.
52. البوري، مرجع سابق، ص 37.
- صلاح الدين حسن السوري، حبيب وداعة الحسناوي (إشراف)، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج 2، مركز دراسة جهاد الليبيين (1984م) ، ص 23.
53. الزائدي، مرجع سابق، ص 76.
54. مفتاح السيد الشريف، الاستعمار الإيطالي لليبيا، طرابلس: دار النشر الليبية (1970م)، ص 18-19.
- كارلو فوتي بورشينايري، العلاقات العربية الإيطالية، ترجمة عمر الباروني، مراجعة عبد الرحمن سالم العجيلي، منشورات مركز جهاد الليبيين (1980م) ص 119.
- الطاهر أحمد الزاوي، عمر المختار، ط 2، طرابلس : مؤسسة الفرجاني (1970م) ص 38.
- مجلة الشهيد، عدد5، مركز دراسة جهاد الليبيين (1984م) ، ص 38.
55. الشتيوي، مرجع سابق، ص 72.
- ارسي، مرجع سابق، ص 12-13-14.
- جون رأيت، تاريخ ليبيا، تعريب عبد الحفيظ الميار- أحمد اليازوري، طرابلس : دار الفرجاني (1972م)، ص 116.

56. ماريو غرسو، التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، ترجمة شمس الدين عرابي بن عمران، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين (1989م)، ص 104.
57. عقيل البربار، إيطاليا والرغبة في استعمار، مجلة الشهيد، العدد 30-31، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ص 40.
- أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة (1971م)، ص 164-165.
58. عقيل محمد البربار، مصرف روما ودور السلطات العثمانية، مجلة البحوث التاريخية، يوليو 1982، مركز دراسة جهاد الليبيين، ص 238-239.
59. عقيل البربار، إيطاليا والرغبة في الاستعمار، مجلة الشهيد، العدد 30 (2009-2010) المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص 34.
- مالجييري، مرجع سابق، ص 20 وما بعدها.
 - نفسه، ص 23-34.
60. رجب باشا : عين واليا على ولاية طرابلس الغرب (1904-1908) وكانت مهمته تحسين الأوضاع العسكرية في الولاية لمواجهة الخطر الإيطالي والحد من نشاط السياسة الإيطالية في طرابلس، وكان نشاطه ضد السياسة الإيطالية سبباً لبذل الإيطاليين كامل مساعيهم لنقله من الولاية طرابلس الغرب ليخلو الجو لهم لتحرير وتحقيق سياستهم الاستعمارية في ليبيا.
- الدجاني، مرجع سابق، ص 163-166.
61. البربار، مصرف روما ودور السلطات العثمانية، مرجع سابق، ص 241.
- مالجييري، مرجع سابق، ص 24-25.
 - الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص 45.
 - الزائدي، مرجع سابق، ص 67.
 - أنظر نص التقرير الذي أعده إبراهيم باشا إلى الأستانة.
62. الطاهر أحمد الزاوي، ولاية طرابلس، بيروت: دار الفتح للطباعة (1970م) ص 284-285.

63. الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص 50.
64. البربار، مصرف روما ودور السلطات العثمانية، مرجع سابق، ص 245.
- مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد، مرجع سابق، ص 112.
 - ماکولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، مرجع سابق، ص 61-62.
 - البربار، إيطاليا والرغبة في الاستعمار، مرجع سابق، ص 30-31.
65. مناع، مرجع سابق، ص 14-16.
66. الشتيوي، مرجع سابق، ص 43.
67. الشريف، مرجع سابق، ص 35-36.
68. انتوني كاكيا، ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني، طرابلس: دار الفرجاني (1975م)، ص 94.

أثر التجوية الكيميائية في الصخور الجيرية لمنطقة بئر الغنم

شمال غرب ليبيا

أ. الرماح المهدي محمد الشاملي

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

مقدمة:

تعتبر التجوية الكيميائية من ضمن مجموعة العوامل الخارجية (السطحية) التي تمارس نشاطها فوق سطح الأرض أو من الخارج ، وتغطي وجه الأرض معالمها الدقيقة وقسماتها التفصيلية⁽¹⁾، وهي تؤثر في سطح الأرض بواسطة عوامل الحرارة، والرياح، والمياه الجارية والمياه الجوفية، والجليد، والكائنات الحية، وتهدف إلى إزالة تضرس قشرة الأرض الخارجية وتسويتها⁽²⁾، ويطلق اسم التجوية الكيميائية على العمليات التي تلحق تغيرات جذرية بالمواد الصخرية التي تصيبها، فتحولها إلى مواد أخرى مختلفة عن المواد الأصلية⁽³⁾، التي تؤدي إلى تفكك الصخر؛ لأن ينقل بعد ذلك بواسطة عوامل متحركة كالهواء أو المياه الجارية والجليد، ولذا تعد بمثابة المرحلة الأولى في عملية التعرية⁽⁴⁾. ومن هذه العمليات عملية التأكسد ، وعملية التمزق، والتكرين، والإذابة، وما يهمننا من هذه العمليات الأربعة هي عملية الكربنة والإذابة التي تؤثر في الصخور الجيرية لمنطقة بئر الغنم.

أما مفهوم الصخور الجيرية وتكويناتها، والتي تعتبر من ضمن أنواع الصخور الرسوبية، فهي تعني "التركيب الكيميائي وتصنيف ومسامية ونفاذية الصخور الجيرية والتي تتأثر بالتجوية الكيميائية" وبالتالي تكون الصخور الجيرية ظاهرات تضاريسية أكثر تميزاً عن أي نوع آخر من الصخور، ويرجع هذا في المقام الأول إلى نظام الفواصل فيها، وإلى نفاذيتها ثم إلى قابليتها للذوبان في الماء المحتوى على ثاني أكسيد الكربون أو الأحماض الدوبالية⁽⁵⁾.

من خلال هذا البحث، كان لابد من التعرف على مدى أثر التجوية الكيميائية في الصخور الجيرية لمنطقة الدراسة والتعرف على أهم الظواهر الجيومورفولوجيا التي تنشأ عنها من خلال تساؤلات تمثل مشكلة البحث.

فهل هناك أنواع محددة من عمليات التجوية الكيميائية تؤثر أكثر من غيرها على الصخور الجيرية؟

وما مدى تأثير الصخور الجيرية بالتجوية الكيميائية؟ وما هي أهم الظواهر الجيومورفولوجيا في منطقة بئر الغنم.

أما فرضيات البحث ، فإنها تمثل حلولاً مبدئية، يتطلب فحصها وتحليلها لإدراك حقيقتها، وقد شملت على الآتي:

1- هناك أنواع محددة من عمليات التجوية الكيميائية تؤثر أكثر من غيرها على الصخور الجيرية مثل عمليات الكرنية والإذابة.

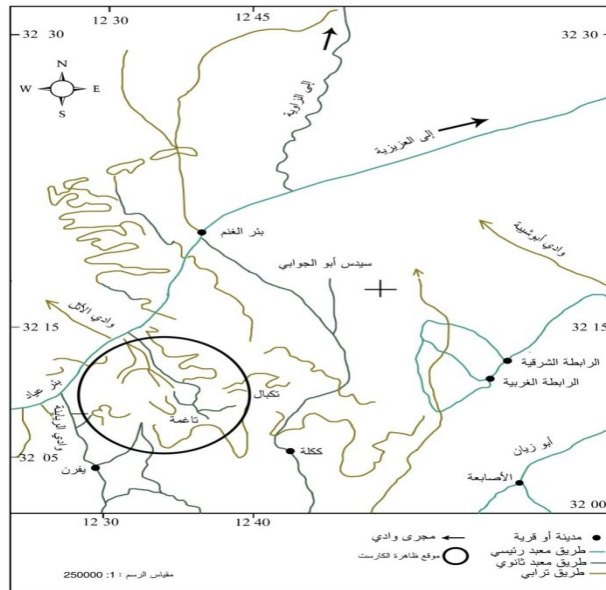
2- تتأثر الصخور الجيرية بالتجوية الكيميائية وذلك يرجع إلى نظام الفواصل والشقوق فيها، ومساميتها ونفاذيتها ثم إلى قابليتها للذوبان في الماء المحتوى على غاز ثاني أكسيد الكربون.

3- توجد أشكال جيومورفولوجيا تميز منطقة الدراسة تعرف باسم ظاهرة الكارست منها ما هو سطحي مثل التنتشرشر الجيري والبالوعات ومنها ما هو جوفي مثل الكهوف الجيرية، والتي تحتوي على ظواهر مختلفة مثل الهوابط والصواعد، ورواسب الكهوف.

موقع منطقة الدراسة:

تقع منطقة الدراسة في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا ما بين خطي طول 30° : 12° و 40° : 12° شرقاً ودائرتي عرض 05° : 32° و 15° : 32° شمالاً⁽⁶⁾، عند مقدمة الجبل الغربي في الجزء الأوسط من الجبل يحدها من الشمال سهل الجفارة ومن الجنوب قدم الجبل الغربي ومن الشرق منطقة تكبال ومن الغرب الطريق بئر عياد⁽⁷⁾ الخريطة (1).

خريطة (1) الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة الدراسة



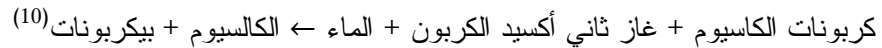
المصدر/ عمل الباحث استناداً إلى أطلس بلدان العالم، دار عويان للنشر والطباعة ، بيروت ، لبنان ، 2013، ص 144.

مركز البحوث الصناعية ، الخريطة الجيولوجية ، لوحة طرابلس، 1975م.

التجوية الكيميائية: تتألف عمليات التجوية الكيميائية من تفاعلات كيميائية عديدة بين السوائل والغازات التي يتكون منها الغلاف الغازي والمائي فوق وتحت سطح الأرض وبين الصخور والمعادن والرواسب والمواد العضوية التي تتألف منها القشرة الأرضية مثل عمليات التحلل بالماء أو التميؤ والأكسدة، ومن بين هذه العمليات التي تؤثر في الصخور الجيرية لمنطقة الدراسة هي عملية الإذابة والكرينة⁽⁸⁾.

عمليات الإذابة والكرينة:

تغطي الصخور القابلة للذوبان وخاصة الحجر الجيري ملايين الكيلومترات المربعة، وتقوم المياه الجوفية بدور رئيسي في تعريتها وذلك بإذابة هذه الصخور، فالصخور الجيرية غير القابلة تقريباً للذوبان في المياه النقية يمكن إذابتها إذا ما حوت المياه المؤثرة فيها نسبة قليلة من حامض الكربونيك، وذوبان ثاني أكسيد كربون الهواء الجوي أو الناتج عن تحلل النباتات يزود معظم المياه الطبيعية بهذا الحامض الضعيف وعند مرور المياه الجوفية بالصخور الجيرية يتفاعل حامض الكربونيك مع كالكسيت هذه الصخور معطياً بيكربونات الكالسيوم القابلة للذوبان في الماء، وبالتالي يتم نقلها بواسطة المياه الجوفية المتحركة⁽⁹⁾، بمعنى تشترك في هذه العملية ثلاثة عناصر رئيسية هي الماء والصخور وغاز ثاني أكسيد الكربون، حيث تتفاعل هذه العناصر وفق عمليات كيميائية وفيزيائية محددة تقود إلى تغير في خصائص المادة من خلال أسطح تلامس الماء والهواء وتلامس الماء والصخور، وتتفاعل هذه العناصر وفق المعادلة التالية:



يتكون نتيجة هذا التفاعل بيكربونات الكالسيوم، وهي قابلة للذوبان في الماء وتنتقلها المياه الجوفية على شكل محلول، والمياه المحملة بثاني أكسيد الكربون تتخلل الصخور الجيرية على امتداد الفواصل والفوالق على السطح وداخل الأرض وتذيبها مكونة فيها فراغات وممرات وكهوف وحفر بالوعية على السطح مما يعطي المناطق الجيرية طابعاً تضاريسياً خاصاً، تعرف بتضاريس الكارست⁽¹¹⁾.

تكتسب دراسة المناخ أهمية خاصة بالنسبة للأبحاث الجيومورفولوجية، حيث يتضح أثر عناصر المناخ المختلفة في مظاهر السطح في منطقة الجبل الغربي، ومنطقة الدراسة

وذلك بالرغم من أن المناخ الحالي لم يكن السبب الرئيسي في تكوين الظواهر الجيومورفولوجية السائدة الآن، وخاصة الظواهر الكارستية.

إنه مما لا شك فيه أن عناصر المناخ، خاصة عنصري الحرارة والتساقط لها دوراً هاماً في تشكيل سطح الأرض، ولا بد بالضرورة أن تتأثر بها العمليات الجيومورفولوجية المختلفة وتؤثر العوامل المناخية على العمليات الجيومورفولوجية إما بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر، وتتمثل المؤثرات المناخية المباشرة في كمية الأمطار ونظام سقوطها، العلاقة بين التساقط ودرجة التبخر، المدى اليومي للحرارة وعمق تأثير الصقيع في صخور القشرة، سرعة الرياح واتجاهاتها، تغير الظروف المناخية بزيادة الارتفاع عن سطح الأرض، إما المؤثرات غير المباشرة فترتبط بمعرفة كيفية التوزيع النباتي على سطح الأرض بتغير الظروف المناخية وتباينها⁽¹²⁾.

يختلف تأثير بعض الأنواع الصخرية بالعمليات الجيومورفولوجية المختلفة باختلاف الظروف المناخية، فالصخور الجيرية في الأقاليم المدارية المطيرة صخور ضعيفة لا تقوى على مقاومة عمليات التجوية الكيميائية خاصة عملية الإذابة، لذا تتميز المناطق التي تتألف من صخور جيرية بأنها منخفضة بالنسبة لما يجاورها من مناطق قد تتألف من أنواع صخرية أكثر مقاومة لهذا العمليات، في حين أن الصخور الجيرية في الأقاليم الجافة تقل درجة الرطوبة بحيث يكاد يتلاشى تأثير عملية الإذابة⁽¹³⁾.

تشير اختبارات ذوبان صخور منطقة الدراسة إلى أن كمية ذوبان الصخور داخل ماء مقطر عند درجة حموضة 6.6 وعند درجة حرارة 12° درجة مئوية قد بلغت 2082 ملغ/لتر بعد مضي 72 ساعة ومن خلال نتائج هذه الاختبارات يتضح أن صخور منطقة الدراسة تمتاز بدرجة ذوبان عالية⁽¹⁴⁾.

تستقبل المنطقة أمطاراً يبلغ معدلها السنوي حوالي 200 ملم تهطل على مكاشف الصخور الجبسية وينشأ عنها جريان سطحها منتشراً في البداية على سطح الصخور الجبسية غير النفاذة ثم يتركز بعد ذلك في المواقع التي بها صخور ذات درجة ذوبان عالية وبها فواصل وشقوق تزداد أحجامها مع مرور الزمن مكونة بالوعات وكهوف ودواليب وقنوات وذلك بفعل التجوية الكيميائية، وبالتالي فإن المياه الجارية في الأودية

والجداول بالمنطقة قد تختفي فجأة لتجري مرة أخرى في مجاري تحت أرضية لتخرج مرة أخرى على سطح الأرض على هيئة ينابيع كارستية مثل العين الكارستية لكهف أم المصاييح الموجودة في ظهرة الغار وعين فاسات الموجودة في وادي فاسات⁽¹⁵⁾.

مفهوم الصخور الجيرية وتكوينها:

1- التركيب الكيميائي: الصخور الجيرية هي صخور متعددة الأصول أو المنشأ يطلق لفظ الجيري على الصخور التي تحتوي على أكثر من 50% من الجير، ويتكون الصخر الجيري من كربونات الكالسيوم على هيئة معدن الكليسات أو الأراقونايت أو دولوميت ويحوي الصخر الجيري الكارستي على 90% من معدن الكليسات. وتتواجد كربونات الكالسيوم في الطبيعة على هيئة أشكال ونظم بلورية مختلفة، تتباين في ثباتها عند درجات الحرارة العالية وتعرف هذه النظم بأسماء مختلفة مثل الكليسات والأراقونايت والفرتايت، كما يمكن أن تتواجد على هيئة حبيبات دقيقة، والفرتايت هو معدن غير مستقر ذو نظام بلوري سداسي يتحول خلال بضعة أيام إلى كليسايت، أما معدن الأراقونايت فتأخذ بلوراته النظام المعين حيث تظهر على شكل إبري، وهو معدن غير مستقر يتحول إلى كليسايت بعد ترسيبه من مياه البحر ويصاحب تحوله زيادة في حجم المعدن بحوالي 8%، تؤدي عملية التحول هذه إلى إعادة تبلور المعدن وفقدان الكثير من خصائصه البلورية ويحوي الأراقونايت على نسبة قليلة من معدن الماغنيسيوم يتراوح بين (1-2%) ولا يتأثر الماغنيسيوم بعملية التحول حيث يكون الكالسيوم الناتج محتويًا على نفس النسبة تقريباً، ويتم عملية تحول الأراقونايت إلى كليسايت إما بالتحول البوليمري أو الذوبان وإعادة الترسيب⁽¹⁶⁾.

وتأخذ بلورات الكليسايت الشكل البلوري المعين، ويترسب الجير في الوقت الحاضر في البحار الواقعة ضمن نطاق العروض الوسطى السفلي حيث تغطي الأرسابات المحتوية على أكثر من 30% من الجير أي حوالي نصف مساحات قيعان البحار والمحيطات، وتعد الأرسابات البلاجية هي مصدر الجير حيث تبلغ الأرسابات البلاجية في العروض الوسطى أكثر من 1 سنتيمتر/1000 في السنة، أما في نطاقات العروض الباردة فإن معدلات ترسب الجير هي أقل بكثير مما هي عليه في العروض الدافئة، كما أن الشكل الوحيد

المعروف الذي تترسب عليه بلورات الكالسيوم من مياه البحر هو معدن الأرقونايت بينما تترسب على هيئة معدن الكلسايت من المياه العذبة، ويحتوي معدن الكلسايت المترسب من مياه البحر على نسبة قليلة من الماغنسيوم، أما الكلسايت الغني بالماغنسيوم فيتواجد في أصداف الكائنات البحرية وهو أيضاً غير مستقر فيزيائياً إذ سرعان ما يتحول إلى كلسايت منخفض الماغنسيوم بواسطة ذوبان أو رشح الماغنيسيوم⁽¹⁷⁾.

2- تصنيف الصخور الجيرية: تتميز الصخور الجيرية بالتباين الشديد في تركيب نسيجها الصخري وهذا يعود إلى تنوع مكونات هذا النسيج، فنجد حثاتي في أحد أجزائه وكيميائياً في جزئه الآخر وعضوياً في جزئه الثالث ونجده متحولاً في قسمه الرابع، لذلك لا يمكن أن نجد تصنيفاً يمكنه ان يجمع بين التباين الناجم عن النسيج الصخري وتلك الناتجة عن المنشأة ومع ذلك وبصفة عامة يمكن تصنيف الصخور الجيرية إلى مجموعتين رئيسيتين اعتماداً على الخصائص الجينية للصخر المجموعة الأولى تعرف باسم ذاتي المنشأة، والمجموعة الثانية تعرف باسم جليب المنشأة أو المنقول.

فمجموعة الصخور الجيرية ذاتية المنشأة تضم الصخور التي تكونت في موضع الترسيب (أي أنها لم تحضر إلى موضع الترسيب من مكان آخر) ومن أمثلتها الصخور الجيرية الناتجة عن النشاط الحيوي الطلبي وصخور المستحاثات الجيرية وهي صخور من أصداف المستحاثات، أما الصخور جليبية المنشأة أو المنقولة فهي التي نقلت مكوناتها من مكان النشوء إلى موضع الترسيب بواسطة عوامل النقل المختلفة وعادة ما تتكون هذه الأنواع من الصخور من فئات الأصداف والإرسابات الجيرية المختلفة⁽¹⁸⁾.

3- مسامية ونفاذية الصخور الجيرية:

أ- المسامية: تعرف المسامية بأنها نسبة الفراغات داخل الصخور إلى إجمالي حجم الصخور معبراً عنها بنسبة مئوية.

ب- النفاذية: هي قدرة الصخور أو الرواسب على تمرير الموائع خلالها، مثل الماء أو النفط أو الغاز⁽¹⁹⁾ تعتمد استجابة الصخور الجيرية للعمليات الجيومورفولوجية بدرجة كبيرة على نفاذية الصخور، إضافة إلى درجة نقائها حيث ترتبط الأولى بمسامية الصخور ومناطق الضعف فيها، لتصبح قادرة على خزن المياه بداخلها بحيث يجب أن تتوفر بين

مكونات صخورها مسام، هذه الفراغات أصطلح على تسميتها المسامية التي يجب أن تكون متصلة مع بعضها وذات حجم يسمح بحركة المياه خلالها، وتُعرف قدرة الصخور عند نفاذ المياه خلالها بالنفاذية، أما إذا كانت المسام صغيرة الحجم وغير متصلة فإنها في هذه الحالة لا تسمح بمرور المياه خلالها وتسمى بالصخور المصمتة وغير النفاذة⁽²⁰⁾ تشمل منطقة الدراسة جيولوجيا على تكوين بئر الغنم الذي يتراوح عمره بين الثلاثي العلوي والجوراسي الأوسط نظراً لتواجده بين تكوين أبو غيلان وتكوين تكبال.

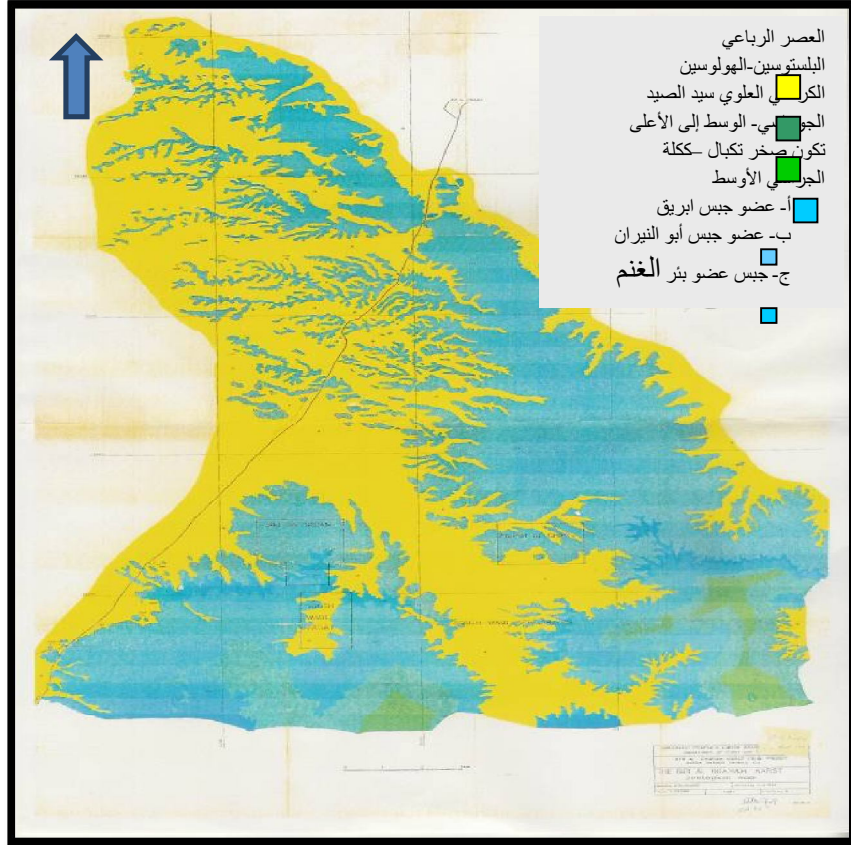
وينقسم تكوين بئر الغنم إلى ثلاثة أقسام من أسفل إلى أعلى كما يلي:

1- **قسم بئر الغنم:** يتكون في معظمه من جبس مع تداخلات منالدولوميت، حيث يحتوي على 91-98% جبس، و 1-7% دولوميت وعلى شوائب قد تصل نسبتها إلى 3% من السلسنيت والانهيدريت ويبلغ أقصى سمك له في المنطقة حوالي 300 متر⁽²¹⁾، وتظهر بالجزء السفلي من واجهة الجبل الغربي⁽²²⁾.

2- **قسم أبوالنيران:** يعلو جبس بئر الغنم فيظهر في نطاق ضيق من الجزء الجنوبي من منطقة الدراسة بين قرية تكبال شرقاً وبئر عياد غرباً ويتألف من طبقة سميكة من الحجر الجيري تعلوها طبقات من الطفل والطين الأحمر ويبلغ سمك هذه الطبقات 20 متراً⁽²³⁾.

3- **قسم جبس أبريق:** يعلو عضو أبوالنيران، ويتألف من طبقات جبسية تعلوها طبقات من الدولوميت والمارل الدولوميتي والمارل الجيري والصلصال، ويغطي الجزء الجنوبي من منطقة الدراسة ويتراوح سمكه ما بين 80-100 متراً⁽²⁴⁾. الخريطة الجيولوجية (2)

خريطة (2) الخصائص الجيولوجية لمنطقة الدراسة



المصدر/ Nikex – Oviber Company – Department of water and soil "Blr Al Ghanam Karst studyProjet" Tripoli – Libya, 1981.

خصائص النسيج الصخري وبيئة الترسيب ومسامية ونفاذية الشقوق والفواصل لمنطقة الدراسة: لقد كانت بيئة الترسيب الصخري في منطقة الدراسة بيئة (اللاغونات)، فقد كان هناك تبادل بين البيئة النهرية والبيئة الانتقالية التي يوجد بها الكثير من البحيرات الضحلة (اللاغونات) يتكون حجر أبوغيلان الجيري من طبقات متبادلة من الحجر الجيري الستروماتوليتي والحجر الجيري ذو الفراغات وبريشيا الأنهار والدولوميتات ذات الحبيبات الدقيقة والأحكام الجيرية ذات الأصل العضوي كما أن به طبقات رقيقة من

المارل والطين الأخضر الذي كثيراً ما يوجد به تشققات طينية، وتوجد في بعض الأحيان طبقات رقيقة من الجبس المتصفح الدقيق الحبات ولقد كانت بيئة الترسيب عبارة عن أرضة مسطحة ضحلة يغلب عليها ترسيب الكربونات، وتميزت بيئة الترسيب بأنها كانت تتغير مع الزمن، ومن مكان لآخر، حيث كان يسودها ترسيب الكربونات من بيئة ضحلة تحت مستوى المد والجزر إلى بيئة المد والجزر أو فوق المد. أما صخور منطقة الدراسة فهي تشبه في تركيبها الجيولوجي تكوين أبوغيلان حيث أن بيئة الترسيب كانت انتقالية إلى بيئة لاغونات المناطق القاحلة ذات الدورة المحدودة التي ترسبت فيها متبخرات جبس بئر الغنم⁽²⁵⁾.

تشير نتائج التحليل لأكثر من خمسين عينة أخذت من أماكن متفرقة من صخور تكوين بئر الغنم وأبولنيران وتكوين عضو أبريق التي تم تحليلها في المختبرات التابعة لشركة (نيكسأفير)^(*) أن مسامية ونفاذية هذه الصخور تتراوح بين الجيدة إلى الممتازة وبالتالي تتمتع هذه الصخور بخصائص فيزيائية جيدة عملت على نشوء ظواهر جيومورفولوجية مميزة⁽²⁶⁾.

أهم الظواهر الجيومورفولوجية في منطقة بئر الغنم:

1- إن أهم ظاهرة مميزة في منطقة بئر الغنم هي ظاهرة الكارست، وهي ظاهرة ناتجة عن نشاط العمليات الكيميائية، والتي يطلق عليها اسم (التجوية الكيميائية)، ومن أهمها عملية الإذابة، فكثير من الصخور تحتوي على عناصر قابلة للذوبان. وإن عملية الكربنة هي عملية تحلل الصخور بفعل حامض الكربونيك، وتتخلص في أن ماء الأمطار أثناء سقوطه خلال طبقات الهواء يحمل معه جزءاً من ثاني أكسيد الكربون الموجود به فتكون النتيجة نوعاً من حامض الكربونيك المخفف، وهذا الحامض عظيم الفاعلية في إذابة المواد الكلسية، لهذا فإن عملية الكربنة تبدو أوضح ما تكون في مناطق الحجر الجيري تحت ظروف المناخ الرطب، وبذلك تشكل فجوات وكهوف⁽²⁷⁾.

أما مصطلح الكارست، هو عبارة عن إقليم الكارست في يوغوسلافيا سابقاً، وهو إقليم واسع يمتد على شكل نطاق كبير يسير موازياً للبحر الأدرياتي، ونظراً لسمات هذا الإقليم

أصبحت كلمة (كارست) تطلق على كل الظواهر المورفولوجية المماثلة التي توجد في مناطق التكوينات الجيرية التي تتأثر بفعل المياه الباطنية في أي جهة من جهات العالم⁽²⁸⁾.

أولاً- الظواهر الكارستية السطحية:

1- التشرشر الجيري أو اللابية: وهي عبارة عن خدوش تعترى سطح الصخور الجيرية تكون مستوى بالتراب أو تظهر متكشفة، ففي الحالة الأولى يجري حت الصخر بفعل الرطوبة والأحماض الدبالية في التربة وفي الحالة الثانية فإن ماء السيلان هو المسؤول عن تآكل الصخر مما يؤدي إلى تكون أشكال على هيئة قنوات أخاذيز وغيرها⁽²⁹⁾، إذ تترسب مياه الأمطار خلال الصخور الناتجة فتذيب قدرًا من المواد الجيرية مما يساعد على توسيع الشقوق والفواصل في هذه الصخور، وتستمر هذه العملية بسرعة واضطراد حتى لا يبقى من التكوينات الجيرية إلى الكتل المنفصلة المشرشرة، ذات السطوح الكثيرة التذبذب، وتتحكم في عملية الإذابة التي تؤدي إلى تكوين مثل هذه الظاهرة عوامل عديدة هي التي تؤثر في سرعة قيامها بعملها وفي الاتجاه الذي تعمل فيه، ومن هذه العوامل كمية الأمطار، ودرجة أنفاذ الصخر لمياه الأمطار، ووجود الشقوق والفواصل وخطوط الانفصال، ووجود بعض عقد في التكوينات الجيرية⁽³⁰⁾، ويوضح الشكل (1) هذه الظاهرة بمنطقة الدراسة.

شكل (1) للابية (التشرشر الجيري)



المصدر: الباحث من نتائج الدراسة الميدانية لمنطقة قصر بن النيران وجنوب وادي فاسات بتاريخ 2017/4/25م.

الدوليتات أو البالوعات: وهي عبارة عن انخفاضات مغلقة ذات أبعاد صغيرة إلى متوسطة الحجم تأخذ مقاطعها الجانبية شكل القمع أو الحوض، أما مسقط فتحاتها فتأخذ الشكل الدائري أو الاهليجي حيث يتراوح متوسط عمقها بين 2 إلى 100 متر وأقطارها بين 10 إلى 100 متر وفي أغلب الأحيان يكون قطر الدولينة أكبر من عمقها⁽³¹⁾.

وهي ظاهرة واسعة الانتشار حيث تكاد لا تخلو منها أي منطقة جيرية، وتختلف هذه الحفر فيما بينها من حيث المساحة والعمق والشكل، ويمكن أن نميز نوعين رئيسيين هما: النوع الأول، يعرف باسم بالوعات الإذابة، كما يعرف كذلك باسم البالوعات المستديرة الشكل، وتتكون هذه المجموعة من الحفر ببطء تبعاً لعمليات تحلل الصخور السفلية واتساع فتحات الشقوق الصخرية مما ينجم عنه هبوط الطبقة العليا من السطح وتبدو على شكل منخفض شبه مروحي، وتتميز أعالي الطبقة العليا من صخور هذا المنخفض باحتوائها على أرسابات من التربة تساهم في تكوين غطاءات من تلك النباتات التي تنمو عادة في مثل هذه التربة الجيرية.

أما النوع الثاني، فيعرف باسم البالوعات الانهيارية وتتكون هذه المجموعة من البالوعات أو الحفر تبعاً لعمليات انهيار الصخور الجيرية السطحية، وقد تلتحم بالوعتان مع بعضهما تبعاً لتعرضهما للانهيار، ومن ثم تتكون بالوعات مركبة⁽³²⁾.

ولا بد بطبيعة الحال من أن نتصرف نسبة كبيرة من المياه التي تجري جرياناً سطحياً إلى هذه البالوعات وسرعان ما تجد لها بعض المسارب الباطنية التي توسعها وتتجمع فيها⁽³³⁾ الشكل (2) و(3).

لشكل (2) الدولينة الانهيارية في منطقة قصر أبو النيران



المصدر/ عدسة الباحث بتاريخ 2017/04/20م

الشكل (3) بالوعة



المصدر/ -Blr Al Ghana "Department of water and soil Nikex – Oviber Company – Tripoli – Libya, 1981, PLATE 10

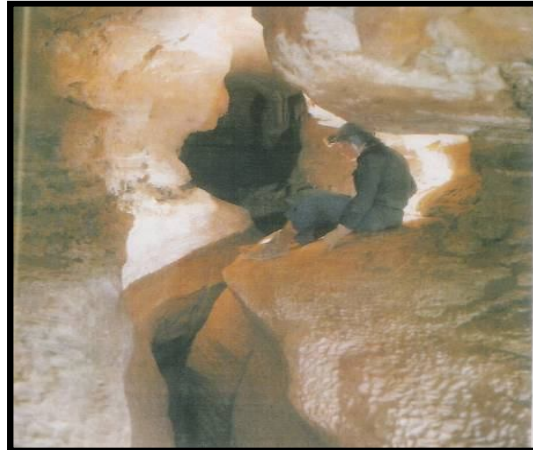
يوجد في منطقة ظهرة الغار وهو مرتبط بكهف أم المصابيح .

ثانياً- الظاهرات الجيومورفولوجيات الجوفية:

1- الكهوف: وهي عبارة عن ممرات طبيعية توجد تحت سطح الأرض بحيث يخترق مفاصل الصخور وسقفه، وقد تمتد هذه الكهوف في باطن الأرض امتداداً أفقياً أو رأسياً، كما قد توجد على مناسيب عديدة وتظهر لها عدة طوائق، وقد تجري فيها مجاري باطنية تنتشعب في باطن الأرض، كما أنها كثيراً ما تكون خالية تماماً من المياه، وأن اتجاهات

المفاصل والشقوق التي توجد بالصخور الجيرية هي التي تحدد نمط هذه الكهوف والشكل العام الذي تظهر به، وإذا تسربت مياه جيرية ترتفع بها نسبة أملاح الجير المذابة، إلى هذه الكهوف فقد تؤدي إلى تكوين أعمدة رفيعة هي التي تعرف بالنوازل التي تترسب عند سقوف هذه الكهوف وتمتد صوب أرضها، وذلك لأن المياه المشبعة بالمادة الجيرية عندما تدخل إلى سقف الكهف تبقى معلقة عنده فتفقد جزءاً مم تحويه من غاز ثاني أكسيد الكربون وترسب ما تحمله من كربونات الجير على هيئة بلورات يتزايد عددها وامتدادها حتى يتكون عمود رقيق منها، وقد تسقط المياه الجيرية من سقف الكهف وتتراكم على أرضه حيث تتعرض للتبخر وترسب مادة كربونات الكالسيوم المذابة بها وتتكون أعمدة أخرى مقابلة للعمود المتدلي من سقف الكهف، هي التي تعرف بالصواعد وهي تنمو إلى أعلى وقد يتقابل العمودان ويشتبكان ويتكون عمود واحد سميك هو الذي يمكن أن نسميه بالعمود الجيري، وهناك نوع آخر من أعمدة الترسيب الجيرية التي توجد في الكهوف ولا يشترط في نموها أن تمتد امتداداً رأسياً، بل تنمو نمواً أفقياً أو مائلاً على شكل خطوط منحنية، تعرف بالهليستايت⁽³⁴⁾ الشكل (4).

الشكل (4) تطور الكهف بالاتجاه إلى أسفل كهف قصر أبو النيران رقم (1)



المصدر / Nikex – Oviber Company – Department of water and soil "Blr Al Ghanam Karst studyProjet" Tripoli – Libya, 1981, plate 35.

- وتوجد في منطقة الدراسة مجموعة من الكهوف تتوزع في ثلاث مناطق هي كالتالي:
- 1- منطقة ظهرة الغاز: والتي تقع عند تقاطع خط طول 10.53° 35° 12° ودائرتي عرض 12.90° 10° 32° .
- 2- منطقة أبوالنيران: والتي تقع عند تقاطع خط طول 10.72° 35° 12° ودائرتي عرض 1.55° 10° 32° .
- 3- منطقة جنوب وادي فاسات: والتي تقع عند تقاطع خط طول 26.29° 35° 12° ودائرتي عرض 5.45° 10° 32° .

أولاً- كهوف منطقة ظهرة الغار:

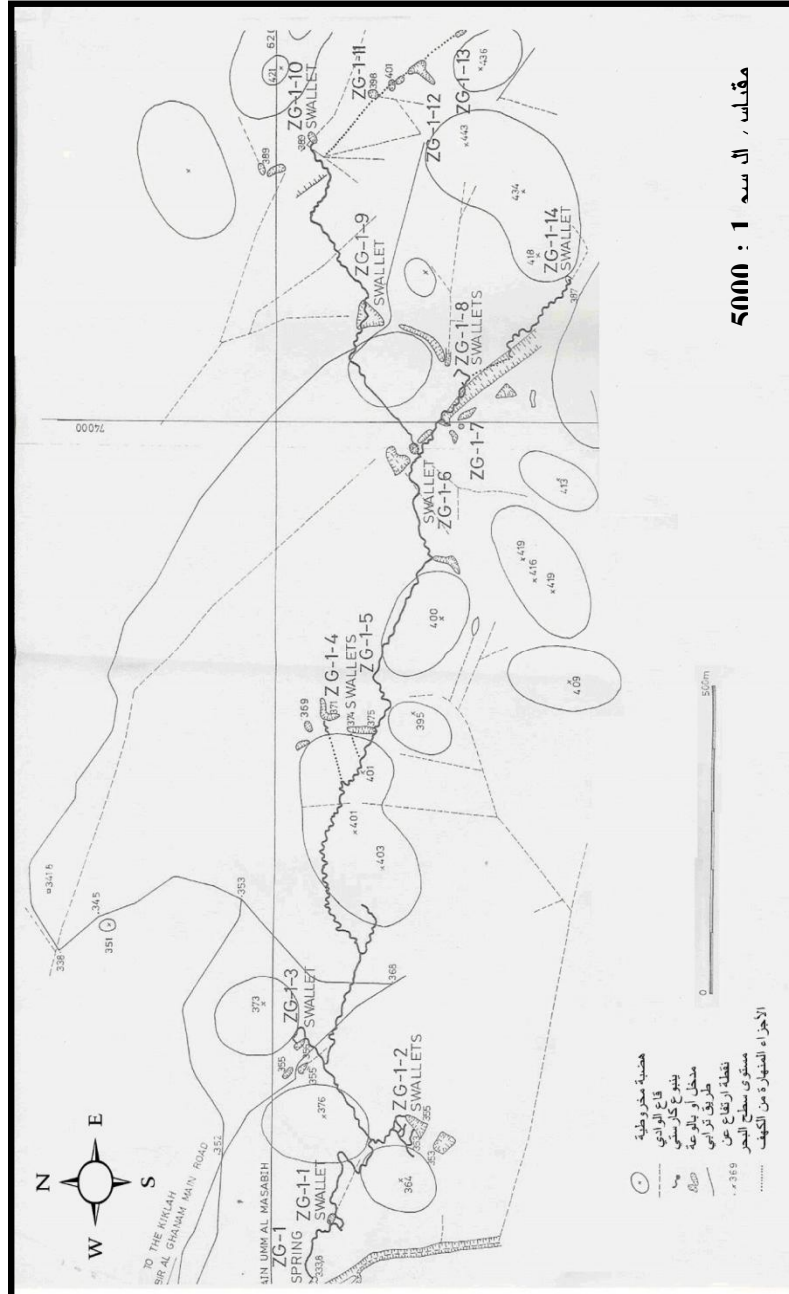
1- كهف أم المصاييح رقم (1):

يقع في الجهة الشرقية من الطريق المؤدية إلى قرية التكمال ويبعد حوالي 5 كلم عنها، وعلى ارتفاع حوالي 350 متر عن سطح البحر، ويمكن الوصول إليه بالسير في الطريق الترابي، ويعتبر كهف أم المصاييح من أهم الظاهرات الكارستية المميزة في المنطقة، والذي يعتبر أطول كهوف منطقة الدراسة، ويعتبر كهفاً جيبرياً وطبقياً وداخلي المنشأ وكبير الحجم حسب تصنيف Bogli، حيث يصل طوله حوالي 3593متر، وحجمه 13350م^3 ، وبه عدد 14 مدخلاً أو بالوعة، بحيث يتم الدخول والخروج من خلالهم⁽³⁵⁾.

2- كهف أم المصاييح رقم (2):

يقع إلى الشمال من كهف أم المصاييح رقم واحد لمسافة حوالي 2 كيلو متراً، ويمكن الوصول إليه من خلال الطريق الترابي، ويخترق تكوين عضو جبس بئر الغنم، ويعتبر من الحجم الصغير، ويقع المدخل أو البالوعة خلف التلال الثلاثة المخروطية الشكل، ويعتبر المدخل صغير الحجم، ومن خلال فتحته الممر والتي تصل قطرها إلى 25 سنتماً، ويمكن المرور بصعوبة إلى داخل الكهف⁽³⁶⁾ الخريطة (3).

الخريطة الطبوغرافية (3) لكهف أم المصايح لظهرة الغار



المصدر : Nikex – Oviber Company – Department of water and soil "Blr Al Ghanam Karst stuppyProjet" Tripoli

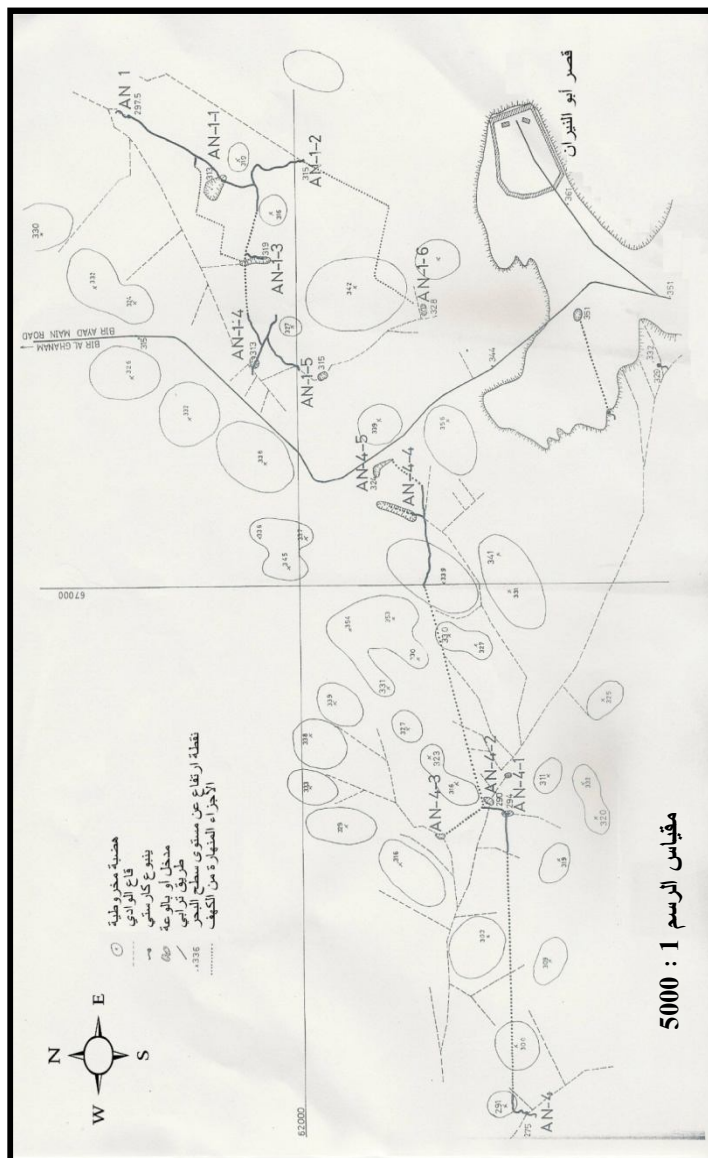
ثانياً- كهوف منطقة قصر بن النيران:

1- كهف بن النيران رقم (1): تقع شمال غرب قصر أبو النيران بالقرب من الطريق، وقبل 300 متراً من المنعطف الأخير إلى المدخل الرئيسي للقصر في اتجاه الكهف ويخترق الكهف تكوين عضو جيبس بئر الغنم وهو يعد كهفاً جيئياً وطبقياً وداخلي المنشأة وكبير الحجم حسب تصنيف Bogli إذ يبلغ طول الكهف حوالي 858 متراً، وحجمه 4500م³، وعدد المداخل أو البالوعات 6 ويظهر المدخل أو البالوعة للكهف على شكل قمع وبحجم كبير بحيث يتكون نظام الكهف من قسمين رئيسيين ويرتبطان بقناة واسعة ومسطحة وخاصة في الأماكن التي تمتلئ بالمياه لذلك كانت الطريقة لاستكشاف باقي القناة تتم عن طريق الغوص في المياه للوصول إلى الطرف الآخر، كما أن من خلال اكتشاف الكهف من كلا الطرفين يظهر نفس الطابع بالنسبة للحجم والاتجاه وينتمي القسمان إلى نفس النظام، والكهف يحتل نظامين عمودياً رئيسياً ومشتركاً، كما أن الجزء الكبير من نظام الكهف لا يظهر نمطاً واضحاً لنظام الكهف أم المصاييح⁽³⁷⁾.

2- كهف بن النيران رقم (2): يقع إلى الجنوب الشرقي من قصر أبو النيران لمسافة 1700 متراً في الجزء الأسفل من الوادي على المنحدر الجنوبي تحت القصر ويخترق تكوين عضو جيبس بئر الغنم، حيث يعتبر هذا الكهف جيئياً وطبقياً وداخلي المنشأة ومتوسط الحجم حسب تصنيف Bogli إذ يبلغ طول الكهف حوالي 105 متراً وحجمه 90م³، وعدد المداخل أو البالوعة واحدة⁽³⁸⁾.

3- كهف بن النيران رقم (3): يقع في جنوب غرب قصر أبو النيران لمسافة 300 متراً في اتجاه اليمين للطريق الترابي ويخترق تكوين عضو أبو النيران حيث يعتبر الكهف جيئياً وطبقياً وداخلي المنشأة ومتوسط الحجم حسب تصنيف Bogli إذ يبلغ طول الكهف حوالي 365 متر حجمه 2094م³، وعدد المداخل أو البالوعة (2)⁽³⁹⁾ الخريطة (4).

الخريطة الطبوغرافية (4) لكهوف منطقة قصر أبو النيران



المصدر / Nitex - Oviber Company - Department of water and soil "Bir Al Ghanam Karst

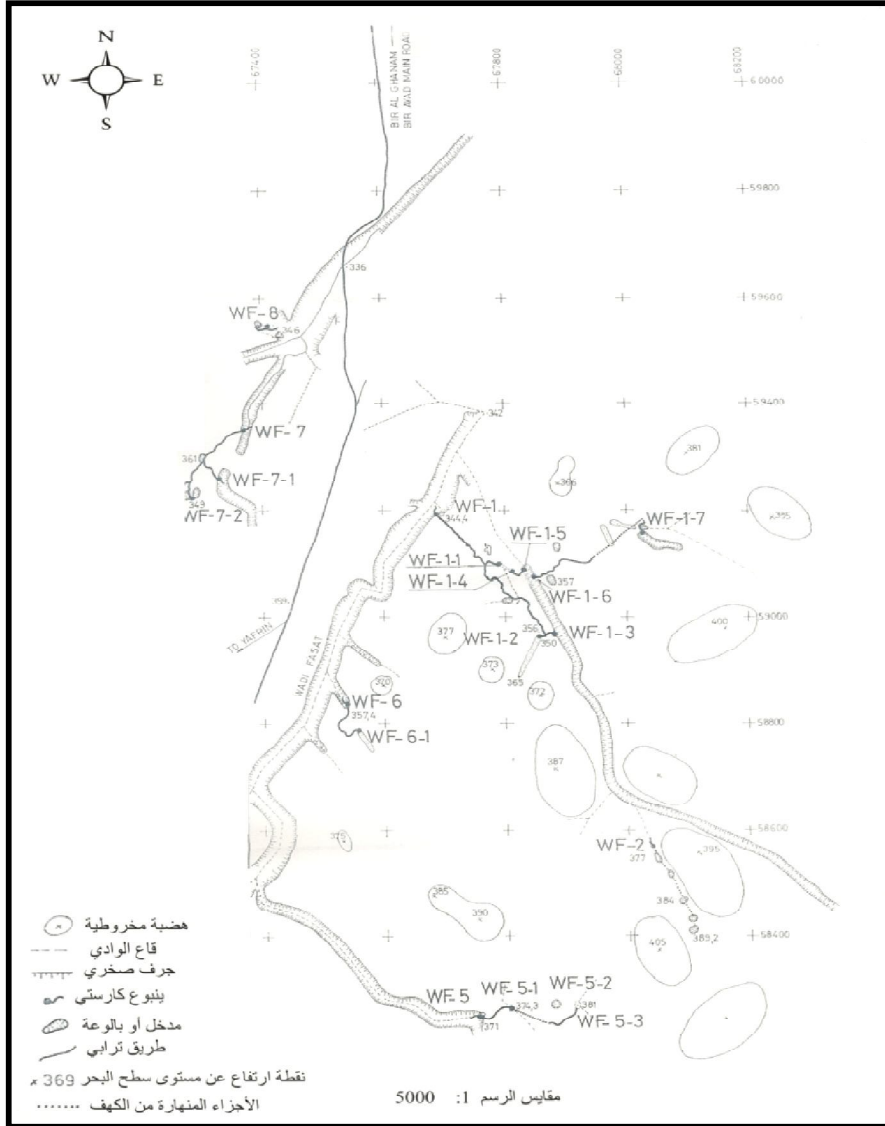
etmuvD-eniaf" Trainof - I htoo 1081 Drawing No. 5

4- كهف أبو النيران رقم (4): ويقع في الجزء الغربي من منطقة قصر أبو النيران إلى اليمين من الطريق لمسافة 1200 متراً، ويخترق تكوين عضو جبس بئر الغنم. ويعد هذا الكهف كهفاً جيبرياً وطبقياً داخلي المنشأ ومتوسط الحجم حسب تصنيف Bogli إذ يبلغ طول الكهف حوالي 435 متر وحجمه 805م³، وعدد المداخل 5⁽⁴⁰⁾.

ثالثاً- كهوف منطقة جنوب وادي فاست: تشتمل كهوف منطقة جنوب وادي فاست على عدد 8 كهوف، حيث يصل أطوال هذه الكهوف مجتمعة إلى حوالي 1338 متراً وعلى ارتفاع 370 متراً عن مستوى سطح البحر، وتم الاعتماد في وصف هذه الكهوف على كهف رقم (1) نظراً لقلّة المعلومات على باقي الكهوف الأخرى.

1- كهف عين فاسات رقم (1): يقع إلى الجنوب من قصر بن النيران لمسافة 2500 متراً، ويمكن الوصول إلى الكهف من خلال طريق ترابي يعبر الوادي العميق مع بستان من النخيل يخترق الكهف، تكوين عضو جبس أبريق حيث يعتبر هذا الكهف جيبرياً وطبقياً وداخلي المنشأ وكبير الحجم حسب تصنيف Bogli إذ يبلغ طول الكهف حوالي 618 متراً وحجمه 1725م²، وعدد المداخل أو البالوعات 5⁽⁴¹⁾ خريطة (5).

الخريطة الطبوغرافية (5) لكهوف جنوب وادي فاسات



المصدر / Nikex – Oviber Company – Department of water and soil "Blr /
Al Ghanam Karst studyProjet" Tripoli – Libya, 1981, Drawing No. 6.

الخاتمة: تناولت هذه الدراسة الظواهر الجيومورفولوجية التي تميز ظاهرة الكارست، ودراسة العمليات الجيومورفولوجية المسؤولة في تشكيلها وتوزيعها في المنطقة الشمالية الغربية من ليبيا، وبالتحديد في الجبل الغربي في جزئه الأوسط، وتم التعرف على مدى أثر التجوية الكيميائية في الصخور الجيرية لمنطقة الدراسة، وعلى أهم الظواهر الجيومورفولوجية التي تنشأ عليها، كما تم الاعتماد على مجموعة من الكتب الجغرافية والبحوث والتقارير، ذات العلاقة بموضوع البحث، وتم التوصل إلى عدة نتائج، واقتراح بعض التوصيات تتلخص في الآتي:

أولاً- النتائج:

- 1- أن المناخ الحالي لم يكن السبب الرئيس في تكوين الظواهر الجيومورفولوجية السائدة الآن في منطقة الدراسة، وإنما يرجع السبب إلى النظرية المناخية التي صاحبت الأزمنة الجيولوجية القديمة.
- 2- يعد العامل الرئيس لنشوء وتطور الكارست في منطقة الدراسة إلى وجود طبقة سميقة من الصخور الجيرية والدولوميتية وتركيبها الكيميائي والنسيج الصخري لها والمسامية والنفاذية في منطقة الدراسة.
- 3- حدثت عمليات كيميائية في الصخور الجيرية والدولوميتية التي تتكون منها منطقة الدراسة.
- وتعرف هذه العملية بعمليات الإذابة والكربنة وهي أهم العمليات المكونة للظاهرة الكارستية.
- 4- توجد أشكال جيومورفولوجية متنوعة تميز الظاهرة الكارستية وتتوزع في مناطق مختلفة من منطقة الدراسة، وهي منطقة قصر بن النيران ومنطقة جنوب وادي فاسات ومنطقة ظهرة الغار، وتشمل هذه الظواهر على اللابية أو التشرشر، والدولينات أو البالوعات والكهوف الجيرية الكارستية، حيث يلاحظ وجود عدد كبير من الكهوف في منطقة جنوب وادي فاسات والتي يصل عددها إلى ثمانية كهوف ثم منطقة قصر بن النيران والتي يصل عددها إلى أربعة ثم منطقة ظهرة الغار والتي يصل عددها إلى

اثنين، ويلاحظ أن أطول كهف في منطقة الدراسة هو كهف أم المصابيح الذي يصل طول إلى حوالي 3593 متراً.

ثانياً- التوصيات:

- 1- زيادة الاهتمام بالأبحاث والدراسات الجغرافية، وخصوصاً في الجانب الجيومورفولوجي بصفة عامة وجيومورفولوجية الكارست بصفة خاصة.
- 2- إنشاء هيئة أو مصلحة في ليبيا متخصصة في دراسة المعالم الجيومورفولوجية المختلفة من خلال تطبيق المفاهيم والأسس الجيومورفولوجية ضمن آليات إنجاز المشاريع التنموية بما يساهم في النمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي.
- 3- ضرورة التعجيل باستثمار الأراضي الكارستية لما لها من مناظر خلابة ومتميزة وخاصة الكهوف وذلك في مجال السياحة، حيث تحتوي المعالم الجيومورفولوجية الكارستية على أسرار ومعلومات جيولوجية، وهيدرولوجية وبيولوجية وأثرية برزت كعناصر جذب ذات قيم تاريخية وعلمية ومادة تنقيفية تجتذب الملايين من السياح مما يؤدي إلى دعم الاقتصاد الوطني.
- 4- إعداد ونشر كتيب خاص بالكهوف المتواجدة في ليبيا باللغتين العربية والانجليزية لتسهيل معرفة أماكن تواجدها.

هوامش البحث:

- (1) فتحي عبدالعزيز أورا، الأصول العامة في الجيومورفولوجيا، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004، ص233.
- (2) T.C. Chamberlin and R.D. Salisbury "geology" vol. 1. Geological Processes and their results Newyork 1904. P.2.
- (3) فتحي عبدالعزيز أورا، الأصول العامة في الجيومورفولوجيا، مصدر سابق، ص239.
- (4) محمد صفي الدين، جيومورفولوجية قشرة الأرض، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1971، ص94.
- (5) فتحي عبدالعزيز أورا، الأصول العامة في الجيومورفولوجيا، مصدر سابق، ص207.
- (6) الطاهر ميلود أبو فيله، العلوم الجغرافية وحماية البيئة، منشورات جامعة الزاوية، الزاوية - ليبيا، 1993، ص86-128.
- (7) مركز البحوث الصناعية، طرابلس، الكتيب التفسيري لخريطة ليبيا الجيولوجية، لوحة طرابلس، 1975، ص10.
- (8) محمد صبري محسوب سليم ومحمود دياب راضي، العمليات الجيومورفولوجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص16.
- (9) عمر سليمان حمودة، الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، ترجمة: لكتاب أدوارد جي، تاربوك، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، 1989، ص282.
- (10) حكم عبد الجبار مصطفى صوالحة، الجيولوجيا العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2005، ص110.
- (11) Sweeting M.M. "Karst Land forms": Compton Printing LTD. UK. 1972.. P.25.

- (12) الطاهر ميلود أبوفيلة، العلوم الجغرافية وحماية البيئة ، مصدر سابق، ص130.
- (13) الطاهر ميلود أبوفيلة، نفس المصدر السابق، ص130.
- (14) الطاهر ميلود أبوفيلة، نفس المصدر السابق، ص65.
- (15) الطاهر ميلود أبوفيلة، نفس المصدر السابق، ص130.
- (16) Sweeting M.M "Karstforms.O. op cit. 1972, p.110.
- (17) Ibid: p10.
- (18) الشحومي ، خليفة أحمد ، مورفولوجية الكارست، في المنطقة الممتدة من درنة إلى سوسة بالجبل الأخضر، شمال - شرق ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة قاريونس، بنغازي، 2003م، ص89.
- (19) Levorsen, A.I. "Geology of Petroleum" W.H Freeman and Company. San Francisco, USA. 1967. P.40-41.
- (20) خليفة أحمد الشحومي، مورفولوجية الكارست في الجبل الأخضر، مصدر سابق، ص94.
- (21) الطاهر ميلود أبوفيلة، العلوم الجغرافية وحماية البيئة، مصدر سابق، ص130.
- (22) مركز البحوث الصناعية، لوحة طرابلس ، مصدر سابق، ص11.
- (23) مركز البحوث الصناعية، لوحة طرابلس ، المصدر نفسه، ص11.
- (24) الطاهر ميلود أبوفيلة، العلوم الجغرافية وحماية البيئة ، مصدر سابق، ص130.
- (25) كارليلغراي، كلية العلوم الجامعة الليبية، الحلقة العلمية الجيولوجية، جيولوجية ليبيا، طرابلس، 1971. ص8.
- (*) شركة عالمية لدراسة الكهوف.
- (26) Nikex – Oviber Company – Department of water and soil "Blr Al Ghanam Karst studyProjet" Tripoli – Libya, 1981, p.48.

- (27) فتحي عبدالعزيز أبوراضي، مصدر سابق، ص 239.
- (28) نفس المصدر السابق، ص 273.
- (29) ماكس ديروو، تعريب عبد الرحمن حميدة، مبادئ الجيومورفولوجيا، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1997م، ص 13.
- (30) فتحي عبدالعزيز أبوراضي، مصدر سابق ص 274.
- (31) Sweeting, 1972, p.45
- (32) أبو العينين، حسنين سيد، أصول الجيومورفولوجيا، دار النهضة العربية، بيروت، ط الخامسة، 1976 ص 502.
- (33) محمد صفي الدين، مصدر سابق، ص 253.
- (34) نفس المصدر السابق، ص 257.
- (35) Nikex- oviber company – op. cit, p26-27.
- (36) Nikex- oviber company – op. cit, p32.
- (37) Nikex- oviber company – op. cit, p32.
- (38) Nikex- oviber company – op. cit, p32.
- (39) Nikex- oviber company – op. cit, p35.
- (40) Nikex- oviber company – op. cit, p37.
- (41) Nikex- oviber company – op. cit, p36-39.

شرح الآجرومية لخالد الأزهرى (ت905هـ)

(باب الأفعال)

د. حسن الخرزة

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

باب الأفعال

المفاهيم الاصطلاحية⁽¹⁾:

(الأفعال) جمع: فعل، وهي (ثلاثة لا رابع لها):

(ماضي) وهو ما دل على حدث مقترن بزمان ماضي. (المراد بالماضي الأول: الاصطلاحى، وبالتالي: اللغوي، فلا دور) وقبل تاء التأنيث الساكنة، نحو: (ضربت).
(ومضارع) أي: مشابه⁽²⁾، وهو ما دل على حدث مقترن بأحد زمني الحال والاستقبال، وقبل (لم)، نحو: لم يقرب. و(أمر): وهو ما دل على طلب حدوث في زمن الاستقبال، وقبل ياء المخاطبة نحو: اضربي.

فهذه حقيقة الأفعال الثلاثة، نحو: ضرب، ويضرب، واضرب.

أحكام الأفعال:

(فالماضي): مفتوح الآخر أبداً⁽³⁾ على الأصل، نحو: (ضرب) (دحرج) (انطلق) (استخراج). ما لم يتصل به ضمير رفع متحرك؛ فإنه يسكن، نحو: (ضربت) وما لم يتصل به واو الجماعة؛ فإنه يضم، نحو (ضربوا) على خلاف الأصل.
(والأمر: مجزوم أبداً) عند الكسائي⁽⁴⁾ بلام الأمر مقدرة، فأصل (اضرب) عنده: (لتضرب). حذفت (اللام) تخفيفاً، ثم (التاء) خوف الالتباس بالمضارع في حال الوقف، ثم أتى بهمزة الوصل عند الاحتياج إليها.

وعند سيويوه⁽⁵⁾: الأمر مبنى على السكون إن كان صحيح الآخر، نحو (اضرب)، وعلى حذف الآخر إن كان معتلاً، نحو: (أخس)، (أغز)، (أرم)، وعلى حذف النون إن كان مسنداً لضمير تنبية، نحو: (اضربا) أو ضمير جمع، نحو: (اضربوا)، أو ضمير المؤنثة المخاطبة، نحو: (اضربي)، فإن الأصل: (اضربان).

الموضوعات اللغوية التي عالجها المؤلف، وكذا لبعده المضمر والتضميني لعدة اقتباسات قديمة متوازية عن الخليل وسيبويه والأوائل من أعلام البصرة، أو الكوفة الذين ذاعت مصنفاتهم، ونماذجهم وقياساتهم اللغوية.

يقول خالد الأزهرى⁽⁶⁾ في شرحه لمتن الأجرومية⁽⁷⁾: "والمضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع، المسمّاة بأحرف المضارعة يجمعها حروف قولك (أنيت) بمعنى أدركت، وحروف أنيت: الهمزة، بشرط أن تكون للمتكلم وحده نحو: أقوم، بخلاف همزة أكرم، والنون بشرط أن تكون للمتكلم، ومعه غيره، أو المعظم نفسه نحو: تقوم بخلاف نون نرجس، والياء المثناة تحت⁽⁸⁾ بشرط أن تكون للغائب، نحو: تقوم بخلاف ياء برنا، والتاء المثناة فوق بشرط أن تصلح للمخاطب نحو: تقوم بخلاف تاء تعلم، فأقوم ونقوم ويقوم وتقوم أفعال مضارعة لدلالة الزوائد في أولها على المعاني المذكورة، أكرم ونرجس⁽⁹⁾.

ويرناً⁽¹⁰⁾ وتعلم أفعال ماضية؛ لعدم دلالة الزوايد في أولها على المعاني المذكورة، وهو أن المضارع المجرد من النونين (نون التوكيد، ونون الإناث) ومن الناصب والجازم، مرفوع أبداً بالتجرّد من الناصب والجازم، ويستمر على رفعه حتى يدخل عليه ناصب فينصبه، أو جازم فيجزمه، فالنواصب للمضارع وفاقاً وخلافاً عشرة⁽¹¹⁾ على ما هنا، والمنفق عليها أربعة وهي: (إن) المفتوحة الهمزة الساكنة النون تنصب المضارع لفظاً والماضي محلاً، وهي موصول حرفي تنسبك مع منصوبها بمصدر؛ فلذلك تسمى مصدرية مثال ذلك: عجبت من أن تضرب، التقدير: عجبت من ضربك، فأن: حرف نصب واستقبال، وتضرب: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

الثاني: (لن) وهي حرف لنفي المستقبل، نحو: لن نبرح، فلن: حرف نفي ونصب، ونبرح: فعل مضارع منصوب بـ(لن) وعلامة نصبه الفتحة.

الثالث (إذا) وهو حرف جواب وجزاء ونصب (نحو إذا أكرمك جواباً لمن قال أريد أن أزورك بـ(إذا) حرف جواب وجزاء)⁽¹²⁾، وأكرمك: فعل مضارع منصوب بـ(إذا) وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على الميم، وشرط النصب بإذا أن تكون في صدر الجواب، والفعل بعدها مستقبل متصل بها، ولا يضر فصله منها بالقسم.

الرابع (كي) المصدرية وهي: الداخلة عليها لام التعليل لفظاً، نحو: ﴿لَكَيْلًا تَأْسُوا﴾⁽¹³⁾ وتقديراً نحو: كيلاً تأسوا في غير القرآن إذا قدّرت اللام قبلها استغناءً عنها بنيتها؛ فـ(اللام) حرف تعليل وجر و(كي) حرف مصدر ونصب و(لا) حرف نفي واستقبال و(تأسوا) فعل مضارع منصوب بـ(كي) وعلامة نصبه حذف النون، فإن لم يتقدّم - على-⁽¹⁴⁾.

(كي) لام التعليل لا لفظاً ولا تقديراً فـ(كي) تعليلية والمضارع بعدها منصوب بأن المضمرة وجوباً.

والنواصب المختلف فيها ستة، والأصح أنّ الناصب بعدها أن مضمرة، وهي: (لام كي التعليلية) وأضيفت إلى كي لأنها تخلفها في إفادة التعليل، نحو: جئتك لأزورك فإنه يصح أن تحذف اللام، وتعوّض عنها (كي) وتقول: جئت كي أزورك، فأزورك: منصوب بأن مضمرة بعد اللام جوازاً، وتسمّى هذه اللام لام التعليل.

والثانية: (لام) الجحود، أي لام النفي، وهي الواقعة في خبر كان المنفية بما، أو في خبر يكن المنفية بلم، نحو: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾⁽¹⁵⁾، و﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾⁽¹⁶⁾، فـ(يعذب ويغفر) منصوبان بأن مضمرة بعد لام الجحود وجوباً، وسميت هذه اللام لام جحود لكونها مسبوقه بالكون المنفي، والنفي يسمى جحوداً.

والثالثة: (حتّى) الجارة المفيدة للغاية، نحو: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾⁽¹⁷⁾ أو للتعليل، نحو: أسلم حتى تدخل الجنة فـ(يرجع وتدخل) منصوبان بأن مضمرة بعد (حتى) وجوباً. والرابعة والخامسة: الجواب بـ(الفاء المفيدة للسببية، والواو المفيدة للمعية) الواقعتين بعد الأمر، نحو: أقبل فأحسن إليك. أو أحسن إليك، وبعد النهي، نحو: لا تخاصم زيد فيغضب، أو ويغضب، أو بعد العرض، نحو: ألا تنزل عندنا فتصيب علماً وتصيب علماً، أو وتصيب خيراً بعد التحضيض⁽¹⁸⁾، نحو: هلا أكرمت زيداً فيشكر، أو يشكر، وبعد التمني، نحو: ليت لي مالاً فأتصدق منه، أو أتصدق منه، وبعد الترجي، نحو: لعلي أراجع الشيخ فيفهمني، أو يفهمني، وبعد الدعاء، نحو: رب وفقني فأعمل صالحاً، أو أعمل صالحاً، وبعد الاستفهام، نحو: هل زيد في الدار فأمضي إليه؟ أو وأمضي إليه؟ أو بعد النفي المحض، نحو: لا يقضى على زيد فيموت، أو يموت، فالجواب بعد الفاء والواو في هذه

الأمثلة كلها منصوب بأن المضمرة وجوباً، ولو قال: والفاء والواو في الجواب لكان أوضح لأنَّ الجواب منصوب لا ناصب.

والسادس: (أو) التي بمعنى (ألا) نحو: لاقتلنَّ الكافر أو يسلم. أو إلى نحو: لألزمك أو تقضييني حقي. فيسلم، وتقضييني) منصوبان بأن مضمرة بعد أو وجوباً، والحاصل أنَّ (أن) تضمير بعد ثلاثة من حروف الجر وهي (اللام، وكي التعليلية، وحتى) وبعد ثلاثة من حروف العطف وهي: (الفاء، والواو، وأو).

و(الجوازم ثمانية عشر) جازماً وهي قسمان: ما يجزم فعلاً واحداً، وما يجزم فعلين. فالذي يجزم فعلاً واحداً ستة، هي:

(لم) نحو: لم يقم. فـ(لم) حرف يجزم المضارع، وينفي معناه ويقبله إلى الماضي، و(يُقم) مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه السكون.

الثاني (لما) المرادفة لـ(لم) فيما تقدّم نحو: لما تضرب فـ(لما) حرف يجزم المضارع، وينفي معناه، ويقبله إلى الماضي، وتضرب مجزوم بـ(لما) وعلامة جزمه السكون.

الثالث: (ألم) نحو (ألم نشرح) فـ(ألم) حرف تقرير وجزم، ونشرح مجزوم بـ(ألم) وعلامة جزمه السكون.

الرابع: (ألما) وهي أختها نحو: ألما أحسن إليك فـ(ألما): حرف تقرير وجزم، وأحسن فعل مضارع مجزوم بـ(ألما) وعلامة جزمه السكون).

الخامس: (لام الأمر) نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ﴾⁽¹⁹⁾ فـ(ينفق) مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه السكون و(لام الدعاء) وهي لام الأمر في الحقيقة، لكن سميت لام الدعاء تأديباً، نحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾⁽²⁰⁾ فيقضى مجزوم بلام الدعاء، وعلامة جزمه حذف الياء.

السادس: (لا المستعملة في النهي) نحو: لا تخف فـ(لا) حرف نهى وجزم، وتخف مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه السكون، و(لا) المستعملة في الدعاء، وهي لا النهاية في الحقيقة، ولكن سميت دعائياً تأديباً، نحو: ﴿لَا تَوَاخِذْنَا﴾⁽²¹⁾ فـ(لا) حرف دعاء وجزم، وتواخذنا: مجزوم بـ(لا) الدعائية وعلامة جزمه السكون.

والذي يجزم فعلين اثنا عشر جازماً، هي:

(إن) الشرطية بكسر الهمزة وسكون النون، وهي حرف يجزم المضارع لفظاً، أو الماضي محلاً، ويقلب معنى الماضي إلى الاستقبال عكس (لم) نحو: إن قام زيد قمت. فـ(إن) حرف جزم، وقام: فعل الشرط في محل جزم بـ(أن) وزيد: فاعل قام، وقمت جواب الشرط.

الثاني: (ما) الشرطية، نحو: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾⁽²²⁾ فـ(ما): اسم شرط جازم، وتفعلوا: فعل الشرط مجوم بما، وعلامة جزمه حذف النون، ويعلمه: جواب الشرط و هو مجزوم أيضاً، وعلامة جزمه السكون.

الثالث: (من) الشرطية نحو: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾⁽²³⁾ فـ(من): اسم شرط جازم، ويعمل: فعل الشرط مجزوم بمن، ويُجْزَ: جواب الشرط، و هو مجزوم أيضاً، وعلامة جزمه حذف الألف من آخره.

الرابع: (مهماً) نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁴⁾ فـ(مهماً): اسم شرط جازم. وتأتتا: فعل الشرط، و هو مجزوم بمهما وعلامة جزمه حذف الياء. و(نا): مفعول به. و(به): جار ومجرور متعلق بتأتتا، ومن آية: بيان لمهما في موضع نصب على الحال من الهاء في (به). و لتسحر: فعل مضارع منصوب بأن مضمراً جوازاً بعد لام كي، و الفاعل مستتر فيه وجوباً، ونا مفعول به، و بها جار ومجرور متعلق بتسحرنا. (فما): الفاء رابطة للجواب وما: نافية ونحن: اسمها إن قدرت مجازية. و لك: جار ومجرور متعلق بمؤمنين. وبمؤمنين: في موضع نصب خبر ما. وجملة (فما نحن لك بمؤمنين) في موضع جزم جواب الشرط.

الخامس: (إذما) كما ورد في قول الشاعر:

وأنتك إذما تأت ما أنت أمر به... تلف من إياه تامر آتيا⁽²⁵⁾

فإذما: حرف شرط على الأصح. وتأت: فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف الياء. وتلف: جواب الشرط وعلامة جزمه حذف الياء أيضاً.

السادس: (أي) نحو قوله تعالى: ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁽²⁶⁾ فـ(أيًا) اسم شرط جازم منصوب بـ(تدعوا)، و(ما): صلة، وتدعوا: فعل الشرط مجزوم بـ(أيًا)

وعلامة جزمه حذف النون. و(فله): رابطة للجواب. وله جار ومجرور خبر مقدّم. والأسماء: مبتدأ مؤخر. والحسنى: نعت للأسماء. وجملة (فله الأسماء الحسنى): في موضع جزم جواب الشرط.

السابع: (متى) نحو قوله: متى أضع العمامة تعرفوني⁽²⁷⁾

فـ(متى) اسم شرط جازم. وأضع: فعل الشرط وهو مجزوم بـ(متى) وعلامة جزمه السكون، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، والعمامة: مفعول به. وتعرفوني: جواب الشرط وهو مجزوم وعلامة جزمه حذف نون الرفع منه، والأصل تعرفونني بنونين الأولى نون الرفع والثانية نون الوقاية.

والثامن: (أيان) بفتح الهمزة نحو قوله: فأيان ما تعدل به الريح تنزل⁽²⁸⁾

فـ(أيان): اسم شرط جازم وما: زائدة، وتعدل: فعل الشرط وهو مجزوم وعلامة جزمه السكون، وتنزل: جواب الشرط وعلامة جزمه سكون آخر وكسرتة عارض.

التاسع: (أين) نحو: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ»⁽²⁹⁾ فأين اسم شرط جازم، وما صلة وتكونوا فعل الشرط (وهو مجزوم)⁽³⁰⁾، وعلامة جزمه حذف النون، ويدرككم جواب الشرط وهو مجزوم وعلامة جزمه سكون الكاف الأولى، والكاف الثانية في محل نصب على المفعولية، والميم علامة الجمع والموت مرفوع على الفاعلية.

العاشر: (أني) بفتح الهمزة والنون المشددة:

فأصبحت أني تأتها تستجر بها ... تجد حطبا جزلا وناراً تأججا⁽³¹⁾

فـ(أني) اسم شرط جازم. وتأتها: فعل الشرط وهو مجزوم وعلامة جزمه حذف الياء. وتستجر: بدل منه. وتجد: جواب الشرط وهو مجزوم وعلامة جزمه السكون.

الحادي عشر: (حيثما) نحو:

حيثما تستقم يقدر لك ... الله نجاحاً غابر الأزمان⁽³²⁾

فحيثما: اسم شرط جازم. وتستقم: فعل الشرط وعلامة جزمه السكون. ويقدر: جواب الشرط وعلامة جزمه السكون. والثاني عشر: (كيفما) نحو: كيفما تجلس أجلس فكيفما: اسم شرط جازم. وتجلس: فعل الشرط وعلامة جزمه السكون. واجلس: جواب الشرط

وعلامة جزمه السكون أيضاً. وإذا في الشعر زيادة عن الثمانية عشر ومثالها قول الشاعر: وإذا تصبك خصاصة فتحمل⁽³³⁾

فإذا: اسم شرط جازم. وتصبك: فعل الشرط وعلامة جزمه السكون. وخصاصة: فاعل. وتحمل: فعل أمر وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره أنت، وهو فاعله جملة فعلية.

في موضع جزم على أنها جواب الشرط، وقرن بالفاء المفيدة للربط لأنه فعل طلب وإنما عملت إذا و إن كانت شرطاً غير جازم حملاً على متى، كما أهملت متى حملاً عليها كقول عائشة -رضى الله عنها-: "أنَّ أبا بكر رجل أسيف، وأنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس" رواه ابن الجوزي في جامع المسانيد كما قال ابن مالك⁽³⁴⁾.

هوامش البحث ومراجعته:

أولاً: القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع.

ثانياً المصادر والمراجع:

- (1) قوله: الاصطلاحية: أي الأفعال اللغوية التي هي جمع فعل، وهو المصدر: أي الحدث الذي يحدثه الفاعل من قيام وقعود، أو غير ذلك لأنها لا تنحصر في ثلاثة، وأخذ الشارح هذا القيد من التقسيم إلى ثلاث لأن ذلك ليس للأفعال الاصطلاحية. ولأن كل قوم يتكلمون على اصطلاحهم.
- (2) قال ابن الحاج في حاشيته (ص52): "أشار به إلى وجه تسميته: (مضارعاً) بأنه شبيه بالاسم في اللفظ والمعنى. أمّا اللفظ فالمضارع صار على اسم الفاعل في مطلق الحركات والسكنات وعدد الحروف. أمّا المعنى. فالمضارع يحتمل الحال والاستقبال، كما أن اسم الفاعل محتمل لذلك".
- (3) قوله فالماضي مفتوح الآخر: أي مبني على فتح آخره، وقوله أبداً أي في جميع أحواله، أمّا البناء فلان الأصل في الأفعال، فلا يسئل عن علته، وإنما يسئل عن كونه على حركة، وعن كونها فتحة، وجواب الأول إنه أي الماضي أشبه الاسم والمضارع في وقوعه.
- (4) الكسائي: هو علي بن حمزة، أبو الحسن، المشهور بالكسائي، إمام العربية وأحد القراء السبعة (ت189)، ينظر: (الإعلام)، 283/4.
- (5) سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قمير، أبو بشر المعروف بسيبويه (ت180)، من تصانيفه: الكتاب في النحو (قرآن النحو)، ينظر: الأعلام للزركلي ج81/5.
- (6) ابن أجروم: متن الأجرومية في النحو والصرف الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، ت2010م، ص12-13.
- (7) هو: أبو الوليد زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن أحمد الجرجاوي الأزهرى يعرف بالوقاد، ولد في مدينة جرجا بالصعيد عام 838هـ وتوفى سنة 905هـ.

من مصنفاته: الألفاظ النحوية: أعراب الأجرومية، شرح الأجرومية، إعراب الكافية، التصريح بمضمون التوضيح، الزبدة في شرح البردة، مختصر الزبدة في شرح البردة، ينظر: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج4، ص96. وخير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، 2002م، ج2، ص279.

(8) المثناة تحت: صفة لشكل حرف الباء، وضع العلماء مثل هذه الصفات حتى لا يحدث اللبس في قراءة الكلمات، لأن الحروف قديماً كانت مهملة غير منقوطة.
(9) النرجس: يقال نرجس، ونرجس: جنس نباتات بصلية حولية من فصيلة النرجسيات، أنواعه كثيرة، أوراقه مستطيلة، يزرع لجمال زهره وطيب رائحته، تشبّه به الأعين. مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، 2008م، ج3، ص2191.

(10) والبرن أو البرن أو البرنى اسم للحناء قال ابن جنى وقالوا برناً لحيته صبغها بالبرناً، قال: فهذا يفعل في الماضي، قال: وما أغربه وأطرفه، ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ت1414، ج1، ص89.

(11) اختلف البصريون والكوفيون في عدد نواصب المضارع، فنواصب المضارع عند الكوفيين هي: لام الجحود، حتى، أو، فاء السببية، واو المعية. وعند البصريين علامة نصب المضارع هي (أن) الظاهرة أو المضمرة وجوباً، أو المضمرة جوازاً، أولاً مواضع يجب فيها إظهار أن وهو موضع واحد: يجب إظهار (أن) بعد اللام شريطة أن يسبق الفعل المضارع (لا) النافية. ثانياً: مواضع يجب فيها إضمار أن وجوباً وهي: بعد لام الجحود، بعد حتى، بعد أن، بعد فاء السببية، بعد واو المعية. ثالثاً: مواضع إضمار أن جوازاً، بعد لم التعليل من غير أن يسبق الفعل المضارع لا النافية، بعد واو العطف المعطوف على المصدر، بعد فاء العاطفة، بعد ثم العاطفة، بعد أو العاطفة. ينظر خالد عبد الله الأزهرى: شرح التصريح على التوضيح. مكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ج4، ص119-175.

(12) إحالة لكلام موجود على يمين الحاشية.

- (13) سورة الحديد، الآية 23.
- (14) إحالة لكلام موجود على يسار الحاشية.
- (15) سورة الأنفال، الآية 33.
- (16) سورة النساء: الآية 137.
- (17) سورة طه، الآية 91.
- (18) التحضيض: وهو الحث على الشيء.
- (19) سورة الطلاق: الآية 7.
- (20) سورة الزخرف، الآية 77.
- (21) سورة البقرة، الآية 286.
- (22) سورة البقرة، الآية 197.
- (23) سورة النساء، الآية 123.
- (24) سورة الأعراف، 132.
- (25) البيت من البحر الطويل، وهو من الشواهد التي لم تنسب إلى قائل معين. ومعناه: إذا كنت تفعل ما تأمر الناس بفعله، فإنهم يتأثرون بأوامرك، فيفعلون ما تأمرهم به. والشاهد فيه قوله: إذما تأت حيث جزم بإذما فعلين أولهما (تأت)، وثانيهما (تلف) جوابه وجزاؤه. ينظر: شرح ابن عقيل ابن عقيل الهمداني 268/2.
- (26) سورة الإسراء، الآية 110.
- (27) أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني
- البيت: لسحيم بن وثيل، وهو: شاعر مخضرم من تميم. ومناسبة القصيدة: قالها رداً على شاعرين صغيرين، هما الأبيرد و الأصوص معتزاً بأبيه وعشيرته مباحياً بشجاعته وطيب أرومته، كان يومها قد تجاوز الأربعين. ينظر: الاشتقاق ص 225. و الأصمعيات ص 17، الشعر والشعراء 647/2. وتتوارد الأبيات بأن قائله الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته المشهورة يوم تولى إمارة العراق.

الشاهد في البيت قول الشاعر: متى أضع العمامة تعرفوني. متى اسم شرط مبني جزم فعلين مضارعين الفعل (أضع) وجواب الشرط (تعرفوني). ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج3، ص159.

(28) يقول الشاعر أمية: إذا النعجة العجفاء كانت بفقرة ... فأَيَّان ما تعدل الريح بها تنزل الجعفاء: المهزولة. الفقرة: الأرض التي لا نبات فيها. تعدل: تميل. والبيت لأمية بن أبي عائد. في شرح أشعار الهذليين 2/562. وشرح عمدة الحافظ، ص363. والشاهد النحوي فيه قوله: (أَيَّان تعدل تنزل) حيث جزم بأَيَّان فعلين مضارعين، يسمَّى الأول فعل الشرط، و الثاني جوابه.

(29) سورة النساء: الآية 78.

(30) إحالة لكلام موجود على يسار الحاشية.

(31) البيت للبيد بن ربيعة بن مالك العامري، شاعر مخضرم توفي سنة 661م/41هـ. جاء الشاهد النحوي في قول الشاعر: "أَنَّى تَأْتَهَا وتجد" جزم اسم الشرط (أَنَّى) فعلين مضارعين فعل الشرط (تَأْتَهَا) وجوابه (تجد).

(32) لم ينسب هذا البيت لقائل معين. وهو من البحر الخفيف.

الشاهد النحوي في قوله: حيثما تستقم يقدر، حيث جزم اسم الشرط (حيثما) فعلين مضارعين فعل الشرط (تستقم) وجوابه (يقدر).

(33) يقول الشاعر: استغن ما أغناك ربك بالغنى... وإذا تصبك خصاصة فتجمل البيت لعبد قيس بن خفاف البرجمي، قال أبو الفرج في أغانيه: "أمَّا عبد قيس بن خفاف البرجمي فإنِّي لم أجد له خيراً أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة، فذكر قصة أنه حمل دماً عن قومه فأسلموه فيها، وأنه أتى حاتماً الطائي فمدحه. أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، ج7، ص145. وهي أيضاً في الأمالي ج3، ص21. وأشار إليها المرزباني في الشعراء، ص352."

الشاهد النحوي في قوله: (إذا تصبك فتجمل) إذا اسم يدل على ظرف الزمان، والأصل في كلام العرب أنها لا تجزم، أي لا يأتي بعدها فعل شرط وجوابه مجزومين، لكن وجدا مجزومين في الشعر خاصة للضرورة.

(34) حدثنا شبابة، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه: "مروا أبا بكر يصلى بالناس" قالت عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف، فمتى يقوم مقامك تدركه الرقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنك صواحب يوسف، مروا ابا بكر يصل بالناس" فصلى أبو بكر، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه قاعداً.

أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، ت2001م، ج42، ص152.

اتجاهات الأساتذة الباحثين نحو نشر بحوثهم العلمية على شبكة الانترنت كلية الآداب جامعة صبراتة أنموذجاً

د. عبد العزيز عبد الحميد عامر

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

مستخلص:

يعتبر النشر العلمي على شبكة الانترنت مقياساً للتقدم بما أظهرته التكنولوجيا الحديثة، المتمثلة في الانترنت الذي جعل المعلومات متاحة، وخاصة للأساتذة الباحثين في الجامعات، ومن هنا انبثقت فكرة دراسة اتجاهات الأساتذة الباحثين في نشر بحوثهم العلمية على شبكة الانترنت بكلية الآداب صبراتة جامعة صبراتة، حيث سعت الدراسة إلى التعريف بالنشر الإلكتروني والإنترنت من حيث الخصائص والخدمات، استناداً على الإنتاج الفكري، وهدفت الدراسة إلى التعرف على أهمية الإنتاج العلمي المتاح على شبكة الانترنت، والتعرف على الأسباب والمبررات التي تدعو الأساتذة الباحثين في نشر أبحاثهم عن طريق الانترنت.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وصولاً إلى عدد من النتائج التي كشفتها الدراسة، والوقوف على المشاكل والصعوبات التي يعاني منها أفراد العينة موضوع الدراسة، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أهمها أن الأساتذة الباحثين يعتمدون على المجالات الورقية دون الإلكترونية، كما اقترحت الدراسة في نهايتها توصيات من شأنها تذليل الصعوبات لتحقيق أعلى درجة من الاستفادة في التعامل مع المجالات الإلكترونية المتاحة على شبكة الانترنت.

تمهيد: شهد القرن الواحد والعشرون قفزات تكنولوجية هائلة في مجال وسائل الاتصال والمعلومات، ولا شك أن أحدثها وأهمها ظهور شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وانتشارها وما صاحبها من قفزات وخاصة النشر الإلكتروني، واستخدام هذه الشبكة في البحث العلمي، ونقل المعلومات بحيث أصبحت المعلومات والإطلاع على كل ما هو جديد

متاح في أي وقت، فضلاً على أن الانترنت أصبحت بمثابة مكتبة لكل باحث في أي تخصص حيث بدأت الانترنت منافساً قوياً للوسائل التقليدية.⁽¹⁾

لقد ازداد حجم المعلومات المنتجة سنوياً وبأشكال، ولغات متعددة، وفي كل مجالات المعرفة البشرية من هنا أصبحت الحاجة ملحة إلى استخدام نظم، وأساليب متطورة للتعامل مع المعلومات من عدة جوانب سواء الاقتناء، أو التحليل، أو التخزين والاسترجاع بالسرعة التي تتطلبها القضايا والمواقف البحثية للأساتذة الباحثين في الجامعات.

1/1. مشكلة الدراسة: تنحصر مشكلة الدراسة في إلقاء الضوء على إحدى الصيغ الجديدة لنشر الأبحاث العلمية، وهي النشر عن طريق شبكة الانترنت التي صاحبت التقدم الهائل في وسائل الاتصال الحديثة، وكذلك محاولة التعرف على التحديات والصعوبات التي تواجه الأساتذة الباحثين عند نشر بحوثهم العلمية، وتقديم بعض المقترحات اللازمة للتغلب عليها.

2/1. أهمية الدراسة: تستمد الدراسة أهميتها من:

1. أهمية إدراك الأستاذ الجامعي الليبي لقيمة المعلومات وكيفية الحصول عليها بشكل أخلاقي وقانوني عن طريق الانترنت.

2. أهمية نشر البحوث العلمية باعتبارها بؤرة للاهتمام درساً، وتنقيباً، وتحليلاً، وتفسيراً من أجل أن نرى كل جوانبها التي من أبرزها استخدامها في مجال التعليم الأكاديمي ومعرفة ماله وما عليه.

3. أهمية جامعة صبراته التي تُعد منارة علمية ذات رسالة أساسية تهدف إلى دعم البحث العلمي والرفعي بمستواه.

3/1. أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف على مفهوم النشر الإلكتروني وشبكة الانترنت من حيث الخصائص، والخدمات.

2. التعرف على أهمية الإنتاج العلمي المتاح على شبكة الانترنت.

3. التعرف على الأسباب والمبررات التي تدعو الأساتذة موضوع الدراسة في نشر أبحاثهم عن طريق الانترنت.

4. التعرف على فوائد النشر الإلكتروني بالنسبة للأساتذة الباحثين.

5. التعرف على الصعوبات التي تواجه الأساتذة في نشر أبحاثهم عن طريق الإنترنت.

4/1. تساؤلات الدراسة:

1. ما المقصود بالنشر الإلكتروني وشبكة الإنترنت وما خصائص وخدمات كل منهما؟

2. ما أهمية الإنتاج العلمي المتاح على شبكة الإنترنت؟

3. ما الأسباب والمبررات التي تدعو الأساتذة لاستخدام الإنترنت في نشر أبحاثهم العلمية على الإنترنت؟

4. ما الفوائد المكتسبة من خلال نشر الأبحاث العلمية عن طريق الإنترنت؟

5. ما الصعوبات التي تواجه الأساتذة الباحثين في نشر الأبحاث عن طريق الإنترنت؟

5/1. حدود الدراسة.

الحدود الموضوعية: تمثلت الحدود الموضوعية لهذه الدراسة في موضوع اتجاهات الأساتذة الباحثين نحو نشر بحوثهم على شبكة الإنترنت.

الحدود المكانية: طبقت الدراسة على عينة من الأساتذة بكلية الآداب صبراتة بجامعة صبراتة.

الحدود الزمنية: طبقت الدراسة في العام الجامعي 2017/2018.

6/1. مفاهيم الدراسة.

1. **البحث العلمي:** هو التقصي والدراسة المنسقة والشاملة والمكثفة، عن طريق طرح الفرضيات والتجارب لاكتشاف معرفة حقائق ونظريات وقوانين جديدة⁽²⁾.

2. **الجامعة:** هي مؤسسة تعليمية تحتوي على كليات لدراسات الآداب، والعلوم ومدارس أو كليات للدراسات المهنية، وتقدم الجامعة الدراسات لطلاب المرحلة الجامعية الأولى كما تقوم بفتح وتنظيم الدراسات العليا والبحوث فيس الكليات، والمدارس المذكورة أو عن طريق كلية الدراسات العليا والبحوث⁽³⁾.

2. **الأساتذة الباحثين:** هم الذين يؤدون وظيفة البحث المستمر للوصول إلى نتائج حديثة والباحث هو من يمسك بأسباب المعرفة الدقيقة ليتمكن من السيطرة على البيئة المحيطة به وبناء تقدّمه العلمي⁽⁴⁾.

3. **النشر العلمي:** هو إتاحة وتوزيع الإنتاج الفكري والعلمي المتمثل في الدراسات والمجلات والكتب، والمقالات، والتقارير الأكاديمية، والبحثية والإرشيف الخاص بها في شكل إلكتروني سواء كان ذلك مباشرة أو عبر وسيط⁽⁵⁾.

4. **النشر الإلكتروني:** هو عبارة عن نشر المعلومات التقليدية الورقية عبر تقنيات جديدة تستخدم فيها الحاسبات وبرامج النشر الإلكتروني في طباعة المعلومات، وتوزيعها، ونشرها⁽⁶⁾.

5. **شبكة الانترنت:** هي مجموعة من أجهزة الكمبيوتر المرتبطة مع بعضها البعض، على هيئة شبكة متشابكة تمتد في جميع الاتجاهات من خلال ارتباطها معاً بخطوط الهاتف المحلية، والدولية بحيث يمكن لأي جهاز بشبكة أن يصل إلى المعلومات المخزنة في غيرها من أجهزة الشبكة⁽⁷⁾.

7/1. **منهج الدراسة:** لتحقيق الأهداف المرسومة سلفاً لهذه الدراسة والإجابة عن الأسئلة التي سبقت الإشارة إليها، فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ويعد الوصف من بين المناهج المعتمدة في دراسة الظواهر المعاصرة، ويسهم في تقديم صورة واضحة عن الوضع الراهن.

8/1. **مجتمع الدراسة:** تم تطبيق الدراسة على الأساتذة الباحثين بكلية الآداب صبراتة من الجنسين (الذكور والإناث) للعام 2017 بجميع أقسام الكلية المتمثلة في (عشرة) أقسام علمية، وقد تم اختيار الأساتذة الباحثين لتمثيل مجتمع الدراسة، وذلك بسبب كونهم باحثين فأصبح من الضروري قياس مدى إلمامهم بنشر أبحاثهم العلمية على شبكة الانترنت للمشاركة بالنهوض، وتطوير المعرفة.

9/1. **أدوات جمع البيانات.**

1. **الاستبيان:** قام الباحث بتوزيع الاستبيان الذي غطى جميع الجوانب، وقد كانت أسئلة الاستبيان (مزيج ما بين المفتوحة والمغلقة)، ومن خلاله تمكن من التعرف على الوضع الراهن لدى الباحثين في نشر أبحاثهم على شبكة الانترنت باعتبار الاستبيان هو الأداة المناسبة لجمع المعلومات إضافة إلى صعوبة الحصول على المعلومات عن طريق الأدوات الأخرى مثل المقابلة الشخصية، والزيارات الميدانية، وقد تم توزيع (80)

استمارة جمع بيانات (استبيان) غطت جميع جوانب الموضوع، وكان الفاقد منها (22) استمارة.

10/1. الدراسات السابقة.

أولاً. الدراسات العربية:

1. مسفرة بنت دخيل الله الخثمي. وعي أعضاء هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأهمية النشر الإلكتروني كتوجه جديد للنشر العلمي وتبادل المعلومات. - المجلة العربية للدراسات المعلوماتية، ع5 (يناير 2015).

هدفت الدراسة إلى التعرف على وعي أعضاء هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأهمية النشر الإلكتروني باعتباره توجهاً جديداً للنشر العلمي، وقد استخدمت الدراسة المنهج المسحي والاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات والمعلومات، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أهمها أن (87%) من أعضاء هيئة التدريس لديهم فكرة عن النشر الإلكتروني؛ وأن معظمهم يرون النشر الإلكتروني له أهمية كبيرة في إيصال المعلومات إليهم.

2. نزاري زبيدة. اتجاهات الأساتذة الباحثين نحو نشر بحوثهم على شبكة الانترنت: دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. - إشراف فردي لخضر: جامعة قسنطينة 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم المكتبات والتوثيق، 2013. - (رسالة ماجستير).

هدفت الدراسة إلى معالجة موضوع اتجاهات الأساتذة الباحثين نحو نشر بحوثهم على الانترنت كما هدفت إلى تسليط الضوء على واقعا لنشر وسبل تطويره، واعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي، كما استعان الباحث باستمرار جمع البيانات التي تمثل مجتمع الدراسة من الأساتذة الباحثين في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث كانت العينة عشوائية، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج كان أهمها:

1. هناك صعوبات تقنية تواجه الأساتذة الباحثين عند نشر بحوثهم العلمية.
2. نفي الأساتذة الباحثين بوجود دعم مقدم من طرف الجامعة للنشر عن طريق شبكة الانترنت.

وقد أوصت الدراسة بالآتي:

1. ضرورة إتاحة مجلات بحث محكمة على الشبكة.
2. حماية حقوق الملكية الفكرية والأدبية للمؤلف.

ثانياً. الدراسات الأجنبية:

1. Demery. Electronic publishing & Academic Dialogue between Academicians via online journals New Millennium a Case of TOJDE. (2013).

تناولت الدراسة موضوع النشر الإلكتروني والجدل بين الأكاديميين حول هذه الظاهرة، وذلك من خلال تناول مفهوم النشر الإلكتروني، وهدفت إلى التحليل والتعرف على مزاياه وعيوبه مع دراسة حالة المجلة التركية الإلكترونية للتعليم عن بعد، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: إن النشر الإلكتروني يتميز بانخفاض التكاليف وسهولة وسرعة الوصول، والإتاحة في أي وقت وأي مكان إضافة إلى أن هذا النوع من النشر يعاني من صعوبات تقنية ومادية التي تمنع الوصول للمواد المنشورة.

2. تومي (Tommy) و بریتون (Burton) عام (2006) حول المجلات الإلكترونية من حيث الاستخدام واتجاهات الأكاديميين في جامعة ستراثكلاید (Strathclyde).

تناولت الدراسة أسباب النشر الإلكتروني وعدم استخدامه من قبل الأكاديميين، وقد تم استخدام المنهج الوصفي، والاعتماد على الاستبيان لجمع المعلومات، وكانت النتائج أن استخدام المجلات منخفض من قبل الأكاديميين كما أوضحت الدراسة أن الأكاديميين في العلوم الهندسية يستخدمون المجلات الإلكترونية أكثر من غيرهم في التخصصات الأخرى.

أوجه التشابه بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية: يتضح من خلال عرض الدراسات للمتغيرات والأبعاد التي انطلقت منها الدراسات السابقة في معالجتها لموضوع نشر الأبحاث العلمية، وما توصلت إليه الدراسة الحالية فإنه يمكن توضيح أهم النتائج المتفق عليها:

1. وجود صعوبات تقنية تواجه الباحثين عند نشر بحوثهم على شبكة الانترنت.

2. إضافة إلى عدم قيام الإدارة المشرفة على تشجيع الباحثين للدخول والاشتراك في المنافذ المعتمدة كالمجلات العلمية الإلكترونية. ومع ذلك فقد استفاد الباحث من الاطلاع على هذه الدراسات في مراحل الدراسة كافة من حيث الإطارين النظري والإجرائي. **الإطار النظري للدراسة:**

1/2. مفهوم النشر الإلكتروني: ورد في قاموس Webster الإلكتروني المتاح على شبكة الانترنت أنّ النشر الإلكتروني هو ذلك النوع من النشر الذي يتم فيه توزيع المعلومات عبر شبكات الحاسب الآلي أو تحميل المعلومات على أحد الأشكال أو الوسائط التي يتم تشغيلها من خلال الحاسب الآلي. (8)

2/2. خصائص النشر الإلكتروني ومميزاته:

تتلخص خصائص النشر الإلكتروني فيما يلي: (9)

1. قلة كلفة المنشور إلكترونيًا عن المطبوع الذي يحتاج إلى نفقات الطباعة والشحن والتوزيع.

2. اختصار الوقت: فالمستخدم لا يحتاج إلى أن يبحث عن كتاب معين بل يتم ذلك عن طريق زيارة المواقع الإلكترونية.

3. سهولة البحث عن معلومات محددة وهي أبرز معطيات التقنية الحديثة.

4. سهولة تعديل المادة المنشورة إلكترونيًا وتفتيحها فباستخدام النشر الإلكتروني لا يحتاج الناشر إلى إعادة طباعة الكتب بالتعديلات الجديدة وكل ما يحتاجه فقد هو تعديل المادة المخزنة.

3/2. أهمية النشر الإلكتروني (10): تظهر أهمية النشر الإلكتروني من ضرورة مواكبة الانفجار المعرفي والحاجة الملحة لمتابعة ذلك عن طريق ما يكتب على الورق، وهذا الجانب تضاعف بشكل كبير جداً، والذي يلزمه أماكن واسعة وتكلفة كبيرة، عليه لا بد من توفر أنظمة حاسبات وربطها مع بعضها البعض بشبكات محلية أو عالمية خاصة بعد انخفاض تكلفتها، وهناك أسباب تجعل التحول إلى النشر الإلكتروني نتيجة حتمية مقارنة بالنشر الورقي مثل:

1. الارتفاع الهائل في كلفة الأيدي العاملة.
 2. ارتفاع أسعار الورق.
 3. تطور الحاسبات والوسائل الإلكترونية الأخرى التي يمكن اعتمادها كبديل للوسائل التقليدية.
 4. التضخم الهائل في حجم المعلومات المطلوبة.
- 4/2. الجوانب السلبية للنشر الإلكتروني⁽¹¹⁾: يمكن تلخيصها في النقاط التالية:**
1. يتطلب النشر الإلكتروني توافر مداخل إلى تقنيات تعتبر متقدمة نسبياً في العديد من المجتمعات وتكون كلفتها عالية بشكل عام.
 2. مشكلة الاتصالات تبقى هي الأكبر بالنسبة للنشر الإلكتروني في البلدان الغير متقدمة عند الدخول إلى شبكة الانترنت لا بد من توفر شبكة اتصال محلية سواء عن طريق الهاتف ام الحاسوب قد تكون هذه الشبكة لا توفر عدداً من مداخل الانترنت أو لا تتيح الاتصال بالإنترنت لذلك يبقى الإنسان العادي غير قادر على الوصول إلى معلومات النشر الإلكتروني.
 3. تستهلك تقنية المعلومات جهداً كبيراً من المستخدمين مقارنة بما يحتاجه استخدام الكتاب الورقي، أما في حالة النشر الإلكتروني فإن الجهد المطلوب للدخول إلى الشبكة والوصول إلى المطبوع وقراءته ونسخه أحياناً هو أكبر بكثير مما يتطلب في النشر التقليدي.
- 5/2. مفهوم شبكة الانترنت:** هي عبارة عن مجموعة الشبكات المعلوماتية المحلية والعالمية المربوطة ببعضها البعض، حيث تمثل الانترنت ملايين المستخدمين مرتبطين ببعضهم من خلال معلومات يتم تناقلها باستخدام (نصوص، رسوم، فيديو، صوت).⁽¹²⁾
- 6/2. خدمات الانترنت:** لقد أسهم الانترنت في إثارة المشاركة والحماسة لدى المتعلمين بما تتضمنه من رسوم، وصور، وأشكال، وأفلام، وبرامج تعليمية متنوعة، وغير ذلك فشبكة الانترنت كأحدى مستجدات تكنولوجيا التعليم يسرت الاطلاع على الكتب، والمجلات، والدوريات، والبحوث، والمقالات والمعلومات الإلكترونية المتنوعة من خلال محركات البحث المتوافرة فيها كما سهلت عملية نقل المعلومات بالبريد الإلكتروني واستقبالها من خلال برامج نقل الملفات وتساعد أيضاً على تنمية مهارة التفكير العلمي،

وتطوير التفكير الإبداعي، وتحقيق أهداف التعلم كما أنها تساعد على إيجاد استراتيجيات لحل بعض المشكلات التعليمية. (13)

الدراسة العملية:

1. التوزيع النوعي والعددي للأساتذة الباحثين موضوع الدراسة: سوف يتم تناول السمات الشخصية للأساتذة الباحثين بكلية الآداب صبراتة بجامعة صبراتة من خلال ما يلي:

تحليل بيانات الجنس لعينة الدراسة: عند سؤالنا عن العدد والجنس، كانت النتيجة كما هي موضحة في كل من الجدول والشكل:

الجدول رقم (1) التوزيع النوعي والعددي للأساتذة الباحثين موضوع الدراسة

الأساتذة الباحثين موضوع الدراسة					
مجموع النسب	مجموع العدد	الإناث		الذكور	
		النسبة	العدد	النسبة	العدد
%100	58	%48	28	%52	30



الشكل رقم (1) التوزيع النوعي للأساتذة الباحثين موضوع الدراسة

تشير البيانات الواردة في الجدول رقم (1) إلى أن الغالبية العظمى من مجتمع الدراسة من الذكور إذ بلغت نسبتهم (52%) مقابل (48%) للإناث من المجموع الكلي للعينة موزعة حسب الأقسام العلمية بكلية آداب صبراتة موضوع الدراسة.

2. التخصص والدرجة العلمية للأساتذة الباحثين موضوع الدراسة: المؤهل العلمي لدى أستاذ الجامعة مهم جداً، وأمر في غاية الأهمية إذ أن نجاح أستاذ الجامعة أيّاً كان تخصصه يعتمد على ما يمتلكه من معلومات حول تخصصه، وتحقيق رسالته العلمية فكلما

كانت الدرجة العلمية أعلى كانت مهنته أيسر وأسهل وتعامله مع المعلومة يكون أدق وأشمل.

جدول رقم (2) الدرجات العلمية للأساتذة الباحثين بكلية الآداب حسب التخصصات العلمية

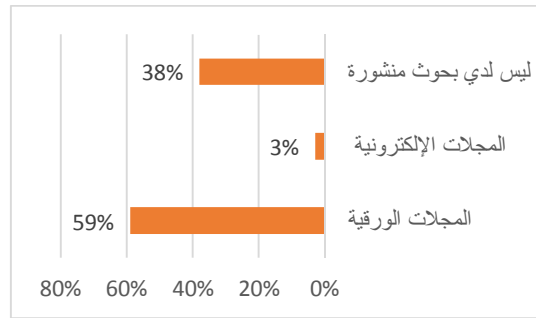
الترتيب	الأقسام العلمية	الدرجات العلمية لعينة الدراسة					
		معيد	مساعد محاضر	محاضر	أستاذ مساعد	أستاذ مشارك	أستاذ
1	علم الاجتماع	-	6	6	1	-	-
2	التاريخ	-	4	1	4	-	1
3	المكتبات والمعلومات	-	1	2	-	-	-
4	علم النفس	-	3	2	-	-	1
5	الفنون	-	1	6	1	-	-
6	الدراسات السياحية	-	2	1	-	-	-
7	الأثار	-	1	1	-	-	-
8	الإعلام	-	1	2	1	-	-
9	الجغرافيا	-	4	3	-	-	-
10	اللغة الفرنسية	-	-	2	-	-	-
المجموع		0	23	26	7	0	2
		0	(%40)	(%45)	(%12)	0	(%3)
58							

يتضح من خلال ما سبق أن الكلية تفتقر لبعض الدرجات العلمية وقد تمثلت الدرجات في درجة (معيد ودرجة أستاذ مشارك) فضلاً عن افتقار جل الأقسام لدرجة أستاذ حيث تمثلت أعلى نسبة في درجة (محاضر) بعدد (26) بنسبة (45%) أما المرتبة الثانية تمثلت في درجة (مساعد محاضر) بعدد (23) بنسبة (40%) أما المرتبة الثالثة فقد كانت متمثلة في درجة (أستاذ مساعد) بعدد (7) بنسبة (12%) أما في المرتبة الأخيرة للدرجات العلمية، وهي درجة (أستاذ) حيث تمثلت بعدد (2) وبنسبة (3%) نلاحظ مما سبق أن افتقار لدرجة المعيد، وهذا الأمر يبدو طبيعي على اعتبار أن الكثير من الأساتذة في إجازات علمية، والبعض منهم موفد لإتمام دراسته سواء في مرحلة الماجستير أم الدكتوراه.

3. عدد المنشورات في المجالات الإلكترونية والورقية لعينة الدراسة: يمكن أن تقدم البحوث المنشورة على شبكة الانترنت فوائد للأساتذة الباحثين فهي ذات كلفة قليلة حيث يمكن إتاحتها بسرعة لعدد كبير من الباحثين والعلماء في دول العالم، ويمكنها المساهمة في تقليل الفجوة الرقمية بين من يملك المعلومة ومن لا يملكها⁽¹⁴⁾.

الجدول رقم (3) توزيع عدد المنشورات لعينة الدراسة

المنشورات		
المجلات الورقية	34	59%
المجلات الإلكترونية	2	3%
ليس لدي أعمال منشورة	22	38%
المجموع	58	100%



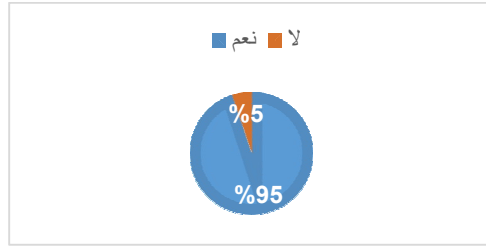
الشكل رقم (3) توزيع النسب حسب الوسائل الأكثر استخداماً في نشر البحوث

تبين من خلال الجدول السابق، والشكل أن الأساتذة الباحثين يعتمدون في نشر بحوثهم عن طريق المجلات الورقية بالدرجة الأولى بعدد (34) بنسبة (59%) وفي المرتبة الثانية عدد (22) من أفراد العينة ليس لديهم بحوث منشورة بنسبة بلغت (38%) وفي الترتيب الثالث والأخير نجد أن نشر الأبحاث من طرف الأساتذة الباحثين موضوع الدراسة للمجلات الإلكترونية قد جاء بعدد (2) وبنسبة (3%) من المجموع الكلي لأفراد العينة، وهذا يشير إلى عدم الولوج عبر شبكة الانترنت من قبل الأساتذة للاطلاع على المجلات العلمية المتاحة مما أثر على سلباً على استخدامها.

4. اتجاهات الأساتذة الباحثين نحو الاطلاع الحر: إن الوصول الحر يكون وصولاً مجانياً، وغير مقيد وهو متاح على الخط المباشر بمعنى أنه في صورة نموذجية، وعلى شكل وثائق رقمية منشورة على الإنترنت إضافة إلى أن الوصول الحر أن كان يرتكز في الأساس على مقالات الدوريات، فإنه ينسجم أيضاً على الأنماط الأخرى للإنتاج الفكري مثل بحوث المؤتمرات والتقارير الفنية، والرسائل الجامعية، والدراسات العلمية، والكتب وفصولها، والمصادر التعليمية⁽¹⁵⁾.

الجدول رقم (4) أهمية الإطلاع على الإنتاج العلمي المتاح على شبكة الانترنت لعينة الدراسة:

النسبة	العدد	المؤشر
%95	55	نعم
%5	3	لا
%100	58	المجموع



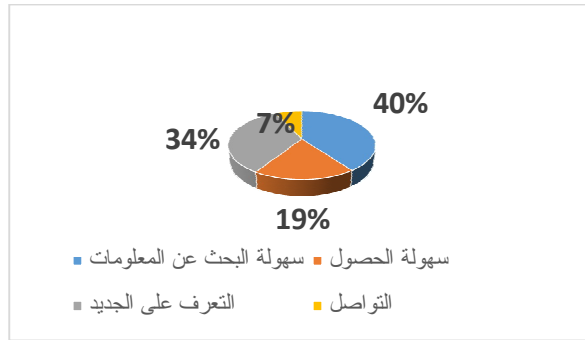
الشكل رقم (4) النسب المئوية حسب أهمية عينة الدراسة للإطلاع الحر

من خلال معطيات الجدول والشكل، نلاحظ أن أكبر نسبة من الأساتذة يؤكدون أن الإنتاج العلمي المتاح على شبكة الانترنت له أهمية كبيرة بالنسبة لهم جاء بعدد (55) بنسبة (95%) أما عدد الأساتذة الذين يرون أن الإنتاج العلمي المتاح على الشبكة ليس له أهمية تمثل بعدد (3) بنسبة (5%). ويرى الباحث أن الإنتاج العلمي المتاح على الشبكة متجدد إضافة إلى سهولة الولوج إلى المعلومات.

5. أهمية الإطلاع الحر على شبكة الانترنت لعينة الدراسة: ظهر مبدأ الوصول الحر للمعلومات وأخذ انتشاره وتبنيه من طرف الباحثين، والمؤسسات الأكاديمية، والبحثية يتزايد وينمو شيئاً فشيئاً حتى أصبح مطلباً ملحاً، وذلك بكسر احتكار بعض الناشرين لكل عملية توزيع، والوصول إلى الأبحاث حيث يعمل الإطلاع الحر على تسريع وتيرة البحث العلمي والتقني ضماناً للمؤلفين من بث أعمالهم على نحو متزايد من خلال عرضها ونشرها على أوسع نطاق ممكن فضلاً عن إمكانية الاحتفاظ بحق النشر (16).

الجدول رقم (5) أسباب اهتمام عينة الدراسة للاطلاع الحر المتاح

الترتيب	الخيارات	العدد	النسبة
1	سهولة البحث عن المعلومات	23	40%
2	سهولة الحصول على المعلومات	11	19%
3	التعرف على كل ما هو جديد	20	34%
4	للتواصل مع الأكاديميين	4	7%
	المجموع	58	100%



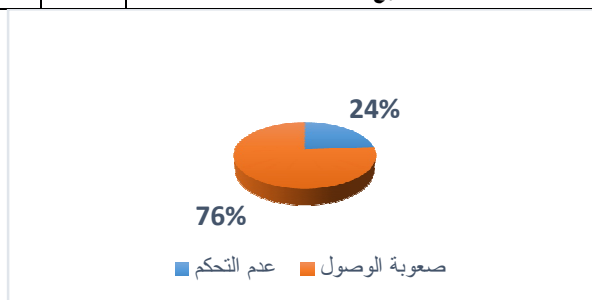
الشكل رقم (5) نسب معدل الاطلاع الحر من قبل عينة الدراسة

أوضحت الدراسة من خلال ما سبق أن أسباب اهتمام عينة الدراسة للاطلاع الحر المتاح على الانترنت كان بالدرجة الاولى سهولة البحث عن المعلومات بعدد (23) بنسبة (40%) في المرتبة الثانية التعرف على كل ما هو جديد بعدد (20) بنسبة (34%) تليها على التوالي سهولة الحصول على المعلومات بعدد (11) بنسبة (19%) بينما نلاحظ أن التواصل مع الأكاديميين قد جاء الترتيب الأخير بعدد (4) ونسبة (7%)، ويرى الباحث أن هناك رغبة من قبل الأساتذة إلى مواكبة التطورات المتسارعة الحاصلة في الإنتاج الفكري.

6. أسباب عدم أهمية النشر المتاح على الإنترنت لبعض أفراد عينة الدراسة:

الجدول رقم (6) أسباب عدم أهمية الإنتاج المتاح على الشبكة لأفراد العينة

الترتيب	الخيارات	العدد	النسبة
1	عدم التحكم في التكنولوجيا الحديثة	14	24%
2	صعوبة الوصول إلى المعلومات	44	76%
	المجموع	58	100%



الشكل رقم (6) توزيع معدل عدم أهمية الإنتاج العلمي لبعض أفراد العينة

من خلال ما سبق عرضه عن طريق الجدول، والشكل، نجد أنّ بعض أفراد العينة لديهم صعوبة الوصول إلى المعلومات وكان عددهم (44) بنسبة (76%) أما المرتبة الثانية عدم التحكم في التكنولوجيا الحديثة جاءت بعدد (14) بنسبة (24%)، وهذا يشير إلى أن عينة الدراسة لديهم صعوبات تتمثل في استخدام التقنية الحديثة.

7. النشر في المجالات الإلكترونية دون الورقية لعينة الدراسة: يتميز النشر في المجالات الإلكترونية دون الورقية في عدم الحاجة لموزعين حيث يتم التوزيع من خلال الموقع الخاص بالمجلة بدون الحاجة إلى وكلاء إضافة إلى الانتشار الواسع، وإتاحة المحتوى الإلكتروني من خلال الإنترنت بمعنى السرعة الفائقة في النشر، وإمكانية الحصول عليه في أي مكان في العالم وفي أي وقت تشاء (17).

الجدول رقم (7) التوزيع لعينة الدراسة حسب معدل استخدام المجالات الإلكترونية دون الورقية

المؤشر	العدد	النسبة
نعم	25	43%
لا	33	57%
المجموع	58	100%

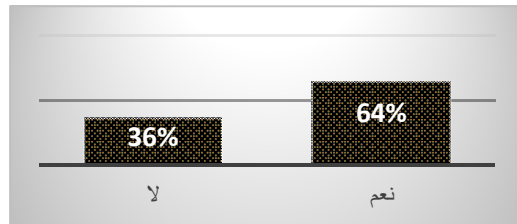


الشكل رقم (7) النسب المئوية لمعدل استخدام المجلات الإلكترونية دون الورقية لعينة الدراسة عند سؤالنا عن استخدام المجلات الإلكترونية للأساتذة الباحثين موضوع الدراسة دون الورقية، فقد أجاب عدد (33) بنسبة (57%) بأنهم يفضلون استخدام المجلات الورقية دون الإلكترونية في نشر بحوثهم العلمية، ونجد أنّ عدد (25) بنسبة (43%) يؤكدون استخدامهم للمجلات الإلكترونية دون الورقية، وهذا مؤشر يدل على عدم الإلمام بالخدمات المتطورة، وما تقدمه للمجتمع الأكاديمي.

8. معرفة عينة الدراسة لإجراءات الاطلاع الحر المتاح على شبكة الإنترنت: الوصول الحر هو جعل المحتوى المعلوماتي حراً ومتاح عالمياً عبر الإنترنت، حيث أن الناشر يحفظ أرشيفات على الخط المباشر يتيح الوصول إليها مجاناً، أو أنه يقوم بإيداع المعلومات في مستودع مفتوح الوصول ومتاح على نطاق واسع (18).

الجدول رقم (8) مدى معرفة عينة الدراسة لإجراءات الإطلاع الحر

المؤشر	العدد	النسبة
نعم	37	64%
لا	21	36%
المجموع	58	100%



الشكل رقم (8) تمثيل بيانات المتعلقة بمعرفة إجراءات الاطلاع الحر

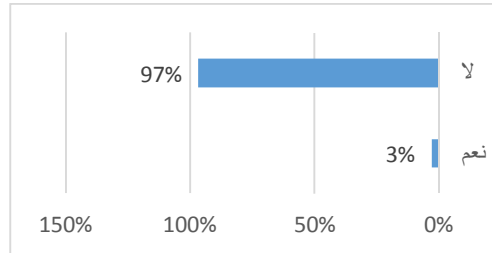
تعكس بيانات الجدول والشكل توزيع عينة الدراسة وفقاً لمعرفةهم بإجراءات الاطلاع الحر حيث يتضح أن عدد (37) بنسبة (64%) لهم دراية كافية لإجراءات الاطلاع الحر كما أوضحت البيانات أن عدد (21) بنسبة (36%) ليس لهم دراية بالإجراءات المتبعة للإطلاع الحر المتاح على الشبكة.

9. واقع إتاحة الإنتاج العلمي للاطلاع الحر:

الأبحاث المنشورة على شبكة الإنترنت لعينة الدراسة:

الجدول رقم (9) توزيع عدد الأبحاث المنشورة على الشبكة للعينة موضوع الدراسة

النسبة	العدد	المؤشر
3%	2	نعم
97%	56	لا
100%	58	المجموع



الشكل رقم (9) يوضح توزيع الأبحاث المنشورة على شبكة الإنترنت لعينة الدراسة

عند سؤالنا عن عدد الأبحاث المنشورة على شبكة الإنترنت نجد أن عدد (56) بنسبة

(97%) من إجمالي أفراد العينة ليس لديهم أي أبحاث منشورة على الشبكة وأن عدد (2)

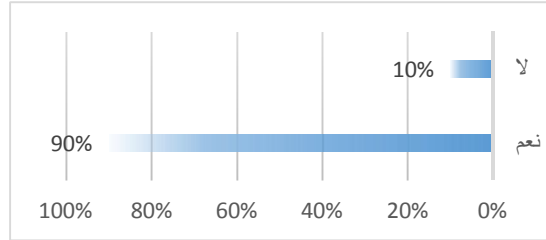
من العينة المدروسة فقط لديهم أبحاث منشورة على الشبكة بنسبة (3%).

10. أهمية إطلاع الأساتذة الباحثين على الإنتاج العلمي المتاح على شبكة الإنترنت:

الجدول رقم (10) مدى أهمية الإطلاع الحر على الإنتاج العلمي

المتاح لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	المؤشر
90%	52	نعم
10%	6	لا
100%	58	المجموع



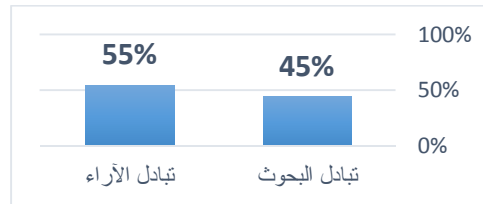
الشكل رقم (10) توزيع النسب المئوية حسب أهمية الاطلاع الأبحاث المنشورة

يظهر لنا الجدول والشكل، إجابات أفراد عينة الدراسة حول أهمية الإطلاع على الإنتاج العلمي المتاح على شبكة الانترنت حيث نجد عدد (52) بنسبة (90) من أفراد العينة يرغبون في الإطلاع على الإنتاج الفكري المنشور على شبكة الانترنت بينما نجد باقي أفراد العينة بعدد (6) بنسبة (10%) لا يرغبون في الاطلاع على الإنتاج العلمي المتاح، وهذا يعود إلى معرفة الأساتذة موضوع الدراسة في التعامل مع التقنية الحديثة.

11. رغبة عينة الدراسة للإطلاع على البحوث المنشورة في شبكة الإنترنت: يتيح الإنترنت مختلف المعلومات دون موانع متجاوزة الحدود الجغرافية، والسياسية، والاجتماعية حيث يتيح لمستعمليه فرصة التواصل مع أي شخص مهما كان موقعه، وتبادل المعلومات فضلاً على إرسال الخطابات، والرسائل ونقل الملفات سواء كانت رسائل علمية أم كتب أم معلومات لا تنشر خارج إطار الانترنت. (19)

الجدول رقم (11) أسباب التوجه نحو الإطلاع الحر على الشبكة لأعمال العلمية لعينة الدراسة

الخيارات	العدد	النسبة
سهولة تبادل البحوث	26	45%
سهولة الاتصال وتبادل الآراء الفكرية	32	55%
المجموع	58	100%



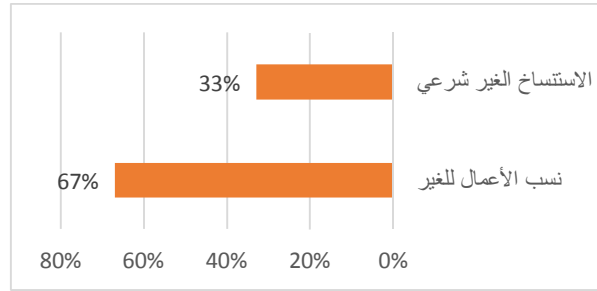
الشكل رقم (11) التوزيع حسب أسباب إطلاع عينة الدراسة على البحوث المنشورة المتاحة على الشبكة

يبين لنا الجدول والشكل عند سؤالنا عن أسباب رغبة عينة الدراسة الإطلاع على البحوث العلمية المتاحة فقد كانت سهولة الاتصال وتبادل الآراء الفكرية أعلى نسبة جاءت (55%) تليها سهولة تبادل البحوث بنسبة (45%) من المجموع الكلي لعينة الدراسة. ويرى الباحث قد يكون هناك مخاوف من قبل الأساتذة من حيث عمليات القرصنة أو السرقات العلمية الأمر الذي أدى بهم للاطلاع بسهولة الاتصال وتبادل الآراء الفكرية.

12. عدم رغبة الأساتذة الباحثين للإطلاع على البحوث المنشورة على شبكة الانترنت:

الجدول رقم (12) توزيع أسباب عدم رغبة العينة للإطلاع على البحوث المنشورة على الشبكة

الترتيب	الأسباب	العدد	النسبة
1	نسب بعض الأعمال لغير مؤلفيها	4	67%
2	الاستنساخ الغير شرعي	2	33%
	المجموع	6	100%



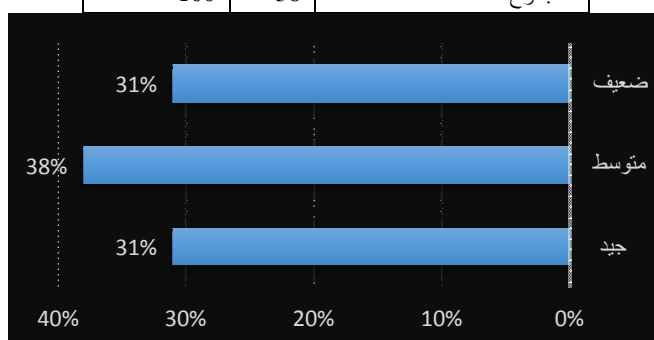
الشكل رقم (12) توزيع النسب المئوية بعدم رغبة أفراد العينة للإطلاع على البحوث المنشورة على الشبكة

يكشف لنا الجدول والشكل أسباب عدم رغبة العينة في الإطلاع على الإنتاج العلمي المتاح على الشبكة حيث أجاب عدد (4) بنسبة (67%) أن البحوث الموجودة على الشبكة بعضها قد تنسب لغير مؤلفيها بينما يرى عدد (2) بنسبة (33%) أن بعض البحوث العلمية تنسخ بطريقة غير شرعية وهكذا يفقد المؤلف حقه فيما نشره.

13. تقييم عينة الدراسة لواقع النشر العلمي المتاح على الشبكة:

الجدول رقم (13) يبين تقييم عينة الدراسة لواقع النشر العلمي المتاح على شبكة الانترنت

الترتيب	المقياس	العدد	النسبة
1	جيد	18	31%
2	متوسط	22	38%
3	ضعيف	18	31%
المجموع		58	100%

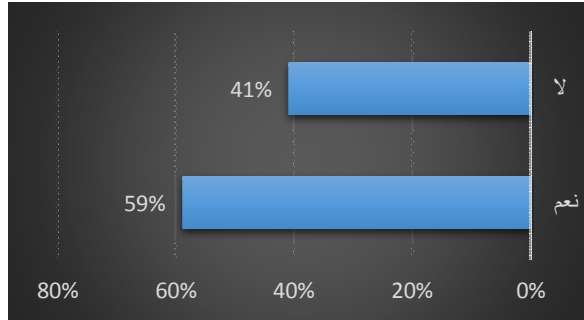


الشكل رقم (13) توزيع النسب المئوية حسب تقييم عينة الدراسة لواقع النشر على شبكة الانترنت يشير الجدول والشكل السابقان إلى توزيع أفراد العينة حسب تقويمهم لواقع النشر العلمي المتاح على شبكة الإنترنت حيث كان مقياس (متوسط) في المرتبة الأولى بعدد (22) بنسبة (38%) وقد اتفق كل من (جيد وضعيف) في العدد والنسبة حيث كان لكل منهم عدد (18) بنسبة (31%) وهذا يدل على قلة الوعي الرقمي لدى عينة الدراسة وقلة الدخول على المواقع العلمية التي تخدم احتياجاتهم.

14. الصعوبات التي تواجه الأساتذة الباحثين موضوع الدراسة في نشر بحوثهم عن طريق شبكة الانترنت.

الجدول رقم (14) مدى الصعوبات التي تواجه عينة الدراسة في نشر بحوثهم على شبكة الانترنت

المؤشر	العدد	النسبة
نعم	34	59%
لا	24	41%
المجموع	58	100%

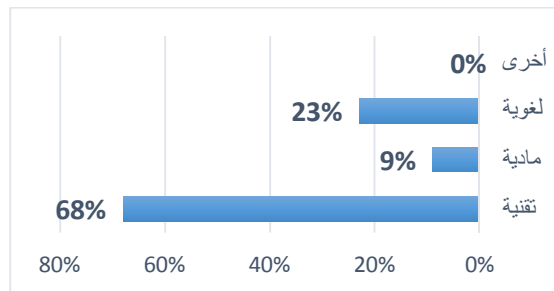


الشكل رقم (14) توزيع النسب المئوية لمدى الصعوبات التي تواجه عينة الدراسة تبين من خلال الجدول السابق أن الأساتذة الباحثين بعدد (34) بنسبة (59%) تواجههم صعوبات بينما أجاب (24) من أفراد العينة بنسبة (41%) بعدم وجود صعوبات تواجههم عند القيام بنشر الأبحاث العلمية على شبكة الإنترنت.

15. أنواع الصعوبات التي تواجه الأساتذة الباحثين عند نشر بحوثهم العلمية عن طريق شبكة الانترنت:

الجدول رقم (14) أنواع الصعوبات التي تواجه أفراد العينة عند نشر أبحاثهم عن طريق الشبكة

الترتيب	الخيارات	العدد	النسبة
1	تقنية	23	68%
2	مادية	3	9%
3	لغوية	8	23%
4	أخرى	0	0%
	المجموع	34	100%



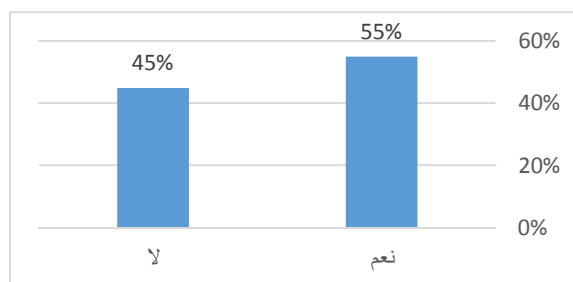
الشكل رقم (14) توزيع النسب المئوية حسب الصعوبات التي تواجه عينة الدراسة

من خلال ما تم عرضه يتبين أن هناك بعض الصعوبات التي تواجه الأساتذة الباحثين عند نشر بحوثهم العلمية عن طريق شبكة الانترنت، وقد تمثلت في المرتبة الأولى الصعوبات (التقنية) بعدد (23) بنسبة (68%) تليها الصعوبات (اللغوية) بعدد (8) بنسبة (23%) وفي المرتبة الثالثة صعوبات (مادية) بعدد (3) بنسبة (9%) من خلال ماسبق يتضح أن الأساتذة الباحثين لديهم صعوبات تتمثل في التعامل مع التكنولوجيا من حيث التعامل فضلاً على عدم اجادة اللغة للدخول لبعض المواقع العلمية وأخيراً كانت المادية منها.

16. النشر العلمي على شبكة الإنترنت واعتماده في الترقيات العلمية من قبل الجامعة:

الجدول رقم (15) مدى اعتماد النشر عن طريق الشبكة للترقيات العلمية في الجامعة

النسبة	العدد	المؤشر
55%	32	نعم
45%	26	لا
100%	58	المجموع



الشكل رقم (15) توزيع النسب حسب اعتماد النشر عن طريق الإنترنت

للترقيات العلمية في الجامعة

عند سؤالنا عن اعتماد الأبحاث المنشورة في شبكة الانترنت للترقيات العلمية للأساتذة الباحثين أجاب بعدد (32) بنسبة (55%) أن الأبحاث المنشورة على الانترنت تعتمد من قبل الجامعة، وتتم الترقية العلمية عن طريقها بينما أجاب عدد (26) بنسبة (45%) أن الأبحاث المنشورة من الأساتذة الباحثين على شبكة الانترنت لا تتم اعتمادها في الترقية

العلمية، ويرى الباحث أن هذا الأمر قد يجعل الأساتذة في عزوف في استخدام المجالات العلمية المتاحة على الإنترنت.

الخلاصة: تبين من الدراسة الميدانية أن الأساتذة موضوع الدراسة لديهم صعوبات، وعراقيل تحول بينهم وبين نشر أبحاثهم العلمية على شبكة الإنترنت، وذلك لقلة الخبرة في الاستخدام من جهة وعدم الاهتمام من طرف الكلية من جهة أخرى، مما أثر سلباً في عزوف الأساتذة لنشر بحوثهم العلمية في المجالات الإلكترونية، والاطلاع على كل ما هو جديد في التخصصات العلمية المتاحة على الشبكة من هنا كان لزاماً بأن تقوم الكلية بالتخطيط، والتنظيم لعقد الدورات التدريبية، والإرشادية للأساتذة الباحثين حتى يتم تزويدهم بالمعلومات، وكيفية التعامل مع الخدمات الإلكترونية المتطورة المتاحة على شبكة الإنترنت، واستغلالها الاستغلال الأمثل خدمة للمجتمع الأكاديمي.

النتائج والتوصيات:

أولاً- النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، نوضحها في الآتي:

1. إن عدد الذكور جاء بنسبة (52%) مقارنة بنسبة الإناث كانت بفارق بسيط وهي (48%) كما أظهرت أن الكلية تفتقر لبعض الدرجات العلمية، وتمثلت هذه الدرجات في درجة (أستاذ) بنسبة (2%) وعدم وجود درجة (معيد)، ودرجة (أستاذ مشارك).
2. كشفت الدراسة أن الأساتذة الباحثين يعتمدون في نشر أبحاثهم العلمية على المجالات الورقية بنسبة (59%) كما بينت أن هناك أساتذة لم تكن لديهم أبحاث منشورة بنسبة (38%) وأن اعتماد عينة الدراسة على المجالات الإلكترونية جاء بنسبة (3%).
3. أظهرت الدراسة أن الأساتذة الباحثين لديهم أهمية كبيرة للإنتاج العلمي المتاح على شبكة الانترنت بنسبة (95%) ونسبة (3%) ليس لديهم اهتمام للإنتاج العلمي المتاح على الشبكة.
4. اتضح أن أفراد العينة مهتمون بالنشر المتاح على شبكة، وذلك لسهولة البحث عن المعلومات بنسبة (39%) والتعرف على كل ما هو جديد بنسبة (37%) أما الاهتمام

- لسهولة الحصول على المعلومات تمثل بنسبة (20%) ولغرض التواصل مع الأكاديميين كان أقل نسبة وهي (4%).
5. تبين من الدراسة الميدانية أنّ عينة الدراسة يعانون من صعوبة الوصول للمعلومات بنسبة (75%) وبعضهم الآخر ليست لديه القدرة على التحكم في التكنولوجيا بنسبة (25%) وهذا يدل على قلة الوعي باستخدام التقنية الحديثة.
6. اتضح من الدراسة أن أفراد العينة لديهم معرفة مسبقة بإجراءات الإطلاع الحر بنسبة (64%) ونسبة (36%) ليست لديهم خبرة على الإجراءات المتبعة للإطلاع الحر على شبكة الانترنت.
7. أمّا عن الأبحاث المنشورة لأفراد العينة فقد أظهرت الدراسة أن الأبحاث المنشورة جاءت بنسبة (3%) وأن باقي العينة ليس لديهم أبحاث منشورة بنسبة (57%) وهذا يدل على عدم وجود وعي كافي بأهمية المجالات الإلكترونية المتاحة على شبكة الانترنت.
8. أما عن تقييم أفراد عينة الدراسة لواقع النشر على شبكة الإنترنت فقد أظهرت الدراسة أن مقياس (متوسط) تمثل في (38%) وقد انفق كلا من مقياس (جيد وضعيف) وكان لكل منهم نسبة (18%) وهذا يرجع لعدم اهتمام أفراد العينة للمجلات الإلكترونية.
9. بينت الدراسة أن هناك صعوبات تقف حائلا دون استخدام المجالات الإلكترونية، وهي صعوبات تقنية بنسبة (68%) وصعوبات (لغوية) بنسبة (23%) أما المادية فهي (9%) وهذا يشير أن أفراد العينة لديهم ضعف في مهارة استخدام شبكة الانترنت بالشكل المطلوب.
10. أشارت الدراسة إلى أن المجالات الإلكترونية معتمدة لدى الجامعة في الترقيات العلمية بنسبة (55%) وأشار عدد من أفراد العينة بنسبة (45%) أنها غير معتمدة أكاديمياً لدى جامعة صبراتة.

ثانياً- التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يمكن استخلاص مجموعة من التوصيات من شأنها الاسهام في رفع كفاءة الإطلاع والاستخدام للإنتاج الفكري المتاح على الانترنت:

1. ضرورة الاهتمام بحاجات الأساتذة الباحثين المعلوماتية الإلكترونية المناسبة، وذلك من خلال إعطاء دورات تدريبية يشرف عليها نخبة من المتخصصين في مجال تقنية المعلومات.
2. تبني إدارة الكلية سياسية التعاملات الإلكترونية للأغراض البحثية، وتأمين متطلبات قيامها بشكل مناسب.
3. توفير تقنية واي فاي (Wi-Fi) داخل الكلية ومراققتها لتمكين الأساتذة الباحثين من الدخول إلى الانترنت في أي وقت ومن أماكن تواجدهم.
4. العمل على إتاحة قواعد البيانات المتخصصة لتلبية الحاجات العلمية والبحثية للأساتذة الباحثين يعد أمراً ضرورياً وتوجهاً عالمياً.
5. العمل على توعية الأساتذة الباحثين من قبل الكلية بأهمية المجالات الإلكترونية العلمية المحكّمة المتاحة على الشبكة وما لها من آثار علمية.
6. ضرورة معاملة النشر العلمي المتاح على شبكة الانترنت معاملة النشر الورقي من حيث الثقة والقبول في الترقيات العلمية.
7. العمل من قبل الكلية على تشجيع الأساتذة الباحثين إلى الدخول والاشتراك في المنافذ المعتمدة كالمجلات العلمية الإلكترونية ونحوه.
8. العمل على إيجاد الحلول والقوانين المناسبة لاعتماد النشر الإلكتروني وقبوله في الترقيات العلمية للنهوض بالمستوى العلمي للجامعة نحو الأفضل.

المراجع:

1. وسام صلاح عبد الحسين، حسين مناتي ساجت، خالد عمر رضا. واقع استخدام الانترنت في البحث العلمي: دراسة تحليلية بجامعة كربلاء. تاريخ الاطلاع 2017/12/25. (6:12 م)، متاح على www.iasj.net
2. محمد فتحي عبدالهادي. البحث ومناهجه في علم المكتبات والمعلومات... القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2009، ص41.
3. فيصل عبدالله حسن الحداد. خدمات المكتبات الجامعية السعودية: دراسة تطبيقية للجودة الشاملة... الرياض: مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003... ص 79.
4. نزارى زبيدة. اتجاهات الأساتذة الباحثين نحو نشر بحوثهم على شبكة الانترنت: دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية... إشراف فردي لخضر: جامعة قسنطينة 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم المكتبات والتوثيق، 2013. —(رسالة ماجستير) ص13.
5. هدى محمد باطويل، منى داخل السريحي. "النشر الإلكتروني دراسة لأهم القضايا ذات العلاقة بعالم المكتبات والمعلومات". — الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، مج9، ع17، (يناير 2002) ص26.
6. فهد ساعاتي. "النشر الإلكتروني وأثره على جودة المكتبات المركزية بالجامعات العربية: دراسة تحليلية ميدانية". — الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، مج 16، ع35، (يناير 2011)، ص143
7. هنات محمد. "سلوكيات الأساتذة الباحثين للوصول إلى المعلومات في البيئة الرقمية: الأساتذة الباحثون بجامعتي الجلفة والأغواط نموذجا... صاحب محمد: جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، 2015(رسالة ماجستير)، ص80
8. النشر الإلكتروني في عشر سنوات (1990 – 1999): دراسة ببيومترية. تاريخ الاطلاع 2018/1/2، (2:00 م)، متاح على www.faculty.ksu.edu.sa

9. عاشور محمد الشخي. النشر الإلكتروني وتأثيراته على بيئة البحث العلمي. — مجلة المكتبات والمعلومات، ع12، (يونيو 2014) ص63.
10. عوني شعبان المقيد، يحيى حامد الأسطل. النشر الإلكتروني والمكتبات الأكاديمية في محافظات غزة: دراسة حالة: أعمال المؤتمر العاشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (الفترة 8 إلى 12 أكتوبر 1999 نابل تونس) ص 335.
11. جبريل بن حسن العريشي. النشر الإلكتروني: دراسة نظرية لبعض قضايا الكتاب الإلكتروني. — دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، مج9، ع1 (يناير 2004)، ص ص 80 — 81.
12. الانترنت. 2018/1/5. (5:26م)، متاح على www.uobabylon.edu.iq
13. جمال بن عبدالعزيز الشرهان. الشبكة العالمية للمعلومات(الانترنت) ودورها في تعزيز البحث العلمي لدى طلاب جامعة الملك سعود بالرياض. تاريخ الاطلاع 2018/1/10، (11:05 ص)
متاح على www.faculty.ksu.edu.sa
14. محمد أبو القاسم الرتيمي. النشر الإلكتروني: دراسة تحليلية. تاريخ الاطلاع 2018/1/10،
(11:40 ص)، متاح على www.artemi.info
15. رواء صلاح الدين زيادة. الوصول الحر للمعلومات. تاريخ الاطلاع 2018/1/13،
(3:00 م)، متاح على www.libcentral.uomosul.edu.iq
16. وسام يوسف بن غيدة. نشأة حركة الوصول الحر للمعلومات العلمية والتقنية. Cybrarians journal ع40 (ديسمبر 2015) تاريخ الاطلاع 2018/2/3،
(4:00 م) ، متاح على
[http://journal.cybrarians.org/index.php?option=com_content&view=art
icle&id=705:wghida&catid=280:papers&Itemid=103](http://journal.cybrarians.org/index.php?option=com_content&view=article&id=705:wghida&catid=280:papers&Itemid=103)
17. النشر الإلكتروني مميزات وعيوب النشر الإلكتروني. تاريخ الاطلاع 2018/2/4،
(5:23 م) متاح على www.ahadalmutairi22blogspoti.com

18. مها أحمد إبراهيم محمد. "الوصول الحر للمعلومات: المفهوم، الأهمية، المبادرات...".
Cybrarians journal. ع22 (يونيو 2010) تاريخ الزيارة 2018/2/7. متاح
على www.journal.cybrarians.org

19. بلغيث سلطان. واقع استخدام الانترنت في البحث العلمي بالجامعة: دراسة ميدانية
بجامعة تبسة. تاريخ الاطلاع 2018/2/10 (2018/2/11)، (1:13 م)، متاح على
www.alnoor.se

مستوى معوقات تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية

د.عائشة عثمان ملوم

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

مقدمة الدراسة:

يتسم العصر الحالي بالتغير المستمر والتطور السريع في كل مناحي الحياة، بسبب ذلك التقدم الهائل الذي أحدثته ثورة المعلومات والاتصالات، والتكنولوجيا، والذي أثر في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وأصبح النظام التعليمي يتميز بتطوره السريع الذي تتلاحق فيها التغيرات والتحولات، وبالتالي تواجه منظومة التعليم ضغوطات، الأمر الذي أصبح لزاماً على المؤسسات التعليمية اتخاذ الترتيبات اللازمة لملاحقة تلك التطورات ومواجهة ما يعترئها من معوقات قد يصعب معها مواكبة ذلك التطور التقني الرهيب.

فالمجتمعات لم تعد تنظر إلى التعليم على أنه خدمات لا مقابل لها، بل أصبح ينظر إليها على أنها نظام يقيم في ضوء كلفته والعائد منه، وكما لم يعد التعليم يعمل بمعزل عن النظم المجتمعية الأخرى، حيث تتوقع تلك النظم من النظام التعليمي مخرجات (الطلاب) في مستوى جودة تتناسب مع احتياجاته، وأن أى نقص أو تقصير في هذه المخرجات، يكلف النظم الاجتماعية الأخرى تكاليف كثيرة في إعداد برامج التأهيل والتدريب، والنظام التعليمي كنظام اجتماعي لا بد أن يطور مدخلاته وعملياته ومخرجاته، حتى تتلائم مع التغيرات المتسارعة التنافسية التي يمر بها العالم الآن.

لذا كان لا بد في ظل هذه التحولات التي حملت معها العديد من الصعوبات، أن تتضافر الجهود إلى وضع تصورات جديدة للتعليم بحيث تتكاتف جهود واهتمامات التربويين للاتجاه نحو مراجعة برامج التعليم وسياساته، والتعامل مع تحديات هذا العصر، من أجل اكتساب المهارات الفنية والمهنية التي تعزز الاستثمار الفعال لكل ما هو جديد، ومن هنا تبرز أهمية المراجعة المستمرة والتجديد في العملية التعليمية، مستهدفة الإنسان القادر علي التكيف مع معطيات ما تنتجه الجهود المبتكرة في ظل تلك التغيرات، فالتعليم الذي يتميز

بالجودة هو العامل الاساسي في إحداث التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وأداة من أدوات البناء الحضاري للمجتمع.

مشكلة الدراسة: تسعى المجتمعات إلى تحقيق التنمية باعتبارها طريقاً إلى التقدم الحضاري، ويعتبر الإنسان وسيلة هذه التنمية وغايتها، ومن ثم تهتم الدول ببذل الجهد؛ لتحقيق الاستخدام الأمثل لمواردها وإمكانياتها وطاقاتها المتاحة والتي يأتي في مقدمتها القوى البشرية، فالقوي البشرية تلعب دوراً مهماً في تنمية المجتمع والنهوض به سواء اقتصادياً أو اجتماعياً؛ لذا وجب الاهتمام بتعليم وتدريب العناصر البشرية؛ لأن التعليم والتدريب أصبح من ضرورات تقدم المجتمعات، وهو بالنسبة للأفراد مفتاح تحصيل المعرفة وتطويرها ونشرها⁽¹⁾، لذلك يعد العنصر البشري هو أساس كل تقدم في المجتمع، وكلما كان هذا العنصر البشري أكثر معرفة ومهارة وخبرة كان أدؤه لدوره أكثر فاعلية وتأثيراً في جميع المجالات الحياتية.

وإذا كان العنصر البشري هو أساس كل تقدم، فهذا يعني أهمية تزويد هذا العنصر بالخبرات والتدريب الذي يؤهله لأداء دوره بطريقة إيجابية ومنتجة في خدمة المجتمع، من خلال منظماته ومؤسساته المتنوعة في مختلف القطاعات .

وفي ظل ما يتعرض له المجتمع من متغيرات على الصعيدين المحلي والعالمي، والتي من أبرزها التغيرات السياسية على الصعيد العربي والانفتاح الاقتصادي والاجتماعي والثقافي على دول العالم، فقد وجدت المهن المختلفة نفسها أمام تحدٍ من نوع يتعارض مع أساليبها التقليدية ومعايير أدائها، وإذا كان هذا ينطبق على كل المهن بصفة عامة، فإنه ينطبق أيضاً على مهنة الخدمة الاجتماعية بصفة أخص؛ باعتبارها مهنة تتعامل مع مشكلات الإنسان المتغيرة وتعمل على تنمية قدراته؛ ليصبح قوة إيجابية قادرة على التوافق مع البيئة التي يعيش فيها ومتكيفاً معها .

وإذا كانت مهنة الخدمة الاجتماعية قادرة على إحداث التغييرات المطلوبة في حياة الأفراد والجماعات، للوصول بها إلى أكبر قدر من التوافق مع الظروف الخارجية وتحقيق قدر من الرفاهية، لا بد لها أن توفر قدراً مناسباً من التعليم لطلابها، يتخطى جميع المعوقات وتجاوزها لإنجاز الجودة التعليمية الممكنة؛ لأنه لا يمكن للخدمة الاجتماعية أن

تؤدي دورها إلا إذا أحسن الإعداد المهني لطالب الخدمة الاجتماعية أخصائي المستقبل ليمتلك القدرة على القيام بمسؤولياته المهنية بعد التخرج فيما بعد.

ومن هنا تبرز الحاجة الملحة لضرورة وجود برامج تعليمية تقييمية في الخدمة الاجتماعية، تدعم وتطور بصورة مستمرة لكي تتلاءم مع الاحتياجات المجتمعية المتغيرة، انطلاقاً من التلازم الوثيق بين الممارسة المهنية وتعليم الخدمة الاجتماعية التي تعد المتخصصين للقيام بمهام هذه الممارسة، والتي تتضمن التدخل المباشر والموجه بالمعرفة والقيم والمهارات المهنية؛ لتحقيق أهداف محددة باستخدام أساليب فنية متخصصة يمكن التدريب عليها ونقلها لمن يتم إعدادهم لهذا المجال .

ومن هذا المنطلق فإن تحقيق جودة العملية التعليمية للخدمة الاجتماعية، هي التي تمهد الطريق لتحقيق مستويات أعلى من التفوق في التحصيل الدراسي للطلاب، الذي ينعكس فيما بعد على حسن أدائهم المهني فتعليم الخدمة الاجتماعية في إطار متطلبات الجودة، تعني أداء العمل بأسلوب صحيح متقن وفق مجموعة من المعايير الضرورية؛ لرفع مستوى جودة المنتج التعليمي بأقل مجهود وتكلفة، محققاً الأهداف التعليمية للخدمة الاجتماعية وأهداف المجتمع⁽²⁾.

وتؤكد الدلائل والشواهد البحثية على العديد من النتائج التي تشير إلى أن هناك ضرورة ملحة لمراجعة البرامج الدراسية كمدخل لإصلاح العملية التعليمية للخدمة الاجتماعية ونذكر من تلك الدراسات العربية منها والمحلية، والتي منها دراسة (ناهد عباس 1989) التي خلصت إلى "عدم مناسبة المناهج والأساليب التدريسية لطلاب الخدمة الاجتماعية لواقع المجتمع ومشاكله وضرورة تطويرها؛ لتكون أكثر ملاءمة لظروف واحتياجات المجتمع"⁽³⁾.

كما توصلت دراسة (عرفات زيدان 2000) "إلى أن محتوى تعليم الخدمة الاجتماعية يحتاج إلى إحداث تغيير وتطوير لكي تتناسب مع متطلبات ومستقبل الممارسة المهنية في مجالات الرعاية الاجتماعية"⁽⁴⁾.

وتناولت بعض الدراسات المحلية قضية تعليم الخدمة الاجتماعية، وهذا ما أشارت إليه دراسة (نصر الدين أبو غمجة 1997) عن عدم وجود ترابط بين الجانب النظري والعملية في تعليم الخدمة الاجتماعية⁽⁵⁾.

وفي هذا السياق ذاته أشارت دراسة (عبد السلام القشطي 2010) "إلى ضعف الإعداد المهني للأخصائيين الاجتماعيين لاعتماد القائمين على تدريس الخدمة الاجتماعية على النموذج الغربي، وعدم تطويع طرقها ومجالاتها وأساليبها بما يتلاءم والواقع المجتمعي، وإلى عدم اطلاع الأخصائيين على المعارف العلمية الحديثة في مجال الخدمة الاجتماعية، الأمر الذي قد يحد من قدرتهم على أداء عملهم بفاعلية"⁽⁶⁾.

ومن خلال ما سبق وفي إطار استكمال ما وصلت إليه الدراسات التي اهتمت بالعملية التعليمية للخدمة الاجتماعية لإعداد أخصائيين اجتماعيين مؤهلين للتعامل مع وحدات المجتمع، فإن هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية حسب وجه نظر أعضاء هيئة التدريس القائمين بالعملية التعليمية بأقسام الخدمة الاجتماعية.

أهمية الدراسة:

- 1- الدور الهام والحيوي للتعليم باعتباره الدعامة الأساسية لنهضة المجتمع، ومن ثم فإن تعليم الخدمة الاجتماعية ينبغي أن يتطور من خلال الاهتمام بمدخلات العملية التعليمية، ضماناً لتحقيق معايير جودة التعليم، بما يعكس إيجاباً على جودة الأداء المهني .
- 2- إن الارتقاء بمستوى خريج الخدمة الاجتماعية لا يتحقق إلا من خلال المدخلات والمخرجات عالية الجودة بحيث يكون قادراً على المنافسة في سوق العمل محلياً وإقليمياً، وقادراً على إحداث التغيير الإيجابي في المجتمع.
- 3- ضرورة مسايرة أنماط التعليم الجامعي للتغيرات الكبرى التي تحدث في المجتمع، مثل الثورة التكنولوجية والثورة المعلوماتية.
- 4- الاهتمام بمهنة الخدمة الاجتماعية داخل المجتمع الليبي وأهميتها للتصدي للكثير من المشكلات والظواهر السلبية التي قد تظهر نتيجة التغيرات التي يشهدها المجتمع الليبي في

الوقت الراهن الأمر الذي يتطلب الاهتمام بالإعداد المهني وعناصره؛ ليكون على درجة عالية من الكفاءة المستمدة من جودة العملية التعليمية.

أهداف الدراسة: الهدف الرئيس لهذه الدراسة تحديد مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية، حسب وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس".

ومن هذا الهدف الرئيس يمكن تحديد الأهداف الفرعية التالية:

1- تحديد مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في الجانب النظري.

2- تحديد مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في الجانب الميداني (التطبيقي).

فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسة للدراسة التي مفادها "مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي المستوى الافتراضي للمعوقات حسب وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

وللتحقق من هذه الفرضية فقد تمت صياغة الفرضيات التالية:

1- الفرضية الفرعية الأولى للدراسة مفادها: الفرضية الفرعية الأولى للدراسة مفادها: مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في الجانب النظري يساوي المستوى الافتراضي للمعوقات حسب وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

2- الفرضية الفرعية الثانية للدراسة مفادها : مستوى وجود معوقات قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في الجانب الميداني يساوي المستوى الافتراضي للمعوقات حسب وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة: سعت الباحثة لتعريف بعض المفاهيم المستخدمة في هذه الدراسة وفق ما اتفق عليه المتخصصون في هذا المجال وهي كالآتي:

1- **المعوقات:** تعني كلمة (obstacle) في قاموس اكسفورد أي شئ يعوق من التقدم سواء يرجع ذلك إلي عوائق طبيعية أو مصطنعة مما يؤدي إلى صعوبة اجتياز المواقف⁽⁷⁾.

كما تعرف في معجم الوسيط بأنها: كلمة مشتقة من (عاق أو يعوق) وتعني بأنها منعه منه وشغله عنه⁽⁸⁾.

وتعرف أيضا بأنها الشئ العسر الذي يشكل صعوبة ويعرقل تحقيق الأهداف ويحتاج إلى مواجهة للتغلب عليه حتى يمكن الوصول إلى الغرض أو الهدف بسهولة ويسر⁽⁹⁾. كما تعرف أيضا: بأنها المفارقات بين الظروف الواقعة والمسؤوليات الاجتماعية المنشودة أو المرغوبة وهي إضرابا وتعطيلاً في النظم الاجتماعية وتحول دون قيام الأفراد بمسؤولياتهم⁽¹⁰⁾.

2- **الجودة:** عرفت **الجودة بأنها** "جهود تقوم بها إدارة المؤسسة وتهدف إلي التطور والتحسين المستمرين لكل العمليات والوصول إلى نوعية مميزة؛ لتحقيق مستويات عالية في الأداء"⁽¹¹⁾.

كما عرفت بأنها "تكامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما بصورة تمكن من تلبية احتياجات ومتطلبات محددة أو معروفة ضمناً، أو هي مجموعة من الخصائص والمميزات لكيان ما تعبر عن قدرتها على تحقيق المتطلبات المحددة أو المتوقعة من قبل المستفيد"⁽¹²⁾.

وعرفت أيضا "تلك الفلسفة التي تتضمن العمليات والأدوات للتطبيق العملي الذي يهدف إلى تحقيق ثقافة التحسين المستمر التي يساهم فيها العاملون داخل المنظمة، بهدف إشباع حاجات العملاء"⁽¹³⁾.

في حين عرفت الجودة في الخدمة الاجتماعية بأنها "الممارسات المتميزة بالمستويات العالية والمقننة قياسياً للعملية التعليمية بما تحويه من مكونات وآليات، وما تلزم به من موجبات تحقق الأهداف المرغوبة من تعليم للخدمة الاجتماعية من حيث تكوين وإعداد خريجين قادرين على استخدام وتوظيف معارفهم ومهاراتهم بما يتمشى مع متطلبات ومتغيرات وحدات العمل المختلفة والمجالات التي يتطلبها المجتمع"⁽¹⁴⁾.

ويمكن تعريف جودة تعليم الخدمة الاجتماعية في هذه الدراسة إجرائياً بأنها:

- 1- جملة من المعايير والخصائص التي ينبغي أن تتوفر في جميع عناصر العملية التعليمية للخدمة الاجتماعية .
 - 2- كل ما يتعلق بالمدخلات أو العمليات أو المخرجات والتي يجب أن تلبي احتياجات المجتمع ومتطلباته
 - 3- تحقيق هذه المعايير والخصائص من خلال الاستخدام الفعال للعناصر البشرية والمادية المرتبطة بالعملية التعليمية .
 - 3- العملية التعليمية: تعرف بأنها "عملية تفاعل بين معلم ومتعلم في محيط معين" (15).
- كما عرفت العملية التعليمية بأنها "تلك العملية التي تتفاعل فيها ومن خلالها المدخلات المختلفة بنسب ومواصفات معيارية محددة مع المتعلم بشخصيته واتجاهاته ودوافعه سعياً لإعداد المتعلم إعداداً شاملاً" (16).
- ويمكن تعريف العملية التعليمية للخدمة الاجتماعية وفقاً لهذه الدراسة إجرائياً بأنها:

- 1- عملية رسمية تتم في مؤسسات متخصصة.
- 2- تقوم بنقل واكتساب المعلومات والمعارف والمهارات للمتعلمين (طلاب الخدمة الاجتماعية).
- 3- يقوم بها متخصصون ومؤهلون علمياً.
- 4- الخدمة الاجتماعية: "الخدمة الاجتماعية مهنة إنسانية تعمل على تهيئة أسباب التغيير تحقيقاً للرفاهية الاجتماعية، بأسلوب منهجي يجند طاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية بتدعيم قدراتها وإمكانياتها وعلاج مشاكلها على أساس المساعدة الذاتية وفي الإطار الأيديولوجي للمجتمع" (17).

ويمكن تعريف الخدمة الاجتماعية وفقاً لهذه الدراسة إجرائياً بأنها:

- 1- مهنة لها قاعدتها العلمية المستعارة من العلوم الاجتماعية ومن خبراتها الميدانية، ولها أساليبها الفنية وقيمتها ومعاييرها الأخلاقية.
- 2- تهدف إلى إحداث التغييرات المرغوبة في الأفراد والجماعات والمجتمعات .
- 3- يمارسها أخصائيو اجتماعيون متخصصون في مؤسسات متخصصة .

4- تتعاون مع غيرها من المهن الأخرى في المجالات المختلفة لمساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات للوصول إلى المستويات الاجتماعية المنشودة.

5- تقوم باستثمار كل الموارد والإمكانيات المتاحة والكامنة لتحقيق أهدافها.

النظرية الموجهة للدراسة:

نظرية الأنساق العامة: تقوم نظرية الأنساق على فكرة مفادها " إن النسق هو بناء له وظائف محددة تتساند مع بقية الوظائف الأخرى في المجتمع لتحقيق التنمية، وأن محور اهتمام النسق هو العلاقات الاجتماعية والتفاعلات بين أجزائه، وتعتبر هذه التفاعلات من المكونات الأساسية للنسق، والذي يتكون من مجموعة من الأفراد يتفاعلون بعضهم مع بعض في مواقف له على الأقل مظهره وجانب فيزيقي أو بيئي، يدفعهم ميل كبير لتحقيق أقصى إشباع ممكن، وتحدد علاقاتهم بمواقفهم في حدود ونسق من الرموز المشتركة والمقررة ثقافياً⁽¹⁸⁾ ومن ثم فإن النسق ما هو إلا " وحدة مكونة من أجزاء ويؤدي كل جزء من أجزائها وظيفة معينة من شأنها الإسهام في تماسك الوحدة الشاملة"⁽¹⁹⁾ حيث يرى **جولدنر** أن النسق " مجموعة من العناصر أو الأجزاء تكشف عن علاقات متبادلة ببعضها، وكل عنصر يجب أن يحقق درجة من الاعتماد على العناصر الأخرى في نفس الوقت، ومن ثم يظهر داخل النسق ميل؛ لأن يحافظ كل جزء فيه على حدوده وميل؛ لأن يدمج الأجزاء إلى النسق ككل ويجعلها تتكامل معه"⁽²⁰⁾ في حين يرى "بارسونز" أن النسق له معنى محدد وهو الشبكة الكلية من التفاعل التي من خلالها يترابط فاعلان أو أكثر بحيث يؤثر كل منهما في سلوك الآخر، بحيث يسلك كل منهم بصورة جماعية بكل الطرق الممكنة"⁽²¹⁾ وهذا يعني بأن النسق يمثل " وحدة كلية تتكون من الأجزاء تحيطها الحدود، حيث تتبادل داخلها الطاقة الفيزيائية والعقلية والنفسية أكثر مما يحدث خارج الحدود" وله جانبان فالجانب الأول هو إن أي وحدة وظيفية يمكن النظر إليها على أنها نسق له أهدافه التي يسعى لتحقيقها، والجانب الثاني: أن كل نسق يتفرع إلى مجموعة من الأنساق الفرعية لها أهدافها ووظائفها التي تمكن النسق الكلي من تحقيق أهدافه ووظائفه"⁽²²⁾.

وبناء على ذلك فالمؤسسة التعليمية للخدمة الاجتماعية تمثل نسق كلي مفتوح يتكون من مجموعة أجزاء أو أنساق فرعية تؤثر وتتأثر مع الأجزاء الأخرى الفرعية، فهي ليست خلية تعليمية فحسب وإنما مجال ينتمي إليها الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والعاملين ؛ لتنظيم علاقاتهم الاجتماعية والتعليمية، من أجل تحقيق عدة أهداف، وكل مؤسسة تعليمية كنسق كلي بحاجة إلى نشاط وتفاعل الأنساق الفرعية الأخرى تجمع بينهم عدة أهداف، كما يخضعون وبدورهم لمجموعة من القواعد والقوانين واللوائح التنظيمية، حيث ينتج عن تفاعل هذه الأنساق الفرعية المختلفة مثل الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والمقررات الدراسية والمكتبات والإدارة التنظيمية، الاتصال الإيجابي قصد تبادل المعلومات والمعارف والخبرات والمهارات، مما يؤدي إلى تحقيق أهداف ووظيفة النسق الكلي والتي تنعكس آثاره الايجابية علي باقي الأنساق.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

نوع الدراسة: تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي تسعى الى الكشف عن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية والوصول الى معرفة علمية مبنية على دراسة الواقع وصولاً لمجموعة من التعميمات والتوصيات والمقترحات التي يمكن من خلالها تطوير مستوى جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية.

2- منهج الدراسة: استخدمت الباحثة المنهج الوصفي باعتباره المنهج المناسب لموضوعها وأهدافها، ويخدم متطلباتها البحثية المستهدفة.

3- مجالات الدراسة:

1- المجال المكاني : تم إجراء هذه الدراسة بأقسام الخدمة الاجتماعية في كل من:

كلية الآداب جامعة طرابلس، كلية الآداب، جامعة الزيتونة، كلية الآداب، بني وليد.

2-المجال البشري (مجتمع الدراسة) يتكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس بقسم الخدمة الاجتماعية جامعة طرابلس وأعضاء هيئة التدريس بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الزيتونة وبني وليد والبالغ عددهم "67" مفردة، وقد

استخدمت الباحثة أسلوب المسح الاجتماعي الشامل في هذه الدراسة، والجدول التالي يبين توصيف لمجتمع الدراسة.

جدول (1) توصيف مجتمع الدراسة .

ر. م	قسم الخدمة الإجتماعية	العدد	النسبة
1	كلية الآداب - جامعة طرابلس	44	65.7%
2	كلية الآداب - جامعة الزيتونة	16	23.9%
3	كلية الآداب - بني وليد	7	10.4%
	المجموع	67	100.0%

3- المجال الزمني: ثم جمع البيانات ميدانياً من مجتمع الدراسة خلال الفترة من تاريخ 9-1-2016 م وانتهت في 22-3-2016 م والتي استغرقت (63) يوماً.

4- أداة جمع البيانات: اعتمدت الباحثة في عملية جمع البيانات من وحدة الإهتمام على استمارة استبيان، ثم اعدادها وفقاً لمحاور فرضيات الدراسة.

5- الأساليب الاحصائية: قامت الباحثة باستخدام التكرارات والنسب المئوية، والوسط الحسابي، والانحراف المعياري، واختبار (T).

عرض نتائج الدراسة الميدانية:

1- التحقق من الفرضية العامة للدراسة التي مفادها: مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي المستوى الافتراضي للمعوقات كما يراها أعضاء هيئة التدريس.

وللتحقق من هذه الفرضية فقد تم حساب المتوسط الافتراضي لقياس مستوى المعوقات الذي يتضمن عدد (86 فقرة) والإجابة عليها تتراوح ما بين درجة والتي تعني بان مستوى المعوقات ضعيف وثلاث درجات والتي تعني أن مستوى المعوقات عالي ودرجتان والتي تعني أن مستوى المعوقات متوسط ومن ثم فقد حدد المتوسط الافتراضي لرأي كل مفردة من خلال متوسط درجة الإجابة على مجموع عدد الفقرات (86 فقرة × 2 متوسط درجات الفقرة)، وبذلك فإن المتوسط الافتراضي للمعوقات بشكل عام = 172.

واستخدمت الباحثة اختبار (t) للعينة الواحدة بمعلومية قيمة ثابتة "المتوسط الفرضي" لتحديد مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية كما يراها أعضاء هيئة التدريس.

ولتحديد آراء مفردات الدراسة حول مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية، فقد تم تصنيف الرأي على أساس الحصول على نسبة 75% فأكثر من مجموع الدرجات يكون التصنيف مستوى معوقات عالياً، والحصول على أقل من 75% إلى 50% من مجموع الدرجات يكون مستوى المعوقات متوسط، والحصول على أقل من 50% يكون مستوى المعوقات ضعيف كما هو مبين في الجدول التالي:

الدرجات	129 - 193	194 - 258
مستوى المعوقات	متوسطة	عالية

وللتحقق من صحة الفرضية الأساسية للدراسة فقد صاغت الباحثة الفرضية

الإحصائية التالية:

(H₀): مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي الوسط الفرضي للمعوقات.

(H₁): مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية لايساوي الوسط الفرضي للمعوقات.

وفيما يلي ما كشفت عنه نتائج الدراسة من نتائج للتحقق من هذه الفرضية:

الجدول (2) نتائج اختبار (t) للكشف عن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية.

القيمة الاختبارية = 172						
الوسيط الحسابي	الانحراف عن المتوسط	متوسط الفرق	مستوى الدلالة	درجة الحرية	t	الدلالة الإحصائية
188.821	3.614	16.921	0.000	66	4.654	دال إحصائياً

من الجدول (2) يتضح أن قيمة اختبار (t) (4.654) عند مستوى معنوية (0.000)، وبما أن مستوى الدلالة اصغر من (0.05) فإننا بذلك نرفض الفرضية العدمية القائلة، بأن متوسط درجات مؤشر قياس مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي المتوسط الفرضي لمستوى المعوقات، ونقبل بالفرضية البديلة القائلة بأن متوسط درجات مؤشر قياس مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية لا يساوي الوسط الفرضي لمستوى المعوقات، وتشير البيانات إلى أن مستوى المعوقات يزيد عن الوسط الفرضي بقيمة 16.820، وبذلك يمكن القول بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية أعلى من الوسط الفرضي للمعوقات .

ومما يؤكد هذه النتيجة البيانات الواردة في الجدول التالي لتوزيع مفردات مجتمع الدراسة حسب رأيهم نحو مستوى المعوقات كما هو مبين في الجدول التالي.

الجدول (3) توزيع مفردات مجتمع الدراسة حسب آرائهم لمستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية.

مستوى المعوقات وتناهيها الاجداد	ك	%
ضعيف	3	4.5
متوسط	25	37.3
عالي	39	58.2
المجموع	67	100.0

تشير النتائج في الجدول (3) إلى أن (58.2%) من مجموع مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية كان عاليا في حين يرى (37.3%) من مجتمع الدراسة بان مستوى المعوقات كان متوسطا، بينما الذين يرون بأن مستوى المعوقات ضعيف ما نسبته (4.5%) فقط، مما يعنى بان غالبية مجتمع الدراسة يرى أن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق الجودة في

العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية مرتفعا، مما يتطلب الاهتمام بالعملية التعليمية بشكل عام والعمل على الحد من العوامل التي تحد من تحقيق مستوى عال من الجودة حتى تحقق العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية أهدافها.

2-التحقق من الفرضية الفرعية الأولى للدراسة مفادها: مستوى وجود المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي المستوى الافتراضي للمعوقات كما يراها أعضاء هيئة التدريس.

ولتحقق من هذه الفرضية فقد تم حساب المتوسط الافتراضي لقياس مستوى المعوقات والتي ترتبط بالجانب النظري في العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية الذي يتضمن عدد (54 فقرة)، والإجابة عليها تتراوح ما بين درجة والتي تعنى بأن مستوى المعوقات ضعيف وثلاث درجات والتي تعنى مستوى عالي ودرجتان والتي تعنى مستوى متوسط ومن تم فقد حدد المتوسط الافتراضي لرأي كل مفردة من خلال متوسط درجة الإجابة علي مجموع عدد الفقرات (54 فقرة × 2 متوسط درجات الفقرة) وبذلك فإن المتوسط الافتراضي للمعوقات بشكل عام = 108 .

واستخدمت الباحثة اختبار (t) للعينة الواحدة بمعلومية قيمة ثابتة "المتوسط الفرضي" لتحديد مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية كما يراها أعضاء هيئة التدريس.

ولتحديد آراء مفردات الدراسة حول مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية، فقد تم تصنيف الرأي على أساس الحصول على نسبة 75% فأكثر من مجموع الدرجات يكون التصنيف مستوى معوقات عاليا، والحصول على أقل من 75% إلى 50% من مجموع الدرجات يكون مستوى المعوقات متوسط، والحصول على أقل من 50% يكون مستوى المعوقات ضعيف كما هو مبين في الجدول التالي:

162 - 122	121 - 81	80 - 54	الدرجات
عالية	متوسطة	ضعيفة	مستوى المعوقات

وللتحقق من صحة الفرضية الأساسية للدراسة فقد صاغت الباحثة الفرضية الإحصائية التالية:

(Ho) : مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي الوسط الفرضي للمعوقات.
(HI) مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية لا يساوي الوسط الفرضي للمعوقات.

وفيما يلي ما كشفت عنه الدراسة من نتائج للتحقق من هذه الفرضية:

الجدول (4) نتائج اختبار (t) للكشف عن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية.

القيمة الاختبارية = 108					
الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الفرق	مستوى الدلالة	درجة الحرية	t
121.0896	18.46596	13.089	0.000	65	5.802
دال إحصائيا					

من الجدول (4) يتضح أن قيمة (t) تساوي (5.802) عند مستوى معنوية (0.000) وبما أن مستوي الدلالة أصغر من (0.05) فإننا نرفض الفرضية الصفرية (Ho) القائلة بأن "مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي الوسط الفرضي للمعوقات" ونقبل بالفرضية البديلة (HI) القائلة بأن "مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية لا يساوي الوسط الفرضي للمعوقات".

وتشير البيانات إلى أن مستوى المعوقات يزيد عن الوسط الفرضي بقيمة (13.089) وبذلك يمكن القول بأن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في الجانب النظري أعلى من الوسط الفرضي للمعوقات.

ومما يؤكد هذه النتيجة البيانات الواردة في الجدول التالي لتوزيع مفردات مجتمع الدراسة حسب رأيهم حول مستوى المعوقات في جانبها النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية كما موضح في الجدول التالي:

الجدول (5) توزيع مفردات مجتمع الدراسة حسب آرائهم لمستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية.

مستوى المعوقات والتأهيل الاتجاه	ك	%
ضعيف	2	3.0
متوسط	28	41.8
عالي	37	55.2
المجموع	67	100.0

تشير النتائج في الجدول (5) أن (55.2%) من مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية كان عالياً، في حين يرى (41.8%) من إجمالي مجتمع الدراسة بأن مستوى المعوقات كان متوسطاً بينما الذين يرون بأن مستوى المعوقات ضعيف ما نسبته (3.0%) مما يعني بأن غالبية مجتمع الدراسة يري بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها النظري مرتفعاً، مما يتطلب الاهتمام بجودة الجانب النظري، لتعكس آثارها الايجابية على الجانب التطبيقي، مما يساعد على تخريج طلاب على قدر مناسب من الجودة.

كما اهتمت الدراسة بالكشف عن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها النظري حسب العناصر المشتركة فيه وجاءت النتائج كما يلي:-

الجدول (6) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية وترجع للقسم:

مستوى المعوقات الاتجاه	ك	%
ضعيف	1	1.5
متوسط	6	9.0
عالي	60	89.6
المجموع	67	100.0

تشير البيانات الموضحة في الجدول (6) بأن المستوى الضعيف من المعوقات شكل ما نسبته 1.5% وشكل المستوى المتوسط من المعوقات 9.0% في حين شكل المستوى العالي من المعوقات ما نسبته 89.6%. يتبين من ذلك أن المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع للقسم كانت في المستوى العالي .

وقد يفسر ذلك أن أقسام الخدمة الاجتماعية تعاني من نقص في امكانياتها سواء فيما يتعلق بالمبني الدراسي ومدى ملاءمة للبرنامج التعليمي كالقاعات الدراسية والمكاتب وأماكن للمناقشات العلمية والاجتماعات، عدم توفر برمجيات حاسوب تخدم الطلاب، مما سيزيد آثاراً سلبية على جودة العملية التعليمية .

الجدول (7) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري

لطلاب الخدمة الاجتماعية وترجع عضو هيئة التدريس.

مستوى المعوقات	ك	%
ضعيف	12	17.9
متوسط	22	32.8
عالي	33	49.3
المجموع	67	100.0

تشير البيانات الموضحة في الجدول (7) بأن المستوى الضعيف من المعوقات التي ترجع لعضو هيئة التدريس شكل ما نسبته 17.9% وشكل المستوى المتوسط من المعوقات 32.8% في حين شكل المستوى العالي من المعوقات ما نسبته 49.3%، يتبين من ذلك أن المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع لعضو هيئة التدريس كانت في المستوى العالي.

ومن ثم فالاهتمام بالتنمية العلمية لعضو هيئة التدريس عن طريق الاشتراك في المؤتمرات العلمية وعقد الندوات والقيام بالبحوث والدراسات، سيساهم في تبادل الخبرات

بين الأكاديميين والممارسين في مجالات التخصص، مما ينعكس إيجابياً على جودة عضو هيئة التدريس في العملية التعليمية للخدمة الاجتماعية.

الجدول (8) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري

لطلاب الخدمة الاجتماعية وترجع للمنهج الدراسي.

مستوى المعوقات والتأهيل الاتجاه	ك	%
ضعيف	12	17.9
متوسط	28	41.8
عالي	27	40.3
المجموع	67	100.0

تشير البيانات الموضحة في الجدول (8) بأن المستوى الضعيف من المعوقات التي ترجع للمنهج الدراسي شكل ما نسبته 17.9% وشكل المستوى المتوسط من المعوقات 41.8% في حين شكل المستوى العالي من المعوقات ما نسبته 40.3% . يتبين من ذلك أن المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع للمنهج الدراسي كانت في المستوى العالي.

وقد يفسر ذلك قلة توفر الكتب والمراجع والإصدارات العلمية التي ترتبط بمهنة الخدمة الاجتماعية والتي تحتوي على المعارف المعاصرة والمعلومات الحديثة التي تلبي المهام المهنية وتتيح الفرصة لطلابها تطبيقها في الممارسة المهنية .

الجدول (9) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري

لطلاب الخدمة الاجتماعية وترجع للطلاب

مستوى المعوقات والتأهيل الاتجاه	ك	%
ضعيف	2	3.0
متوسط	22	32.8
عالي	43	64.2
المجموع	67	100.0

توضح البيانات المبينة في الجدول (9) بأن المستوى الضعيف من المعوقات التي ترجع للطلاب شكل ما نسبته 3.0% وشكل المستوى المتوسط من المعوقات 32.8% في حين شكل المستوى العالي من المعوقات ما نسبته 64.2%. . يتبين من ذلك ان المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع للطلاب كانت في المستوى العالي . وقد يرجع ذلك إلى عدم الاهتمام باختيار طلاب الخدمة الاجتماعية وفق أسس ومعايير الجودة فالتحقق من وجود دافعية وحماة لدراسة الخدمة الاجتماعية قد يساهم بشكل فعال في تحقيق جودة مخرجات مهنة الخدمة الاجتماعية .

3-التحقق من الفرضية الفرعية الثانية للدراسة التي مفادها: مستوى وجود المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي المستوى الافتراضي للمعوقات كما يراها أعضاء هيئة التدريس .

وللتحقق من هذه الفرضية فقد تم حساب المتوسط الافتراضي لقياس مستوى المعوقات والتي ترتبط بالجانب الميداني في العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية الذي يتضمن عدد (32 فقرة)، والإجابة عليها تتراوح ما بين درجة والتي تعنى بأن مستوى المعوقات ضعيف وثلاث درجات والتي تعنى مستوى المعوقات عالي ودرجتان والتي تعنى مستوى متوسط، ومن تم فقد حدد المتوسط الافتراضي لرأي كل مفردة من خلال متوسط درجة الإجابة علي مجموع عدد الفقرات (32 فقرة × 2 متوسط درجات الفقرة) وبذلك فان المتوسط الافتراضي للمعوقات المرتبطة بالجانب الميداني (التطبيقي) والتي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية = 64 .

ولتحديد أراء مفردات الدراسة حول مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية ،فقد تم تصنيف الرأي على أساس الحصول على نسبة 75% فأكثر من مجموع الدرجات يكون التصنيف مستوى معوقات عاليا والحصول على أقل من 75% إلى 50% من مجموع الدرجات يكون مستوى المعوقات متوسط والحصول على أقل من 50% يكون مستوى المعوقات ضعيف كما هو مبين في الجدول التالي:

الدرجات	47 - 32	71 - 48	96 - 72
مستوى المعوقات	ضعيفة	متوسطة	عالية

وقد استخدمت الباحثة اختبار (t) للعينة الواحدة بمعلومية قيمة ثابتة "المتوسط الفرضي" لتحديد مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب الميداني (التطبيقي) لطلاب الخدمة الاجتماعية كما يراها أعضاء هيئة التدريس. وللتحقق من هذه الفرضية فقد صاغت الباحثة الفرضية الإحصائية التالية:

(Ho) : مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق الجودة الشاملة للعملية التعليمية في الجانب الميداني (التطبيقي) لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي الوسط الفرضي للمعوقات.

(H1) مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق الجودة الشاملة للعملية التعليمية في الجانب الميداني (التطبيقي) لطلاب الخدمة الاجتماعية لا يساوي الوسط الفرضي للمعوقات.

وفيما يلي ما كشفت عنه الدراسة من نتائج للتحقق من هذه الفرضية :

الجدول (10) نتائج اختبار (t) للكشف عن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق الجودة الشاملة للعملية التعليمية في الجانب الميداني (التطبيقي) لطلاب الخدمة الاجتماعية.

القيمة الاختبارية = 64						
الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الفرق	مستوى الدلالة	درجة الحرية	t	الدلالة الإحصائية
67.733	12.0880	3.731	0.021	66	2.372	دال إحصائياً

من الجدول (10) يتضح أن قيمة (t) تساوي (2.372) عند مستوى معنوية (0.021) وبما أن مستوى الدلالة أصغر من (0.05) فإننا نرفض الفرضية الصفرية (Ho) القائلة بأن "مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية يساوي الوسط الفرضي للمعوقات" ونقبل بالفرضية البديلة (H1) القائلة بأن "مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق الجودة الشاملة للعملية التعليمية في الجانب الميداني (التطبيقي) لطلاب الخدمة الاجتماعية لا يساوي الوسط الفرضي للمعوقات".

وتشير البيانات إلي أن مستوى المعوقات يزيد عن الوسط الفرضي بقيمة (3.731) وبذلك يمكن القول بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في جانبها الميداني أعلى من الوسط الفرضي .
ومما يؤكد هذه النتيجة البيانات الواردة في الجدول التالي لتوزيع مفردات مجتمع الدراسة حسب رأيهم نحو مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها التطبيقي لطلاب الخدمة الاجتماعية كما هو مبين في الجدول التالي.
الجدول (11) توزيع مفردات مجتمع الدراسة حسب آرائهم لمستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية.

مستوى المعوقات والتأهيل الاتجاه	ك	%
ضعيف	8	11.9
متوسط	27	40.3
عالي	32	47.8
المجموع	67	100.0

تشير النتائج في الجدول (11) إلى أن (47.8%) من إجمالي مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها التطبيقي كان عالياً، في حين يرى (40.3%) من إجمالي مجتمع الدراسة بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي متوسط، بينما الذين يرون بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي منخفض ما نسبته (11.9%) فقط .

مما يعني بأن غالبية مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها التطبيقي مرتفعاً .

وقد يرجع ذلك إلى تولي تدريب الطلاب مشرفين أكاديميين بطريقتهم وأسلوبهم الخاص وبناءً على اجتهادات شخصية وطرق تقليدية دون وجود خطة أو منهج موحد ومحدد يربط بين الجوانب النظرية بالممارسة المهنية.

كما اهتمت الدراسة بالكشف عن مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في جانبها الميداني حسب العناصر المشتركة فيه وكانت نتائج كما يلي:-

الجدول (12) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب التطبيقي وترجع للمشرف الأكاديمي

مستوى المعوقات والتأهيل الاتجاه	ك	%
ضعيف	7	10.4
متوسط	26	38.8
عالي	34	50.7
المجموع	67	100.0

تشير النتائج المبينة في الجدول (12) إلى أن (50.7%) من إجمالي مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع للمشرف الأكاديمي كان عالياً، في حين يرى (38.8 %) من إجمالي مجتمع الدراسة بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي متوسط، بينما الذين يرون بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي منخفض ما نسبته (10.4%) فقط .

وقد يفسر ذلك قلة الخبرة المهنية لبعض مشرفو التدريب الميداني مما قد يصعب قيامهم بتوجيه وإرشاد الطلاب وأداء أدوارهم المهنية.

الجدول (13) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب التطبيقي وترجع للمشرف المؤسسي.

مستوى المعوقات والتأهيل	ك	%
ضعيف	10	14.9
متوسط	21	31.3
عالي	36	53.7
المجموع	67	100.0

تشير النتائج المبينة في الجدول (13) إلى أن (53.7%) من إجمالي مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع للمشرف المؤسسي كان عالياً، في حين يري (31.3%) من إجمالي مجتمع الدراسة بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي متوسط، بينما الذين يرون بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي منخفض ما نسبته (14.9%) فقط .

وقد يفسر ذلك إلى انشغال مشرفي المؤسسات بالأعمال الإدارية مما يمنعهم من متابعة وتوجيه الطلاب المتدربين، وعدم وجود حوافز للمشرف المؤسسي .

الجدول (14) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب التطبيقي

وترجع لمؤسسة التدريب .

مستوى المعوقات والتأهيل الاتجاه	ك	%
ضعيف	7	10.4
متوسط	25	37.3
عالي	35	52.2
المجموع	67	100.0

تشير النتائج المبينة في الجدول (14) إلى أن (52.2%) من إجمالي مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع لمؤسسة التدريب كان عالياً في حين يري (37.3%) من إجمالي مجتمع الدراسة بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي متوسط، بينما الذين يرون بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي منخفض ما نسبته (10.4%) فقط .

وقد يرجع ذلك إلى عدم إدراك تلك المؤسسات واقتناعها بطبيعة مفاهيم وأهداف وأساليب دور عناصر التدريب الأساسية، مما قد يؤثر على تقليل كفاءة العملية التدريبية في إعداد طلاب الخدمة الاجتماعية واكسابهم المهارات المهنية.

الجدول (15) مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب التطبيقي وترجع للطالب المتدرب.

مستوى المعوقات والتأهيل الاتجاه	ك	%
ضعيف	13	19.4
متوسط	26	38.8
عالي	28	41.8
المجموع	67	100.0

تشير النتائج المبينة في الجدول (15) إلى أن (41.8%) من إجمالي مجتمع الدراسة يرون بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية وترجع للطالب المتدرب كان عالياً في حين يري (38.8%) من إجمالي مجتمع الدراسة بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي متوسط، بينما الذين يرون بأن مستوى المعوقات في الجانب التطبيقي منخفض ما نسبته (19.4%) فقط .

وقد يرجع ذلك إلى تكاسل بعض الطلاب في إعداد خطة التدريب وإنشغال بعضهم بالمقررات الدراسية النظرية على حساب التدريب الميداني أو عدم التزامهم بالمواعيد المحددة للتدريب وأنظمة ولوائح مؤسسات التدريب الميداني .

النتائج العامة للدراسة:

1- كشفت نتائج الدراسة رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة القائلة بان متوسط درجات مؤشر قياس مستوى المعوقات التي قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية لا يساوي الوسط الفرضي لمستوى المعوقات ،وتشير البيانات إلى أن مستوى المعوقات يزيد عن الوسط الفرضي بقيمة 16.820 ،وبذلك يمكن القول بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية أعلى من الوسط الفرضي للمعوقات .

2- أثبتت الدراسة باستخدام اختبار (t) للكشف عن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب النظري لطلاب الخدمة الاجتماعية، أن مستوى المعوقات يزيد عن الوسط الفرضي بقيمة (13.089) وبذلك فإن مستوى المعوقات التي

قد تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في الجانب النظري أعلى من الوسط الفرضي للمعوقات.

3- أكدت نتائج الدراسة باستخدام اختبار (t) للكشف عن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية في الجانب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية، قبول الفرضية البديلة (H1) القائلة بأن "مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق الجودة الشاملة للعملية التعليمية في الجانب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية لايساوي الوسط الفرضي للمعوقات.

وأشارت البيانات إلى أن مستوى المعوقات يزيد عن الوسط الفرضي بقيمة (3.731) وبذلك يمكن القول بأن مستوى المعوقات التي تحد من تحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية في جانبها الميداني أعلى من الوسط الفرضي.

توصيات الدراسة:

1- تقنين إجراءات اختيار الطلاب المتقدمين لدراسة الخدمة الاجتماعية، وإجراء اختبارات ومقابلات شخصية على جميع المستويات العلمية (الليسانس الماجستير، والدكتوراه).

2- ضرورة الاهتمام بتطوير المناهج التي تدرس في مجال الخدمة الاجتماعية بما يتناسب مع واقع المجتمع الليبي لتحقيق جودة أفضل لمخرجات عملية تعليم الخدمة الاجتماعية.

3- ربط الجانب النظري بالجانب التطبيقي وتضييق الفجوة بينهم لتحقيق أهداف تعليم الخدمة الاجتماعية.

4- ضرورة تنظيم مؤتمرات وندوات علمية دورية للتعاون وتبادل الخبرات بين الأكاديميين في الدول العربية والأجنبية في مختلف مجالات وطرق مهنة الخدمة الاجتماعية لإيجاد رؤى مشتركة لجودة العملية التعليمية للخدمة الاجتماعية.

5- تنظيم وإعداد دورات تدريبية لمشرفي التدريب الميداني بهدف تحديث معلوماتهم وإطلاعهم على كل ما هو جديد في مجال الإشراف وعرض للنظريات والمداخل العلمية الحديثة.

6- ضرورة قيام جميع اقسام الخدمة الاجتماعية بالجامعات الليبية باتخاذ اجراءات لتحقيق جودة العملية التعليمية لطلاب الخدمة الاجتماعية وذلك بإنشاء آليات الجودة الاعتماد، وقيام تلك الأقسام بتشكيل لجان لتنفيذ تلك البرامج، ووضع توصيف للمناهج لتحقيق أهداف ونتائج تعليمية معرفية ومهارية وقيمية وتحديد طرق التدريس والتقييم لتحقيق الجودة في الأعداد النظري والتطبيقي لكافة مستويات الاعداد.

الهوامش:

- 1- ناهد رمزي وآخرون، العدالة الاجتماعية في التعليم، المجلد الأول، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، 2002، ص 37 .
- 2- محمد محمود عويس : مؤشرات تطوير تعليم الخدمة الاجتماعية، بحث منشور، المؤتمر العلمي الأول، الخدمة الاجتماعية وقضايا الإصلاح، بور سعيد، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 2005، ص77.
- 3 - ناهد عباس حلمي، تعليم خدمة الفرد في المجتمعات النامية، بحث منشور في مجلة الخدمة الاجتماعية، العدد 13، القاهرة، الجمعية العربية للأخصائيين الاجتماعيين، 1989، ص 78 .
- 4- عرفان زيدان خليل، تعليم الخدمة الاجتماعية ومستقبل الرعاية الاجتماعية في مصر، بحث منشور، المؤتمر السنوي الحادي عشر، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة القاهرة، فرع الفيوم، 2000، ص55 .
- 5- نصر الدين محمد أبو غمجة، الإعداد المهني للأخصائيين الاجتماعيين، دراسة تقييمية لكليات ومعاهد الخدمة الاجتماعية بمدينة طرابلس، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة طرابلس، كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية طرابلس، 1997، ص 198 .
- 6- عبد السلام محمد القشطي، نشأة وتطور تعليم الخدمة الاجتماعية في ليبيا ودوره في توطين مهنة الخدمة الاجتماعية (دراسة تاريخية توثيقية خلال الفترة من 1964 – 2010) رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الخدمة الاجتماعية بمدرسة العلوم الإنسانية، أكاديمية الدراسات العليا، جنزور، 2011، ص165.
- 7- المعجم الوجيز، المطابع الأميرية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1993، ص441.
- 8- إبراهيم ياسين : المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1985، ص60.
- 9- زغلول عباس حسين، المعوقات التي تواجه مشرفي التدريب الميداني، المؤتمر العلمي الرابع عشر، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، 2001، ص 61 .

- 10- محمد رفعت قاسم، عبد العظيم فرماوي، الخدمة الاجتماعية المدرسية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2005، ص49.
- 11- رشاد احمد عبد اللطيف، تنظيم المجتمع وقضايا العولمة، مداخل مهنية ونظريات عملية، دار المهندس للطباعة، القاهرة 2005، ص239 .
- 12- عصام الدين نوفل، ضبط الجودة الكلية وتطبيقاتها في مجال التربية، مجلة التربية، مركز البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية الكويتية، العدد30، 2009، ص100.
- 13- مصطفى محمود احمد، نحو تصور مقترح لدور الخدمة الاجتماعية في ضوء معايير الرعاية الاجتماعية الصحية بالريف، بحث منشور، المؤتمر العلمي التاسع عشر، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2006، ص965 .
- 14- محمد كامل شرقاوي، جودة البناء المعرفي لطريقة خدمة الجماعة، المؤتمر العلمي التاسع عشر، جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية القاهرة، 2006، ص10.
- 15-الناصر عبد الحميد أبو بكر، أهمية دور المتعلم في إنجاح العملية التعليمية، مجلة كلية التربية، العدد23، جامعة طرابلس، ص214، 1999.
- 16- محمد أشرف السعيد أحمد، الجودة الشاملة والمؤشرات في التعليم الجامعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص74، 2007 .
- 17- الفاروق زكي يونس، الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، 1978، ص14 .
- 18-محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص47.
- 19- سلوى عثمان الصديقي، منهاج الخدمة الاجتماعية في المجال المدرسي ورعاية الشباب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2013، ص57 .
- 20- محمد عويس، خالد عبد الفتاح، إدارة المنظمات الاجتماعية (رؤية معاصرة) ط6، مطبعة الكوثر، القاهرة، 2006، ص59.

- 21 - جي روشة، دراسة أعمال تالكوتبارسونز، ترجمة محمد الجوهري، أحمد زيد، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 67.
- 22 - ماهر أبو المعاطي علي، الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، (أسس نظرية ونماذج تطبيقية) مرجع سابق، ص 289 .

مسؤولية أوروبا التاريخية عن بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية من إفريقيا إلى أوروبا

أ. مفتاح عمر محمد دريل

جامعة الزاوية

توطئة :

للقارة الإفريقية شخصية فريدة تميزها عن غيرها من قارات العالم، وذلك لما تمثله من أهمية اقتصادية وبشرية وجيوستراتيجية هامة، ونتيجة منطقية لتلك الأهمية فقد تعرضت إفريقيا إلى هجمة استعمارية شرسة من جانب الأوروبيين، استهدفت استنزاف ثرواتها الطبيعية والبشرية على حد سواء وقد اشتدت وتيرة تلك الهجمة بعد الانتهاء من جلسات مؤتمر برلين 1885/84م، الذي أقر ما يعرف بسياسة الباب المفتوح، والتي أعطت الضوء الأخضر للأوروبيين للبدء في عملية التسابق لامتلاك القارة الإفريقية مستثنين في ذلك على الشرعية الدولية المبنية على مبدأ التقاسم التي أقرها ذلك المؤتمر من ناحية، وعلى تأكيد الأوروبيين من خلو القارة الإفريقية من السلاح من ناحية أخرى.

وقد نتج عن كل ما قامت به الدول الأوروبية من سلوكيات داخل مستعمراتها إبان المرحلة الاستعمارية، سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي والاجتماعي، نتج عنها معاناة سياسية للقارة تمثلت في عدم الاستقرار السياسي، ومعاناة اقتصادية تمثلت في انتشار البطالة والفقر والبؤس ومعاناة ثقافية تمثلت في ضياع الهوية الإفريقية والتخبط في استيراد الثقافات الأوروبية ونتيجة للقرب الجغرافي بين القارتين الإفريقية والأوروبية، فإن هذا الإرث لا بد وأن تنتقل عدواه إلى القارة الأوروبية، وهذا يعني في مضمونه أنه إذا ما فقد الاستقرار السياسي داخل إفريقيا، فإن الاستقرار السياسي الأوروبي سوف يكون هو الآخر مهدداً، وأيضاً إذا ما انتشرت المجاعات وعم الفقر داخل القارة الإفريقية فإن الاقتصاد الأوروبي سوف يكون عرضة للتأثر بل وربما للانهايار، ومن هذا المنطلق بدأت تظهر العديد من الانعكاسات السلبية لذلك الإرث البغيض على الدول الأوروبية ذاتها،

وذلك من خلال بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية من الجنوب إلى الشمال، وما ارتبط بها من ظواهر أخرى كالإرهاب والعنف والجريمة المنظمة بمختلف أشكالها وأصنافها. ومن هذا المنطلق فقد أصبحت أوروبا مؤخرا ترى في هذه الظاهرة خطرا حقيقيا يهدد أمنها واستقرارها بشكل مباشر، كما أنها أصبحت خطرا يهدد بناءها الديموغرافي أيضا، ذلك أن استمرار تدفق المهاجرين إليها سيؤدي بالضرورة إلى قلب موازين عملية التوازن السكاني، حيث أضحت تزايد عدد المهاجرين يهدد بشكل فعلي كيان السكان الأصليين، كما أنها باتت تمثل تهديدا صريحا لكل النواحي الأمنية داخل البلدان الأوروبية، ذلك أن المهاجرين غير القانونيين ليس لديهم في الغالب أي وثائق تثبت هويتهم، فهم غالبا ما يقومون بتمزيق وثائقهم الرسمية بمجرد وصولهم إلى الدول التي يقصدونها ويضاف إلى ذلك أنهم غير مسجلين لدى السلطات الأوروبية، وهؤلاء قد يرتكبون أي نوع من الجرائم ومن ثم يصعب الوصول إليهم وحصرهم، كما أنهم يشكلون تهديدا صريحا للحياة الاقتصادية لدول الاستقبال، فعلى الرغم من كون هؤلاء يسهمون عادة في توفير الأيدي العاملة الرخيصة، إلا أن هذه الميزة هي في حد ذاتها تعد مشكلة حقيقية لدى الدول المستقبلية، فقد أصبحت هذه العمالة تمثل منافسا قويا للعمالة الأوروبية، إضافة إلى أنها سوف تؤدي إلى تزايد نشاط السوق السوداء لليد العاملة وكذلك التهرب الضريبي، كذلك تتسبب هذه الهجرات في مشاكل خارجية للدول الأوروبية في علاقاتها مع الدول المصدرة للهجرة أو تلك التي يعبرون منها، وهناك مسألة أخرى غدت حاجسا مقلقا لأوروبا وهي بروز ظاهرة الإرهاب وارتباطها بالجاليات المهاجرة .

وبعد انفجار الوضع في المنطقة العربية، وظهر ما عرف بثورات الربيع العربي في بعض هذه الدول وانتشار الفوضى داخلها، وذلك كنتيجة طبيعية لانتشار السلاح وظهور التنظيمات الإرهابية التي وجدت لها مكانا خصبا لتنمو فيه وتزدهر، فقد انفتحت الحدود لبعض هذه البلدان على مصراعيها، الأمر الذي شجع تجار البشر لتكثيف جهودهم في نقل المهاجرين غير القانونيين من إفريقيا إلى أوروبا، وقد حملت الدول الأوروبية المسؤولية كاملة في بروز هذه الظاهرة لدول المصدر ودول العبور، في حين أنها ترى في نفسها

ضحية مباشرة لفساد الأوضاع في تلك البلدان، على اعتبار أن أوروبا ستكون مجبرة على تحمل تبعات هذا الداء الذي إن تمكن منها فسكون كلفة استئصاله باهضة. أهمية البحث: إن بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية من إفريقيا إلى أوروبا يمثل نقطة تحول غير مسبوق في تاريخ العلاقات الأوروبية الإفريقية، ذلك أن أوروبا في الآونة الأخيرة أصبحت ترى في هذه الظاهرة خطراً حقيقياً يهدد أمنها واستقرارها بشكل مباشر، وبخاصة بعد بروز ظاهرة الإرهاب وارتباطها بالجاليات المهاجرة وبالأخص الإسلامية منها.

وتبرز أهمية هذه الدراسة من خلال تسليطها الضوء حول مسؤولية أوروبا المباشرة عن بروز هذه الظاهرة، وذلك عبر استعمارها لإفريقيا فترة طويلة، اتبعت فيها العديد من السياسات المريعة، والتي جعلت من القارة الغنية اقتصادياً وبشرياً من أفقر قارات العالم، الأمر الذي ترتب عليه جملة من الآثار التي أنهكت القارة سياسياً وأمنياً واقتصادياً واجتماعياً، والذي نتج عنه في المحصلة بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية كحل بديل للمهاجرين في بحثهم عن الأمان والرفاه المفقود في بلدانهم.

أهداف البحث:

- 1 – محاولة إظهار العلاقة بين المشكلات التي تعاني منها القارة الإفريقية، وبين بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية.
 - 2 – محاولة تحديد من هي الجهات المسؤولة فعلياً عن بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية .
 - 3 – تركيز الدراسة على أهم سياسات الدول الأوروبية داخل القارة الإفريقية إبان المرحلة الاستعمارية والتي كانت السبب المباشر للمعاناة الإفريقية اليوم.
 - 4 – تسعى الدراسة لتوضيح الطول الحقيقية للحد من هذه الظاهرة بل وربما إنهاؤها.
- حدود البحث في الزمان والمكان:** بما إن الدراسة ترى في أن أوروبا هي المتسبب الرئيسي في بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية عبر استعمارها لإفريقيا مدة ليست بالقصيرة، رأينا انه لا بد من التعرّيج تاريخياً على مرحلة الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، وذلك لإظهار السياسات الاستعمارية داخل هذه القارة، ذلك أن ظاهرة الهجرة غير

القانونية لم تكن وليدة لحظتها، وإنما كانت بمثابة امتداد طبيعي لتلك السياسات، كما تعرج الدراسة على فترة بدايات ظهور هذه الظاهرة خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، وأيضا مرحلة بلوغها ذروتها ابتداء من عام ألفان وأحد عشر ووصولاً إلى اليوم، أما فيما يخص حدود الدراسة من حيث المكان فهي تركز بشكل عام على كل من إفريقيا وأوروبا، ذلك أن إفريقيا تمثل مكان المصدر وكذلك العبور للمهاجرين غير القانونيين، وأوروبا تمثل مكان الاستقبال لهم .

إشكالية البحث: السؤال الذي يطرح نفسه في هذه الدراسة هو: من هو المتسبب الفعلي لبروز ظاهرة الهجرة غير القانونية؟ هل هو وضع فرضته الظروف الطبيعية؟ أم هو وضع فرضته سياسات الحكومات المحلية الفاشلة للدول الطاردة وعدم قدرتها على تنمية بلدانها؟ وإذا كانت الإجابة هنا تتلخص في وجود خلل فعلي لا ينكره أحد لدى الحكومات المحلية جعلها تابعة لحكومات دول كبرى، عبر ربط مصالحها بمصالح تلك الدول والذي كانت نتيجته الحتمية عدم جدية تلك الحكومات في تنمية بلدانها تنمية مستدامة يكفل فيها المواطن الإفريقي سبل العيش الكريم. فهناك سؤال جوهري يطرح نفسه هنا، وهو من هو المسؤول الأول عن تردي حالة إفريقيا برغم إنها من أغنى قارات العالم؟

فرضية البحث: إن السياسات التي اتبعتها الدول الأوروبية في إفريقيا إبان المرحلة الاستعمارية نتج عنها جملة من الآثار السلبية التي انعكست على كل أجزاء القارة وبدون استثناء، الأمر الذي ترتب عليه تخلف القارة في كل المجالات وعلى كافة المستويات، وقد أصبحت تلك النتائج تنعكس سلباً ليس فقط على الواقع الإفريقي فقط، وإنما تعدته لتلامس الواقع الأوروبي أيضاً، حيث أصبح أمن واستقرار أوروبا هو الآخر مهدداً بالانهيار، وذلك كنتيجة منطقية لتشابك العلاقات الدولية من ناحية، وللقرب الجغرافي بين القارتين من ناحية أخرى، وبخاصة بعد بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية من إفريقيا إلى أوروبا، وارتباط هذه الظاهرة بجملة من الظواهر السلبية الأخرى كالإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للحدود.. الخ، ومن هذا المنطلق وجب على كل من إفريقيا وأوروبا ضرورة العمل المشترك للحد من استفحال هذه الظاهرة وذلك عبر جبر الضرر وتناسي الماضي، وأيضا

البحث عن السبل المثلى للتعايش السلمي بين الجانبين والمبني على علاقات التعاون والعلاقات الندية بينهما، بدلا من النظرة الدونية من الجانب الأوروبي لإفريقيا.

منهجية البحث: من خلال البحث والدراسة تبين أنه لا بد من توظيف أكثر من منهج ومدخل في هذا الميدان، حيث ستعتمد الدراسة بالأساس على المدخل التاريخي الذي يتناول بالعرض السياسات الأوروبية داخل القارة الإفريقية إبان المرحلة الاستعمارية، كما سيتعين علينا الاستفادة من المنهج الوصفي لوصف وبيان حقيقة تلك السياسات والممارسات، وكذلك سيكون لزاما علينا الاستفادة من المنهج التحليلي بغرض تحليل وتجزئة المادة قيد الدراسة، وذلك بغية التوصل إلى نتائج دقيقة تساعد على توجيه اللوم لبروز هذه الظاهرة على الجانب الأوروبي، واعتبار أوروبا هي المسؤول الأول تاريخيا عن بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية.

أولا - مفهوم الهجرة غير القانونية وأسبابها:

1 - مفهوم الهجرة غير القانونية: يمكن تعريف الهجرة غير القانونية أو غير الشرعية أو السرية أو غير النظامية بأنها : السفر من دولة إلى أخرى بشكل غير قانوني، أي من دون التزام بقوانين أو أعراف البلد التي يريد المهاجر دخولها كتأشيرة الدخول التي تسمح له بدخول هذه الدولة أو تلك، وكذلك دخول المهاجر إلى دولة ما بواسطة التأشيرة لغرض الزيارة، ومن ثم قيامه بالعمل في ذلك البلد وعدم مغادرتها بعد انتهاء فترة إقامته، وهذا الأمر يختلف باختلاف مقاييس الدول وقوانينها.

"والهجرة غير القانونية ليست حديثة العهد بل كانت قد بدأت منذ ستينيات القرن الماضي، وهي لم تكن تشكل جريمة لدى الدول الأوروبية حتى أواخر تلك الحقبة، نظرا إلى حاجة أوروبا إلى الأيدي العاملة بغية إعادة بناء ما أتت عليه الحرب العالمية الثانية 1945/1939م، ومن قبلها الأولى 1918/1914م ولكن مع أوائل السبعينيات شعرت الدول الأوروبية نسبيا بالافتقار الذاتي من الأيدي العاملة، مما جعلها تتبنى إجراءات قانونية تهدف إلى الحد من هذه الظاهرة، الأمر الذي استحال معه هجرة أعداد كبيرة ممن لديهم الرغبة الفعلية في الانتقال إلى أوروبا كحل بديل لتردي الأوضاع في بلدانهم"⁽¹⁾.

- 2 – أسباب الهجرة غير القانونية: هناك الكثير من الأسباب التي قد تدفع بالأشخاص للجوء إلى مثل هذا النوع من الهجرات، ومن أهم تلك الأسباب:
- 1 – وجود صراعات مسلحة في الدول المصدرة للهجرة، وهذه الصراعات قد تندلع نتيجة لأسباب سياسية، أو بسبب وجود اضطهادات عرقية وإثنية تدفع بالأشخاص وتضطرهم إلى الهروب من كل أشكال العنف الممنهج، الذي قد يصل إلى حد الإبادة أو العبودية⁽²⁾.
- 2 – الحالة الاقتصادية المتردية لدى معظم البلدان الإفريقية، والتي أدت إلى انتشار البطالة والفقر وعدم المقدرة على توفير الاحتياجات الضرورية للعيش، خاصة مع وجود تباين كبير في المستوى الاقتصادي للأفراد بين الدول الطاردة والدول المستقبلة للهجرة.
- 3 – كذلك يشكل القرب الجغرافي بين القارتين الإفريقية والأوروبية عاملاً محفزاً لدى كل أولئك المضطهدين الراغبين في الهجرة.
- 4 – ومن أهم الأسباب الداعية إلى الهجرة النجاح الاجتماعي الذي يظهر على المهاجرين بعد عودتهم إلى بلدانهم، حيث تبرز على الكثير منهم في الغالب مظاهر الغنى الذي لم يكن حالهم عليه قبل مغادرتهم لبلدانهم.
- 5 – كما لا ننسى أيضاً ما تقوم به شبكات تهريب المهاجرين من دغدغة لمشاعر الناس بحصولهم فور وصولهم إلى أوروبا على مبتغاهم من الأمن والرفاه الاقتصادي المفقود في بلدانهم .
- ثانياً – الأسباب الفعلية لتردي أوضاع القارة الإفريقية: مع زوال ظاهرة الاستعمار وحصول الدول الإفريقية على استقلالها أصبحت هذه الدول في مجملها تعاني العديد من المشاكل الجديدة، فقد أصبحت هذه الدول تعاني مما يعرف اصطلاحاً بالاستعمار الجديد وأدواته، والمتمثل في خلق نوع من التبعية شمل كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، الأمر الذي جعلها تعاني إرثاً استعمارياً بكل أبعاده وكل تفاصيله، ومن هنا أصبح استقلالها السياسي لا يعدو كونه واجهة شكلية تخفي وراءها علاقات الماضي

الاستعماري بكل تفاصيله، الأمر الذي نتج عنه في النهاية عرقلة تطور القارة، وعدم قدرتها على تحقيق التنمية المستدامة لشعوبها.

1 - الأسباب السياسية: أدت السياسة الاستعمارية في إفريقيا إلى تقسيمها على وحدات جغرافية صغيرة جداً على خلاف ما كانت عليه قبل دخول الاستعمار إليها، حيث أدى التنافس الاستعماري إلى تجزئة القارة إلى مناطق نفوذ أوروبية، وبخاصة بعد مؤتمر برلين 1884/1885م الذي تم بموجبه تقطيع القارة الإفريقية إلى أجزاء صغيرة بين الدول الاستعمارية، وهو الأمر الذي ترتب عنه رسم ملامح الخارطة السياسية للقارة الإفريقية فيما بعد، والذي نتج عنه وجود أكثر من خمسين دولة إفريقية بعد الاستقلال⁽³⁾، ومع أن السياسة الاستعمارية كانت قد عملت على إيجاد نوع من الربط الاستعماري بين الأقاليم الإفريقية الخاضعة لها إلا أن ذلك النمط من الربط لم يغير شيئاً من وضعية التجزئة، ذلك أن سياسة الربط تلك لم يهدف الأوروبيون من خلالها إلى ربط الدول الإفريقية بعضها ببعض، وإنما هدفت في الواقع إلى ربط المستعمرات ككل بالدولة الاستعمارية الأم، خدمة لمصالحها ليس أكثر.

كما عمدت السياسة الاستعمارية إلى القيام بعملية صنع النخبة السياسية الإفريقية المتشعبة بالثقافة الغربية، والتي رضخت في معظمها للأوروبيين طمعاً في زيادة الجاه والمال، وهؤلاء استخدمتهم السلطات الاستعمارية خلال مرحلة الاستعمار لشغل أجهزة الإدارة المحلية كأدوات للحكم الاستعماري وقد بالغت الدول الأوروبية في الحفاوة بهم، حيث أسست لهم مدارس خاصة، بل والأكثر من ذلك أتيت لعدد منهم العيش والعمل في عواصم أوروبية، وعند رجوعهم إلى بلدانهم تكونت عائلاتهم على النسق الأوروبي سواء في طريقة العيش أو اللغة بل وحتى في تسمية الأبناء، إلى غيرها من الأشياء ذات الأصل الأوروبي، ونتيجة لكل ذلك فقد تشربت تلك النخبة معظم الأفكار الغربية، وابتعدت بشكل كلي عن العادات والتقاليد الإفريقية⁽⁴⁾.

2 - الأسباب الاقتصادية: إن الناظر اليوم إلى صورة القارة الإفريقية يراها قاتمة حالكة السواد مقارنة بغيرها من قارات العالم فهي موضع الفقر والبؤس والمجاعات والمستوى المعيشي المتدني والتخلف الاقتصادي.. الخ، ولو أجرينا مقارنة بسيطة بين متوسط دخل

الفرد الإفريقي وبين غيره في البلدان الصناعية، فسنجد أن دخل الفرد في البلدان الصناعية يزيد على دخل الفرد الإفريقي بأكثر من اثنين وعشرين ضعفاً⁽⁵⁾، ويعد هذا أكبر فارق مقارنة بأي منطقة أخرى من العالم، والمفارقة هنا أن إفريقيا ليست بالقارة الفقيرة، بل على العكس من ذلك، فهي تعد من أغنى قارات العالم من حيث وفرة الموارد الطبيعية، سواء الزراعية أو المعدنية أو من حيث وفرة الموارد البشرية، وما دامت إفريقيا بهذه الوفرة الاقتصادية فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما الذي جعل إفريقيا تعاني كل أنواع التخلف الاقتصادي الذي نتج عنه كل هذا الفقر؟ والإجابة ببساطة هي : إن إفريقيا مع تحررها شكليا من ناحية سياسية، إلا أنها ما تزال تعيش حالة من العجز والتبعية الاقتصادية، ذلك أن أغلب اقتصادياتها كما هي سياساتها غير إفريقية، فقد تسببت السياسات الأوروبية المتبعة في إفريقيا إبان مرحلة الاستعمار الأوروبي لها إلى وصول إفريقيا إلى ما هي عليه اليوم، فالممارسات الأوروبية التي طبقت في القارة الإفريقية في تلك الفترة كان لها كبير الأثر على التخلف الذي تعيشه اليوم، حيث تم عرقلة التطور الاقتصادي الإفريقي بشكل متعمد، عبر إنشاء نظام اقتصادي استعماري اتبعت فيه أوروبا العديد من السياسات التي هدف من ورائها إلى إسقاط القارة في هذه الهوة السحيقة من التخلف والفقر.

ومن تلك السياسات على سبيل المثال وليس الحصر أنه تم تأسيس نظام اقتصادي في معظم الأقاليم الإفريقية يعتمد بالأساس على إنتاج كثير من المواد الخام واستخدام عدد قليل من العمال المهرة، وذلك حتى لا يكتسب العمال الأفارقة الخبرة الصناعية التي من الممكن أن تؤهلهم مستقبلا لتسيير مثل هذه الصناعات بأنفسهم، ودون الاستعانة بغيرهم، حيث عمدت الدول الاستعمارية في غالب الأحيان إلى احتكار الدولة الأم - أي الدولة المستعمرة - للمصانع الأساسية التي كانت تصنع فيها المواد الخام الإفريقية، ومن ثم اختفت تقريبا صناعة السلع الاستهلاكية الضرورية داخل جل المستعمرات، وكان رأس المال كله وافدا من الخارج، وأرباحه كلها في المقابل عائدة إلى الخارج، في حين تم استخدام رأس المال العام لإنشاء البنية التحتية غير الإنتاجية مثل الطرق والسكك الحديدية التي ربطت مناطق الاستخراج بالمواني والسواحل الإفريقية خدمة للمصالح التجارية

الأوروبية ليس أكثر⁽⁶⁾ ومن تلك السياسات التي هدف من ورائها إلى زعزعة الاقتصاد الإفريقي تكثيف الجهود لجعل المستعمرات دائما مناطق استهلاكية وغير صناعية، وذلك بعدم توفير الفرص لأبناء تلك المستعمرات لتعلم مختلف المهارات الفنية التي قد تعينهم على برامج التنمية المحلية حال خروج الاستعمار منها.

وإجمالاً يمكن القول : إن الدول الاستعمارية عمدت إلى اتباع سياسات خاصة هدفت بالأساس إلى اختراق الاقتصاد الإفريقي والعمل على إفقاره وشل حركته، وتوجيهه بالدرجة الأولى لخدمة مصالحها وفي الوقت ذاته عملت على وضع سياسات هدفت إلى ضمان استمرارية تلك الوضعية، بحيث إذا ما استقلت الدول الإفريقية تكون هي قد حافظت على كل امتيازاتها.

وبالنظر لما سبق نلاحظ أن الأوروبيين رأوا في طبيعة العلاقة التي تربطهم بإفريقيا أنها علاقة تقسيم طبيعي للعمل، على ضوئه تقوم إفريقيا بوظيفتها الأساسية المتمثلة في توفير المواد الخام اللازمة للصناعات كي يتم تصنيعها أوروبا، ثم يعاد بيعها من جديد داخل الأسواق الإفريقية⁽⁷⁾.

3 – الأسباب الثقافية والاجتماعية: استند الاستعمار الأوروبي عند مجيئه إلى إفريقيا إلى نظرية الفراغ السياسي والاقتصادي والثقافي الذي رأوا بأن القارة تعانيه، وفيما يخص الجانب الثقافي فقد رأى الأوروبيون أن القارة الإفريقية تعاني فراغا ثقافيا بكل ما تعنيه الكلمة، ومن ثم فمن الواجب على هذه الدول أن تقوم بتعبئة هذا الفراغ، وهذا يستلزم إعطاء الأفارقة لغاتهم الأوروبية ودينهم المسيحي، إضافة إلى مختلف أنظمتهم الاجتماعية، ومن هذا المنطلق تم فرض العديد من الاختيارات الثقافية عليهم، والتي لا تنتمي في مجملها إلى تراثهم وعاداتهم وتقاليدهم بأي صلة، ومن هنا ولضمان استمرارية التواجد الأوروبي داخل القارة حتى بعد خروجه منها فقد عمد الأوروبيون إلى أسلوب تدمير الثقافة الإفريقية بكل ما تحمله من أصالة، وعملوا جهدهم على إحلال الثقافة الأوروبية مكانها، وهو الأمر الذي أصبح معاشا اليوم في غالبية الدول الإفريقية، وبخاصة الدول الناطقة باللغات الأوروبية والمتدنية بالديانة النصرانية، وذلك عبر تبنيها لأنماط من الفن والأدب والثقافة الأوروبية، وقد كان التخطيط الأوروبي يرتكز بالأساس على محاولة

صهر البنيان القبلي داخل إفريقيا، وعلى هذا الأساس فقد تم تقسيم القارة جغرافياً على أساس تجزئة متعمدة لمعظم القبائل بحيث تكون القبيلة الواحدة مجزئة بين أكثر من دولة⁽⁸⁾، كما عمل الأوروبيون على تفكيك الروابط القبلية والأسرية داخل المجتمعات الإفريقية، عبر تشجيع السكان للانتقال إلى المدن التي تجمع أشتاتاً من القبائل في مكان واحد⁽⁹⁾.

وفيما يخص الدين والبعثات التبشيرية بالدين المسيحي التي سبقت الاستعمار، لم تكن هذه البعثات في أساسها إلا سفارات تمهيدية لقبول دخول الاستعمار، حيث كان رجال الدين المسيحيون يبنون دعوتهم على أساس أن من يعتنق المسيحية عليه أن ينسلخ عن قبيلته، وعليه في المقابل الاتجاه نحو الثقافة الأوروبية، وهاجر كل ما من شأنه أن يقربه من الطقوس القبلية التقليدية.

وفيما يتعلق باللغة فقد عمد الأوروبيون إلى زرع لغاتهم داخل مستعمراتهم، ومن هنا فقد تم القضاء على لغات الأفارقة على أساس أنها لغات قاصرة، وأن اللغات الأوروبية هي اللغات العصرية، وبناء على ذلك فقد تم فرضها على معظم المناهج التعليمية، كما أنها أصبحت هي اللغات الرسمية، في حين تعتبر اللغات الإفريقية لغات ثانوية، بل لغات قاصرة ولا ترتقي إلى مستوى تلك اللغة.

ثالثاً - النتائج والآثار السلبية للسياسات الاستعمارية الأوروبية على إفريقيا:

1 - النتائج السياسية: مع أن أغلب الدول الإفريقية نالت استقلالها وتحصلت على حقها الشرعي في تقرير مصيرها وإدارة شؤونها مع نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين، إلا أن ذلك الاستقلال لم يكن في حقيقته إلا واجهة وطنية، ترتب عليها وجود تبعية سياسية فعلية للدول الاستعمارية السابقة، حيث ارتبط ذلك الاستقلال بظاهرتين أساسيتين كان وما يزال لهما كبير الأثر على الحياة السياسية في القارة الإفريقية هما:

1 - بروز دول أسهم في وضعها جغرافياً مجموعة من الاعتبارات الاستعمارية السابقة، فالحدود السياسية الحديثة للدول الإفريقية ارتبطت بحركة الاستعمار الأوروبي وتاريخه أكثر من أي عامل آخر فكما أدى تقاسم القارة الإفريقية بين الدول الاستعمارية إلى فقدان

الأفارقة لسيادتهم، هاهم اليوم يفقدونها من جديد، حيث أعادها إليهم الاستعمار في صورة مغايرة، فقد أنتج ذلك التقاسم دولاً استعمارية جديدة أو اتحادات دول استعمارية، أو دولاً عدلت حدودها بشكل طفيف في فترات لاحقة⁽¹⁰⁾، وقد بقيت هذه التجزئة وتأكدت حتى بعد سلسلة الاستقلالات التي حدثت في القارة الإفريقية، وهذا ما جعلها قاصرة على تأكيد ذاتها وحدويًا، بل والأكثر من ذلك أن هذا الوضع أصبح يهددها بمزيد من الانقسام، ويجعل منها عرضة للمطامع الاستعمارية من جديد.

وإذا ما نظرنا اليوم إلى الخارطة السياسية الإفريقية التي تم رسمها من قبل الدول الاستعمارية، نرى أن المشكلات المترتبة عنها أصبحت تتفاقم وتزداد تعقيداً، ذلك أنها خلقت العديد من النزاعات بين الدول الإفريقية، وبخاصة على الأشرطة الحدودية، كما تعاني القارة الإفريقية اليوم من خطوط هندسية قسمت القبيلة الواحدة بين أكثر من دولة⁽¹¹⁾، وقد كانت مشكلة الحدود وما زالت من أعقد الآثار التي خلفها الاستعمار الأوروبي، لأنها تمثل الموروث الاستعماري الأشد قوة، والذي أصبح من الصعب التخلي عنه، وبعد الاستقلال تفجرت الصراعات بين العديد من الدول المستقلة حديثاً بسبب الخلاف على الحدود وكل من ينظر إلى خارطة إفريقيا السياسية اليوم يرى خطوطاً مستقيمة وزوايا مختلفة رسمت حدود المناطق بشكل غريب، وقد أعطيت تلك المناطق أسماء معينة مختلفة عما كانت عليه في السابق، فتلك الحدود لم ترسم نتيجة لتضاريس طبيعية وجغرافية تفصل بين الأقاليم، كما أنها لم تكن من نتاج المعطيات التاريخية، بل هي حدود أوجدتها المصلحة الاستعمارية، نتج عنها تقسيم الشعب الواحد على عدة شعوب، والأمة الواحدة على عدة أمم⁽¹²⁾، وحديثاً أغلق الحديث في موضوع الحدود على الرغم من كونها تشكل موروثاً استعمارياً صرفاً.

2 – بعد حصول البلدان الإفريقية على استقلالها استطاع الاستعمار – عن طريق النخبة السياسية التي كان قد صنعها إبان المرحلة الاستعمارية – خلق أنظمة عميلة لخدمة مصالحه، متخذاً منها غطاء ساتراً لاستمراره في سلب الثروات الوطنية للشعوب الإفريقية، بل وسلب قراراتها السياسية من خلال أنظمة وحكومات تنتسب خلف شعارات وطنية تقدمية، ظاهرها وجه حكام محليين وباطنها منفذون لقرارات وأجندات سياسية

أجنبية، (والجدير بالذكر أن النخبة التي تولت قيادة البلدان الإفريقية خلفا للمستعمر تعد بمثابة الامتداد الفعلي للنظام الاستعماري في ثوب جديد وعلى كافة المستويات)⁽¹³⁾، والسبب في ذلك كله كون الأجنبي كان قد اضطر للخروج من هذه الأراضي بفعل المقاومة، فأسند مهمات القمع لرموزه المحلية، ومن هنا فقد تكونت في العديد من البلدان الإفريقية المستعمرة فئات معينة من الناس، ربطت مصيرها ومصالحها بمصير ومصالح الاستعمار، سواء أكان ذلك عن وعي منها أم عن غير وعي، ومن ثم تكون قد ربطت البلاد كلها بالاستعمار، كما عملت هذه الفئة على تسخير خيرات البلاد وجهود الناس لخدمة أهداف ذلك المستعمر، لأن هذه الفئات مدينة لذلك المستعمر بوجودها وبوصولها لسدة الحكم "يمكن القول : إن الدول التي كانت تابعة لفرنسا هي اليوم فاقدة لاستقلالها، حيث شيدت فيها مستعمرات جديدة بالمعنى الدقيق، صحيح أن حكامها أفرقة سود، إلا أنهم حافظوا في واقع الأمر على الهياكل الاستعمارية، إذ تحكم هذه الدول حكومات لا تمتلك الشرعية، وهي تخدم مصالح الخارج، فهناك العديد من الرؤساء الأفارقة الذين يتلقون رواتب شهرية من شركة إلف الفرنسية، وهم يخدمون مصالح فرنسا ومصالح تلك الشركة، كما أن علاجهم ودراسة أبنائهم يتوفران في فرنسا، في حين أن هؤلاء الرؤساء لا يكثرثون بوضع الصحة والتعليم في بلدانهم"⁽¹⁴⁾.

ولكي تقوم هذه الفئات بدورها المرسوم لها بعناية فائقة من جانب الدول الاستعمارية السابقة، أقام لها المستعمر العديد من المؤسسات والأشكال السياسية والأحزاب التي تستطيع من خلالها التحكم في مصالح الشعوب، وهكذا بعد الاستقلال لم تستطع معظم الدول الإفريقية أن تتخلص من تبعيتها لذلك الاستعمار وذلك بسبب وجود تلك الجماعات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالاستعمار، والتي وضعت في الغالب على رأس تلك المؤسسات التي أوجدها المستعمرون قبل رحيلهم، ومن هنا تكون هذه الفئات قد شكلت العقبة الحقيقية أمام أية جهود تنموية صحيحة.

وقد ارتبط بهذا الموروث موروث استعماري آخر، تمثل في اعتماد الدول الإفريقية المستقلة لنفس النمط الاستعماري فيما يخص أنظمتها السياسية، فإذا ما نظرنا إلى معظم الدول الإفريقية التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي على سبيل المثال، فسنرى أنها

وضعت لنفسها دساتير على نسق الدستور الفرنسي إن لم يكن مطابقاً له بشكل تام، ومن ثم فقد أصبحت مؤسساتها شبيهة إلى حد كبير بالمؤسسات والتنظيمات الفرنسية، فمعظم تلك النظم تشتمل على ثلاث مؤسسات رئيسية هي: رئيس الدولة والمجلس النيابي والمجلس الأعلى، وفيما يخص مجلس النواب نجده في غالب الأحيان يحمل نفس اسم مجلس النواب الفرنسي، أي المجلس الوطني أو الجمعية الوطنية، كما لوحظ أنه مع تطور النظام الفرنسي في ظل الجمهورية الخامسة في عهد الجنرال ديغول وذلك باتجاه فرنسا لانتهاج النظام الرئاسي، نجد أن معظم البلدان الإفريقية تيمنا بذلك اتبعت نفس النهج، من خلال تبنيها لأسلوب النظام الرئاسي⁽¹⁵⁾.

وبالنظر إلى ما سبق نلاحظ أن الدول الاستعمارية كانت قد لجأت إلى أسلوب زرع فكرة أنظمتها داخل البلدان الإفريقية المستعمرة، وبعد استقلال تلك الدول ترسخ في أذهان معظم رؤسائها أنه لا بد من اقتباس نمط نظام سياسي غربي، وهذا ما مثل تياراً استقلالياً إفريقياً يتيح الانفتاح ناحية الحضارة الغربية الحديثة.

وفيما يخص انتشار الأحزاب السياسية في البلدان الإفريقية فهي ظاهرة غريبة عنها، ذلك أنها كانت قد دخلت إلى تلك البلدان إبان المرحلة الاستعمارية الأوروبية، واستمرت ولم تنقطع حتى مع نهاية الاستعمار، "فقد شهدت المستعمرات الفرنسية 1946م جملة من الإصلاحات من بينها منح الأفارقة الحق في تشكيل أحزاب سياسية"⁽¹⁶⁾، ومصداقية ذلك أنه خلال الفترة الواقعة بين 1956/1946م تشكلت العديد من الأحزاب والجماعات السياسية داخل معظم المستعمرات، وبدأت تلك الأحزاب تتنافس فيما بينها من أجل الحصول على تأييد الجماهير لها، وبعد الاستقلال وامتداد لتلك الأحزاب نشأت في الدولة الحديثة وحدات سياسية أكبر من تلك التي عرفها المجتمع التقليدي، وقد أدى التنافس بين الأحزاب السياسية إلى خلق تقسيمات لم تكن موجودة في السابق في ظل النظام التقليدي الإفريقي، وحالياً تتبع حدود الدوائر الانتخابية والضواحي الحدود نفسها التي كانت قائمة خلال الحقبة الاستعمارية⁽¹⁷⁾، والأكثر من ذلك وجدت بعض الأحزاب السياسية التي نشأت وفق معطيات دينية وثقافية لا تمت للتراث الإفريقي بأي صلة، وكمثال على ذلك الحزب الديمقراطي الأوغندي الذي تأسس عام 1956م، والذي يمثل المسيحيين الكاثوليك،

ويقابله حزب مؤتمر الشعب الذي تأسس عام 1960م والذي يمثل المسيحيين البروتستانت ويضاف إلى ذلك وجود أحزاب سياسية تمثل فروعاً لأحزاب رئيسية، في الدول الاستعمارية السابقة، وكمثال على ذلك حزب تجمع الشعب الفرنسي الديجولي، والأكثر من ذلك أن بعض الدول الاستعمارية عمدت إلى إنشاء أحزاب تحمي مصالحها وتدافع عن وجودها داخل القارة الإفريقية كما فعلت بلجيكا حينما دعمت تأسيس حزب التقدم الوطني، وكذا فعلت بريطانيا عندما دعمت حزبا للبيض في تنجانيقا أطلق عليه حزب تنجانيقا المتحد، كما أنها سمحت بتأسيس أحزاب للبيض في كينيا نظم البيض والأسويين والأفارقة، وذلك كله بهدف الحد من النزعة الاستقلالية للأفارقة، ومنها على سبيل المثال حزب كينيا وحزب كينيا الجديد، ومع أن التوجهات المعلنة لهذه الأحزاب هي توجهات وطنية، إلا أنها كانت في الواقع تمثل فقط بعض المصالح الفئوية لطبقات معينة في الدولة، وهذه التقسيمات الفئوية قد تكون مبنية على أساس ديني أو عرقي أو قبلي أو ثقافي أو اقتصادي.. الخ والملاحظ أن هذه الفئات كانت قد وجدت قبل الاستعمار، وقد ترسخت بوجوده واستمرت بعد رحيله ومن أمثلتها كل الأحزاب المصرية التي تأسست في عهد الملك فؤاد في الفترة من 1924 : 1936 م باستثناء حزب الوفد الذي مثل التيارات الشعبية المصرية، فحزب الاتحاد كان يمثل طبقة النبلاء، وحزب الشعب كان يمثل الطبقة الرأسمالية المصرية ذات المصالح المرتبطة بالاحتكارات الأجنبية، وحزب الأحرار كان استمراراً لحزب الأمة القديم، وهذا الأخير يظم تحت جناحه أصحاب الإقطاعيات الزراعية القديمة، إضافة إلى طبقة الأعيان.. الخ (18).

وخلاصة القول: إنه من الطبيعي أن تؤدي التجزئة الجغرافية والسياسية من ناحية، والتكوينات السياسية المستوردة من ناحية أخرى، إلى وجود تبعية سياسية للدول التي كانت مستعمرة لهذا البلد أو ذاك، وذلك لافتقار كثير من الأنظمة الإفريقية إلى البعد السياسي والجغرافي من جهة، ولأنها تعتمد على تنظيمات ليس لها أي رابطة بالواقع الإفريقي من جهة ثانية، وترجع التبعية السياسية للدول الإفريقية إلى الطابع المجزأ الذي تهيمن بموجبه أقلية قليلة على مقاليد الأمور، وهذه التبعية هي تبعية كثير من الأنظمة المسيطرة في البلدان الإفريقية للاستعمار الأجنبي.

2 - النتائج الاقتصادية: مع حصول الدول الإفريقية على استقلالها، فإن ذلك الاستقلال القانوني لم يصاحبه استقلال اقتصادي بالمعنى الكامل للكلمة، حيث ظلت معظم الدول الإفريقية مرتبطة اقتصاديا بالدول التي كانت ترسخ تحت استعمارها سابقا، فانسحاب الأوروبين من القارة لم يؤدي إلى خلاصها من كل مشكلاتها، ذلك أن الاستعمار كان قد ترك فيها ألغاما اقتصادية متفجرة، وواقعاً مأساويا ما زالت تتحكم فيه الدول الاستعمارية السابقة وهي في مركزها اليوم في هذه الدول، فقد بدأت في ظل الاستعمار سلسلة من العمليات التي لم تنضج كليا إلا في السنوات اللاحقة، حيث ربطت إفريقيا بالاقتصاد الرأسمالي العالمي بعد رحيل الاستعمار⁽¹⁹⁾، ومن هنا فإن عملية النهب المتواصلة للثروات الإفريقية من جانب الاستعمار التي كانت قد بدأت من عصور الاكتشافات البحرية، وازدادت مع بروز الثورة الصناعية، مازالت مستمرة حتى يومنا هذا، وإن اختلفت أشكالها القديمة نسبيا عن الحديثة، ففي الماضي كانت عمليات النهب تتمثل في سلب الخيرات المادية والطبيعية والمتاجرة في الرقيق مباشرة، ثم تحول الاستعمار اليوم عن شكله الأول وابتدع شكلا جديدا يقوم أساسا على ربط القارة الإفريقية به، جاعلا منها تابعة اقتصاديا له، وقد اتخذت هذه التبعية العديد من الأشكال منها :

1 - انضمام الدول الإفريقية كأعضاء مشاركين في المنظمات الاقتصادية الدولية، وعلى ذلك تكون هذه الدول ملزمة بربط اقتصادياتها وأنماط خططها الاستثمارية بتلك المنظمات، وهنا تحديدا تتم عملية إحكام السيطرة على الدول الإفريقية الفقيرة، والتي يصبح قدرها أن تعيش في حالة دائمة من التبعية الكاملة شاءت ذلك أم أبت⁽²⁰⁾، (لقد اخترع الأوروبيون كعادتهم أسماء عصرية وبراقة بهدف التمويه والخداع، حيث أطلقوا على الاستعمار الجديد برنامج التعاون الدولي، وذلك عن طريق القروض والمساعدات بما يستتبعه ذلك من فوائد وأرباح)⁽²¹⁾، وفي هذا الصدد يمكننا أن نأخذ البنك الدولي الذي يعد أبرز تلك المؤسسات كمثال حي للاستشهاد على ذلك، فهذا البنك يمارس منذ تأسيسه سلطة فعلية على حكومات الدول المستدنية بهدف تدعيم سلطة الدول الكبرى، حيث تجبر الدول الفقيرة المشاركة في هذه المؤسسة على تعديل مشاريعها الاقتصادية بشكل يتناسب مع أهداف وميول تلك الدول، وقد عانت معظم الدول الإفريقية من سياسات هذه المؤسسة

التي يدعي مؤسسوها أنها وجدت من أجل قضايا التنمية المستدامة للدول الفقيرة، ومن هذه الدول على سبيل المثال جمهورية مصر العربية إبان الحقبة الناصرية، فعندما أرادت مصر بناء مشروع السد العالي لتؤمن لشعبها الاكتفاء الذاتي في مجال الطاقة الكهربائية، وتدعيم بنيتها الزراعية، ناهيك عن تحقيق الاكتفاء الذاتي من مياه الشرب وتوفير فرص عمل لأبناء هذا البلد، هنا امتنع البنك الدولي عن تزويدها بالقروض اللازمة لذلك المشروع، لا لشيء إلا لأنها سعت إلى تأمين استقلالها الاقتصادي، وهو ما يدل دلالة واضحة على أن هذا البنك ليس في حقيقته إلا مؤسسة من المؤسسات التي أوجدتها الدول الكبرى خدمة لمصالحها ليس أكثر، عبر مؤسسات تدعي الحياد ظاهريا، وتمارس سياسة استعمارية فعلية ضمنا، حيث تتحكم في هذا البنك وغيره العديد من الاعتبارات المصلحية التي تصب في جانب الدول الصناعية الكبرى، وذلك من خلال ربط مسألة القروض والمساعدات الاقتصادية التي تمنحها هذه المؤسسات إلى معظم الدول الفقيرة بأهداف سياسية وإستراتيجية.

2 – المبادلات التجارية مع الدول الاستعمارية السابقة، وهنا يمكننا ملاحظة أن معظم الدول الإفريقية ما تزال ترتبط تجاريا بالدول الاستعمارية السابقة دون غيرها، فالدول الناطقة بالفرنسية تنحصر تجارتها تقريبا مع فرنسا، وكذا الحال بالنسبة للدول الإفريقية الناطقة بالإنجليزية تنحصر تجارتها مع إنجلترا وقد أدى هذا الوضع إلى نتائج خطيرة قيدت استقلالية الاقتصاد الإفريقي، وذلك من خلال تحكم تلك الدول في أسعار المواد الأولية كما نشاء، والسبب في ذلك يرجع إلى قاعدة التقسيم الدولي للعمل الذي جعل من القارة الإفريقية قارة منتجة للمواد الخام فقط، وهو الأمر الذي جعلها تعاني تبعية كاملة للدول الاستعمارية السابقة، وما ترتب عن تلك التبعية من تخلف اقتصادي التصق بالقارة، ونتيجة لكل ذلك زاد التفاوت واتسعت الهوة بين الدول الأوروبية المتقدمة والدول الإفريقية الفقيرة، وجعل الأخيرة تعيش في حالة من التبعية الكاملة والدائمة لتلك الدول.

3 – برامج المساعدات الثنائية المقدمة من جانب الدول الصناعية لبعض الدول الإفريقية، فالدول الإفريقية تسعى جاهدة للحصول على مثل تلك المساعدات والمعونات لأسباب اقتصادية بحتة تتعلق بأمور خاصة بالتنمية الداخلية، في حين تقوم الدول المانحة بإعطاء

تلك المساعدات لأسباب سياسية صرفة، والجدير بالذكر أن الدول المستقبلية لتلك المساعدات لا يمكنها بحال من الأحوال معارضة الدول المانحة لها، وإلا سوف تخسر تلك المعونات التي أصبحت في كثير من البلدان الإفريقية من أهم ركائز الاقتصاد لديها.

4 - وجود نخبة اقتصادية موازية للنخبة السياسية الحاكمة، وغالبا ما يتحد الجانبان معا، الأمر الذي ينتج عنه جعل ثروة القارة حكرا بيد قلة من أبنائها، وهؤلاء الأبناء كان لهم في الغالب ارتباط بالمستعمر في الماضي، ومن هنا فإن هذه النخبة لا يهتمها سوى الحفاظ على مصالحها وعلى ما تحصلت عليه من ذلك المستعمر لقاء ذلك الارتباط، ويستدعيها ذلك العمل على منع أي تغيير سياسي أو اجتماعي لأن ذلك سيؤثر بدهاءة على مصالحها، وما دام الحال كذلك فإن أموال هذه النخبة لا يمكن التعويل عليها في أي مشروعات ذات نفع وطني عام.

خلاصة يمكننا القول إن الوضعية الاقتصادية للدول الإفريقية ما زالت مهددة بمزيد من البؤس والتخلف والفقر، خاصة وأنها غير قادرة على إنشاء مشروعات إنتاجية ذات قيمة، وبقاؤها مقتصرة على دورها التقليدي إبان المرحلة الاستعمارية، والمتمثل في تصدير المواد الخام واستقبال المواد الصناعية وهو الأمر الذي سيؤدي بالقارة بالدوران في حلقة مفرغة، بحيث يكون الفقر سببا ونتيجة في نفس الوقت، فالدول الإفريقية غير قادرة على القيام بإنشاء مشروعات صناعية وإنتاجية لأنها فقيرة، وفي الوقت نفسه هي فقيرة لأنها غير قادرة على إنشاء مشروعات صناعية وإنتاجية⁽²²⁾.

3 - النتائج الثقافية والاجتماعية: يمكن القول إن ما نتج على كل السياسات الثقافية الاستعمارية إبان مرحلة الاستعمار كان كارثيا على القارة الإفريقية، حيث نرى إفريقيا اليوم منقسمة إلى العديد من المجموعات اللغوية، كمجموعة الدول الناطقة بالفرنسية، ومجموعة الدول الناطقة بالإنجليزية، وبعض الدول الناطقة بالبرتغالية، وأخرى بالإسبانية وهكذا، وتحاول الدول الاستعمارية الاستفادة من هذا الواقع اللغوي الذي أنشأته أثناء استعمارها لهذه الدول، فهذه فرنسا أوجدت رابطة للدول الناطقة بالفرنسية والتي تعرف بالفرانكفونية وهذه الرابطة تعني أن فرنسا وإن غادرت إفريقيا إلا أنها ما زالت موجودة لغويا وثقافيا، وأن هذه الدول مازالت تابعة لها ولا تستطيع الاستغناء عنها، وفيما يخص

إنجلترا فقد قامت هي الأخرى بإنشاء رابطة لها تربطها بالدول التي كانت قد استعمرتها في الماضي، وهي رابطة الكومنولث، وذلك بهدف ديمومة تبعيتها لها، وهذه الرابطة تضم تحت جناحها مجموعة الدول الناطقة باللغة الإنجليزية، ولهذا نرى الأوروبيين يقدمون لهذه الدول المساعدات المالية والكتب والمجلات المجانية في سبيل الإبقاء على لغاتهم حية في أذهان سكانها، وذلك إيماناً منهم بأن اللغة تشكل أهم وسائل الربط والاتصال التي تمكنهم من النفاذ داخل تلك الدول، كما نراهم يقدمون المنح والمساعدات للطلاب، بل ويقومون في كثير من الأحيان بتعليمهم على نفقتهم، كذلك تتم استضافتهم في أوروبا لعدة سنوات يمنحون خلالها الشهادات العليا، وذلك لإدراكهم أن هؤلاء الطلاب يمكن جعلهم في المستقبل وسطاء لمصالحهم في تلك الدول وكان الأوروبيون يرغبون من خلال ذلك إلى ربط أبناء تلك الدول بهم بغية استمرار تبعيتهم لهم.

وفيما يخص التراث الإفريقي فقد عمل الاستعمار جهده على تشويهه ومسخه، وكانت نتيجة ذلك جعل أعداد كبيرة من المتقنين الأفارقة يبنهرون بقشور الحضارة الغربية، معتقدين بأن الإبداع والتقدم لا يتأتى إلا من خلالها، ومن هنا نراهم مقلدين للغرب في كل أحوالهم، ضنا منهم بأنهم أصحاب تراث زاخر وعظيم.

وفيما يخص الجانب الإعلامي قام الأوروبيون عن طريق إعلامهم بتشويه صورة إفريقيا أمام العالم الخارجي بل وأمام الأفارقة أنفسهم، فإفريقيا من وجهة نظرهم هي بلاد التخلف الذي لا يمكن معه لأي إفريقي من أن يرتقي إلى مستوى الرجل الأوروبي، وإن إفريقيا هي موطن الأوبئة والفقر والمجاعات وأنها غير قادرة على حكم نفسها، وأنه يسودها عدم الاستقرار والانقلابات العسكرية، والتمتعن في هذا الكلام جيداً يرى أن محتوى تلك الرسالة يعني في مضمونه أن الوضع الاستعماري السابق للاستقلال هو أفضل وضع لهذه الدول، والناظر إلى أجهزة الإعلام الوطنية في معظم الدول الإفريقية اليوم يرى أنها لا تنتمي إلى الشعب بأي صلة لا في ملكيتها ولا في إدارتها ولا في لغتها ولا حتى في مضمونها، وهي دائماً تعطي أولويات في الحديث عن الدولة الأم فرنسا أو بريطانيا أو بلجيكا... الخ⁽²³⁾.

والخلاصة أنه وعلى الرغم من المحاولات الإفريقية المحلية لرفض التبعية الثقافية للدول الاستعمارية السابقة، إلا أن تلك الدول كانت هي الأقوى، وذلك من خلال استغلالها لظروف التجزئة والتخلف والأكثر من ذلك أن تلك المحاولات لم تترد عن كونها انتقالاً من شكل من أشكال التبعية إلى شكل آخر مختلف من حيث المظهر والتوجه، ولكن المضمون واحد، فلكي تخرج الدول الإفريقية من اعتبار دين المستعمر القديم ديناً رسمياً لها، اعتمدت في دساتيرها نظام الدولة العلمانية، والعلمانية ما هي إلا تقليد أوروبي ونظام سياسي أوروبي خالص⁽²⁴⁾.

الخلاصة: ختاماً يمكننا القول إن معاناة القارة الإفريقية التي كانت قد بدأت بدخول الرجل الأبيض إليها إبان المرحلة الاستعمارية، والتي عملت الدول الأوروبية خلالها على استنزاف ثرواتها المادية والبشرية، لم تنته بخروج المستعمر منها، ذلك أن الاستعمار كان قد خلف جملة من النتائج السلبية التي لامست كافة مناحي الحياة الإفريقية، الأمر الذي ترتب عنه عجز القارة في معالجة جميع قضاياها، سواء الداخلية أو الخارجية، فمن الناحية السياسية وجدت مجموعة من النتائج أدت في مجملها إلى وقوع القارة في حالة من عدم الاستقرار السياسي، حيث عانت القارة من ويلات الحروب بين الدول المتجاورة بسبب الخلافات على الحدود التي رسمتها الدول الاستعمارية، تلك الحدود التي بنيت على أساس البحث عن المصلحة الاستعمارية، كما أنه نتيجة لوجود جملة من التراكمات التاريخية التي بدأت منذ مجيء الاستعمار، دخلت القارة في معاناة طويلة من النزاعات الداخلية والحروب الأهلية، وصلت إلى حد المجازر والإبادة الجماعية بسبب الصراع على السلطة، ومرجعية تلك النزاعات والخلافات إلى الحزبية التي خلفها الاستعمار كنظام أوروبي بديل عما كان سائداً في إفريقيا قبل مجيئه إليها، ومن الناحية الاقتصادية استقلت القارة لتجد نفسها فقيرة مع أنها تمتلك موارد زراعية ومعنوية وبشرية ضخمة، كما وجدت نفسها مرتبطة باتفاقيات وترتيبات اقتصادية مع الدول الاستعمارية السابقة بسبب عدم تعودها على استغلال مواردها بنفسها، كل ذلك في جملة أدى إلى تعثر خططها التنموية الاقتصادية، بل والأكثر من ذلك أنه عندما أرادت هذه الدول الخروج من هذا المأزق من خلال الاقتراض من الهيئات الاقتصادية الكبرى، وجدت نفسها غارقة في بحر

من المديونية الخارجية، الأمر الذي استحال معه بناء أي خطة تنموية حقيقية، كما تسبب ذلك في جعل القارة تعيش واقعاً من التبعية الاقتصادية الدائمة للدول الاستعمارية السابقة، وذلك نتيجة لسيطرة تلك الدول على تلك الهيئات، ومن الناحية الثقافية استقلت دول القارة لتجد نفسها تعيش تبعية ثقافية كاملة للدول الاستعمارية السابقة، وهو ما أصبحنا نراه واضحاً جلياً من خلال تقسيم القارة الإفريقية إلى دول ناطقة بالفرنسية، وأخرى بالانجليزية، وغيرها بالبرتغالية.. الخ ونتيجة لذلك كله فقد تغير نمط الحياة داخل تلك الدول، بحيث أصبح مطابقاً تماماً لكل ما هو موجود في الدول الاستعمارية السابقة، تتساوى في ذلك العادات والتقاليد، بل وحتى الدين.

كما نستنتج أن معاناة الأفارقة سألفة الذكر لا بد وأن يكون لها انعكاسات مباشرة على الجانب الأوروبي، وذلك بسبب الارتباط المباشر بين القارتين نتيجة للقرب الجغرافي بينهما، وعلى ذلك بات الأمن والاستقرار الأوروبي مهدداً على كافة المستويات، ذلك أن عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي داخل القارة الإفريقية سيجعل من الأفارقة يتجهون مباشرة إلى أوروبا، باعتبارها المكان الأقرب حيث يمكن الحصول على الأمان والرفاه الاقتصادي المفقود، وهذا ما اتضح واضحاً جلياً من خلال بروز ظاهرة الهجرة غير القانونية، وما ارتبط بها من ظواهر أخرى كالإرهاب والعنف والجريمة المنظمة.. الخ، خاصة بعد أن أخذت بلدان الهجرة على عاتقها تصدير جل مشكلاتها مع أولئك المهاجرين.

إلا أنه في الجانب الآخر ترى البلدان الإفريقية أن أوروبا تعد مسؤولة تاريخياً عما تعانيه قارتهم من واقع متردي سيء، وذلك من خلال احتلالها فترة زمنية طويلة، استنزفت خلالها ثروتها الطبيعية والبشرية، ومن هذا المنطلق وجد شعور إفريقي مشترك بأن الأوروبيون مطالبون بالتعويض عما ألحقوه بقارتهم من أضرار مباشرة وغير مباشرة، وذلك يستدعي منهم المشاركة في حل مشاكل القارة كالفقر والبطالة وعدم الاستقرار السياسي.. الخ، ومن هذا المنطلق فقد أصبحت القناعة الإفريقية تؤمن بأن أوروبا إذا فعلت ما طلب منها في هذا الشأن، فإن ظاهرة الهجرة غير القانونية وما يترتب عنها من واقع مخيف لدى الأوروبيين سوف تنتهي، بل وينتهي معها كل ما يرتبط بها من

ظواهر، ذلك أنه إذا ما تخلصت القارة من مشاكلها التي سببها لها الاستعمار، فإنه لا حاجة إلى مواطنيها في أن يخاطروا بأرواحهم ليكونوا عبئاً على غيرهم.

الهوامش:

- 1 — [http://www. Alwafd.news](http://www.Alwafd.news)
- 2 — [http:// www. Mawdoo3.com](http://www. Mawdoo3.com)
- 3 — عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2001م، ص452 .
- 4 — ب . س . لويد، إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة شوقي جلال، الكويت، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1980م، ص131 .
- 5 — عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص486 .
- 6 — ب . س . لويد، المرجع السابق، ص130 .
- 7 — حلمي محروس إسماعيل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية، الجزء الثاني، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2004م، ص486 .
- 8 — علي المنتصر فرفر، إفريقيا. قضايا. مشكلات. وطموحات، طرابلس، ليبيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، 1988م، ص66 .
- 9 — عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص494 .
- 10 — هنري ويسلنغ، تقسيم إفريقيا 1880: 1914م، سلسلة دراسات إفريقية، ترجمة ريما إسماعيل كتاب رقم (5)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 2001م.
- 11 — محمود نجم عبد الله، إفريقيا والاستعمار، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، يوليو 1987م منشورات جامعة الفاتح .
- 12 — عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص454 .
- 13 — [http:// www.qiraatafnican.com](http://www.qiraatafnican.com)
- 14 — ميشيل لودرس، إفريقيا والاتحاد الأوروبي، عدد خاص بالاتحاد الأوروبي، هل كانت إفريقيا مؤهلة للديمقراطية يوماً ما؟، المرصد، نشرة معلومات شهرية، العدد 15، يناير 2006م، دار القبس للطباعة والنشر، طرابلس، الجماهيرية العظمى .

- 15 – علي المنتصر فرفر، المرجع السابق، ص 40 .
- 16 – ب . س . لويد، المرجع السابق، ص 87 .
- 17 – ب . س . لويد، المرجع نفسه، ص 110 .
- 18 – علي المنتصر فرفر، المرجع السابق، ص 41 .
- 19 – هنري ويسلنغ، المرجع السابق، ص 448 .
- 20 – علي المنتصر فرفر، المرجع السابق، ص 50 .
- 21 – [http: // .www. Alukah.net](http://www.Alukah.net) .
- 22 – علي المنتصر فرفر، المرجع السابق، ص 63 .
- 23 – مانكيكار د . ر، التدفق الحر من جانب واحد، استعمار جديد عن طريق وسائل الإعلام، طرابلس الجماهيرية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، 1980، ص 4.
- 24 – حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 702.

دور وسائل الإعلام في ثقافة التسامح والمصالحة

د. الصديق خليفة الكيلاني

كلية الاقتصاد بالزاوية - جامعة الزاوية

المقدمة:

إنّ موضوع ثقافة التسامح هي إحدى المواضيع التي لم تحظى بأي اهتمام واسع في المجتمعات العربية العربية، وخاصتنا المجتمع الليبي خلال الآونة الأخيرة، بل يجب الدعوة لإحلال ثقافة السلام محل ثقافة الصراع، كما أنّ التسامح لا يعني المساواة، أو التنازل أو التساهل، بل التسامح هو قبل اتخاذ مواقف إيجابية فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحياته الأساسية المعترف بها عالمياً، ولا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بالقيم الأساسية، والتسامح ممارسة ينبغي أن يأخذ بها الأفراد والجماعات والدول، مؤكدة إنّ "التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية، سلسلة من القيم الأخلاقية والمعنوية التي تشجع على الاعتراف بالآخر، باعتبارها ظاهرة طبيعية لا بد من الاحتفاء بها، وتحويلها إلى فرص لترسيخ قيم التعايش والتجانس بين الناس، فينشر هذه الثقافة وتفعيلها بين الناس بصدق ونية صافية، يعود نفعها على مجتمعنا العربي الليبي وعلى البشرية جمعاء، والأخذ بمفهوم الفهم والوعي والعيش والتعايش والتسامح ونشر المحبة والأمن والسلام، حيث أنّ التسامح من أبرز القيم التي تسهم في استدامة المجتمعات البشرية وازدهارها، وإعلاء قيم العيش المشترك ومواجهة المصير الواحد، بحيث يعمل الجميع لتحقيق الأهداف الإنسانية المشتركة في ظل تعددية تبني ولا تهدم.

وعليه صارت وسائل الإعلام بأنواعه أداة رئيسة في توطيد ثقافة الحوار وزيادة الوعي ومعرفة الآخر، بل أصبحت "محرك نفاذ" نحو تعزيز ثقافة التسامح ومد جسور التواصل الإنساني من خلال محاصرة خطاب الكراهية، ونبذ ثقافة العنف، وعدم التحشيد والاصطفاف تجاه التصادم الحضاري، بل على العكس أصبح أداة حضارية لمد جسور التعارف، والتواصل الإنساني من أجل ما فيه خير لحياة الإنسان واستقراره، ولهذا فدور الإعلام أخذ بالتعاظم في النشاط البشري.

وعلى جميع الأصعدة خاصة فيما يتعلق ببناء قيم المجتمعات الإنسانية من خلال تطويرها وتميئتها فكرياً وثقافياً وسلوكياً إيجابياً، فالإنسان الذي كرمه الله من فوق سبع سموات جدير به على الأرض أن ينشر الحوار والتسامح والمحبة، طريقاً لبناء علاقات التعاون والإبداع والإنجاز الإنساني والابتعاد عن كل ما يعكر صفو المزاج العام، ويبعد عن الشرذمة والتفرقة - كون الإعلام وسيلة لترجمة رغبة الأفراد والجماعات نحو المثل العليا، وبناء منظومة السلام العادل الضامن للاستقرار والأمن والطمأنينة للعيش الكريم في ظل ثقافة السلام والتسامح وقبول الآخر، ولن نحاكم الماضي مهما كان محملاً من إجراءات خاطئة، فلا بد أن تكون بداية لبناء مستقبل جديد، مؤسس على السلام والتعايش والتسامح والمساواة، وتغيير الثقافة المجتمعية إيجابياً نحو السلام بغرض توجيه المسارات المرجوة من خلال إعلام تنموي واع يعزز من ثقافة الحوار، ويقوم على مبدأ التسامح مع الآخر، ويسعى لإيجاد الفرص المناسبة للتعايش معه، إنَّ الحوار والتسامح هما بلسم العلاقات مع الآخرين، وروح الاتصال الصحيح وبدونه تصبح الحياة جافة، وتفقد قيمتها في نشر ثقافة الحوار والتسامح بين أفراد المجتمع.

ملخص: تطور الصراعات السلطوية في مناطق العالم المختلفة (وبالأخص العربية)، هي نتاج لتخلف ولعدم وعي من كان سبباً لحدوثه، حيث ثقافة التسامح والعتو إحدى المفاهيم التي لم تحظى بأي اهتمام واسع، وخاصة في مجتمعنا العربي (الليبي بعد ثورة 17 فبراير) فمن الواجب الدعوة لإحلال ثقافة السلام محل ثقافة الصراع، كما أن التسامح لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل، بل التسامح هو اتخاذ مواقف إيجابية فيه أي إقرار بحق الآخرين، ولا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية، فأن ظاهرة التسامح ممارسة ينبغي أن يأخذ بها تأكيداً للتسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية، حيث يعد التسامح سلسلة من القيم الأخلاقية والمعنوية التي تشجع على الاعتراف بالآخر، وبالتسامح والعتو والتعايش السلمي بين الناس تعم المحبة والأمن والسلام، حيث من الأول تنطلق استدامة المجتمعات وازدهارها وإعلاء قيم العيش المشترك ومواجهة المصير الواحد، بحيث يعمل الجميع لتحقيق الأهداف الإنسانية المشتركة، فهذه الدراسة تهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية بليبيا، ومن خلاله نحاول

الاهتمام بظاهرة المصالحة، لكي تحقق الأهداف المنشودة من الأخيرة وتوحيد الصف وكسر الفرقة الاجتماعية والسياسية، والاهتمام برد المنظمات والاستماع لكل من لديه شكوى أو تظلم من كافة اللبيين المظلومين، إشراك منظمات المجتمع المدني؛ حتى يتسنى لكل أفراد المجتمع المتضررين طرح قضيتهم من خلال هذه المؤسسات.

أولاً- إشكالية الدراسة: ركز الباحث إن دراسة مفهوم ثقافة التسامح والعفو تعتبر من المواضيع البالغة الأهمية في الدول العربية هذا الوقت، وهي التي تكون له نتائج جوهرية من خلال مصالحة وطنية تقود أية بلد عربي إلى التقدم والرقى، أية دور تلعبه البيئة الداخلية والخارجية في ثقافة التعايش السلمي وكيفية تحقيق ذلك، ومما سبق يمكننا طرح الإشكالية التالية:

إلى أي حد يمكن اعتبار ثقافة التسامح والعفو مضمون يخرج بمصالحة وطنية تحقق

الاستقرار السياسي في معظم الدول التي شملته ثورات الربيع العربي؟.

ومن أجل الإجابة على إشكالية البحث قمنا بتقسيمها إلى أسئلة فرعية:

- ما هي أهم الجهود المبذولة لزرع ثقافة التسامح داخل المجتمعات العربية؟
- ما هو واقع المصالحة الوطنية من خلال غرس ثقافة التسامح والعفو بين أفراد المجتمعات العربية من أجل العيش الحر على مختلف الأصعدة؟
- ما هي أهم نتائج ثقافة التسامح والعفو من خلال اهتمام كافة وسائل الإعلام لغرس المصالحة الوطنية عند معظم الدول العربية؟.

ثانياً- أهداف الدراسة: حيث تنطلق من رؤية الباحث الأكاديمية لهذه الدراسة، فموضوع ثقافة التسامح من أجل المصالحة الوطنية يعد من الموضوعات الجديرة بالاهتمام في هذا الوقت عند معظم المجتمعات العربية، وبالأخص المجتمع العربي الليبي بعد ثورات الربيع العربي المفبرك، جوهر ثقافة التسامح المصالحة الوطنية لتكون آلية لتحقيق الاستقرار السياسي عند كل المجتمعات التي تفتقرها، والذي يطمح له كل متلقي أو مطلع على هذه الدراسة، وغير ذلك من المهتمين بجوهر هذا الموضوع من كافة المستويات.

ثالثاً- أهمية الدراسة: تتمثل الأهمية لهذه الدراسة من الآتي:

الأهمية العلمية: تتمثل في الإلمام حول هذه الدراسة والاهتمام بها من خلال جمع المعلومات الجيدة التي تنمي ثقافة التسامح لأجل المصالحة، داخل المجتمع وأيضاً داخل الجامعات العربية (الليبية) وأثر المكتبات بهذه الدراسة لكي تكون مرجع يعتد به، والخروج بنتائج جيدة.

رابعاً- منهجية الدراسة: استخدم الباحث في هذه الدراسة عدة مناهج حسب سياق المرحلة فقد تم الاستعانة بالمنهج الوصفي لوصف الحالات النظرية لثقافة التسامح والعفو، وبالأخص دوافع الاهتمام بهذا المصطلح الذي من خلاله نضمن جوهر المصالحة الوطنية، كما تم الاستعانة بالمنهج التاريخي لسرد الحقائق التاريخية لهذه الدراسة والمنهج المقارن حسب الحاجة.

خامساً- فرضيات الدراسة: انطلق الباحث من الفرضيات التالية، وذلك للإجابة على التساؤلات الآتية وهي:

- 1- هل ساهمت كافة وسائل الإعلام الجديدة في تهيئة عقول الشباب، ودفعهم نحو الاندماج في ثقافة التسامح والعفو للخروج بمصالح شاملة غير مشروطة؟
 - 2- هل الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية تهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية داخل المجتمعات العربية (المجتمع الليبي خاصتنا).
 - 3- هل يتوجب العمل على توسيع الاهتمام بثقافة التسامح والعفو بين كافة أفراد المجتمع، والذي تنطلق منه مضمون هذه الدراسة (المصالحة الوطنية) لتكون نواة لعملية الاستقرار السياسي المفتقد لكافة الدول التي شملته ثورات الربيع العربي .
- سادساً- مصادر الدراسة: ركزت هذه الدراسة الاعتماد على الكتب العلمية المتطورة لتكون مرجعية يفتدى بها والاعتماد على البحوث المعتمدة ذات الصلة بالدراسة، كما تم الاعتماد بعض المصادر المعلوماتية من شبكة الاتصالات(النت).

سابعاً- تقسيمات الدراسة:

تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين:

المبحث الأول: ثقافة التسامح والعفو والتنازل لأجل التصالح.

المطلب الأول: المفهوم العام للمصالحة الوطنية.

المطلب الثاني: دور وسائل الإعلام في مساهمة ثقافة الحوار والتسامح.

المبحث الثاني: منظمات المجتمع المدني ودورها في المصالحة الوطنية.

الحوار الوطني. المطلب الأول:

المطلب الثاني: الاهتمام بالحقوق المدنية.

الخاتمة - الاستنتاجات - التوصيات - هوامش الدراسة.

المبحث الأول- ثقافة التسامح والعتو من حيث التعريف والمفهوم: إن مفهوم التسامح يدل على احترام تبادلي بين الأفراد والآراء، وإظهار اللطف والأدب، ويعرفه بعض الفلاسفة وأهل اللغة والاجتماع على وصف التسامح كقيمة- بأنه العطاء والبذل المتفضل الذي لا إجبار فيه ولا واجب، وهو السهولة في المعاملات، وإنفاذ الأمور وتيسيرها في الجانب اللين والتلطّف⁽¹⁾، فقيمة التسامح تعد من أهم القيم الإنسانية الحياتية العالمية، إذ يُنظر إليه على صعيد الفرد كمكتسب قيمي راق، يعزز احترام الفرد لذاته وارتباطه بالآخرين، كما يُنظر إلى التسامح مجتمعياً على أنه تشريع ذاتي مُستحق، يضمن تحصيل الحقوق وأداء الواجبات لخلق مجتمعاً متراحماً ملتحمًا، وتُشكّل هذه النظرة تجاه التسامح مسؤوليةً سياسيةً وكياناً قيماً، يُحتّم على الجميع احترامه والالتزام بمضامينه وأخلاقياته، وقد نصّت العديد من البيانات والإشعارات والتقارير الأممية الحديثة على أهمية تعميم التسامح كسمة عالمية، لما يترتب عليها من حفظ الأرواح والحريات والحقوق، وتجنب العالم ويلات الحروب والتشريد، والتركيز على المنجزات⁽²⁾، والسعي إلى تطوير الشعوب بدلاً من صناعة الأزمات وخلق الصراعات، كما تضمّن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م، سعياً لتعميم التسامح، حيث ضمّن الإعلان في بنده الأول تأكيداً على حرية الأفراد منذ ولادتهم، وحقّهم في حفظ حياتهم وكرامتهم، وأشار في مادته السادسة والعشرين إلى أنّ تنمية التسامح لدى الأفراد كلّهم على اختلاف جنسيّاتهم وأعرافهم ودياناتهم هو أحد أهداف التربية، أثر التسامح في حياة الفرد والمجتمعات لا تتوقّف أهمية التسامح وقيّمته على المعاملات الفردية البسيطة وأنماط العلاقات بين الأفراد، بلّ التسامح حاجةً مجتمعيةً ملحّةً وأساسٌ تقوم عليه كافة المجتمعات البشرية⁽³⁾، فالصورة الأخلاقية

والواقعية للتسامح تنعكس على جميع أنظمة المجتمعات وتقدمها وتطورها، وعلى فرض انتفاء هذه القيمة المجتمعية ستنتشر مفاهيم العنف والتعصب والتطرف، فنتعطل المصالح، وتتهدم الحضارات وتترزع عوامل أمنها واستقرارها، وتظهر سيادة الآراء، ويعتبر التسامح من طرق الوصول إلى الله سبحانه وتعالى-السعادة-الحب-، حيث يفتح الفرص للتخلص من الخزي، واللوم، والذنب، كما أنه يطهر الروح والقلب، ويزيد الشعور بالاستقرار النفسي والأمن، وقد يكون التسامح على مستوى الأفراد، والجماعات، والدول، ويعرف التسامح أيضاً بأنه الاحترام، والتقدير، والقبول للصفات الإنسانية، ولأشكال التعبير، وللتنوع الثقافي.

كما أنه من الأمور المهمة التي دعا لها العظماء على مر الزمان، وخاصة (الرسول المصطفى محمد -صلى الله عليه وسلم- والعديد من الأنبياء المرسلين)، حيث لم يكره أحداً من قومه على الدخول بالإسلام، وبذلك كان خير إمام للدعوات السلمية بالرغم مما لاقاه من ظلم وأذى واضطهاد، تظهر أهمية التسامح جلية في العديد من جوانب الحياة المختلفة، حيث يزيد التكافل بين أفراد المجتمع، ويبعث على الشعور بالسعادة، مما يقلل نسبة العصبية والتوتر التي تؤدي إلى انتشار الجريمة والعنف في المجتمع، بالإضافة إلى أنه يبني المجتمع، ويجعله يزدهر من خلال فتح آفاق السعادة والحب بين الأفراد، وتقوية العلاقات الاجتماعية، ويزيد تحضر المجتمع ويوحده، كما أنه من الأعمال "التي يؤجر الإنسان على فعلها كونها تنقي القلوب، وترفع صاحبها لأعلى المراتب، وهو من الأمور التي تقوي الجهاز المناعي، وتقلل نسبة تلف خلايا الدماغ العصبية، للتسامح العديد من الأشكال المتمثلة في التسامح الديني"⁽⁴⁾.

وظهر ذلك جلياً في العديد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**، حيث يظهر ذلك التعايش مع الديانات الأخرى مع مراعاة ممارسة الشعائر الدينية والطقوس لكل ديانة بعيداً عن التعصب، والتسامح في المعاملات، والتسامح الثقافي الذي يعطي لكل مجتمع الحق في الاعتزاز بثقافته ونشرها، واحترام آراء الآخرين مع تجنب تجاوز آداب الحوار العامة، والتسامح العرقي الذي ينبذ

التعصب القائم على النظرة الدونية للأعراق أو الأصول، إنَّ الحوار والتسامح هما بلسم العلاقات مع الآخرين⁽⁵⁾، وروح الاتصال الصحيح وبدونه تصبح الحياة جافة وتفقد قيمتها ولا يصبح للاتصال معنى ولا روح، وهو أساس مهم جداً في الاتصالات و العلاقات البشرية، إنَّ البشرية اليوم تعيش في مأساة عظيمة، حروب وكوارث ومؤامرات وخيانات ويعاني ملايين من الناس بمختلف فئاته من الظلم والقهر وقلة الأمان، لذا فاتصافنا بالحوار التسامح ليس مفيداً لنا ولا للمحيط الذي نعيش فيه فحسب، بل هو مفيد للبشرية جمعاء، فالمصالحة الوطنية مهمة جداً بالنسبة لليبين، وتعتبر عنصراً حاسماً في الانتقال إلى الديمقراطية الكاملة والحرية في ليبيا، كذلك هي الدفع النهائي المتمثل في بناء السلام والتسامح والثقة بين الليبيين والليبيات أينما وجدت، تتواجد الثقة والعدالة والسلام والعيش في أمان لكل أفراد الوطن الليبي الواحد.

إنَّ المصالحة هي شكل من أشكال العدالة الانتقالية التي تكون ضرورية لإعادة تأسيس الوطن على أسس شرعية قانونية وتعددية وديمقراطية في الوقت ذات، المصالحة التي تطوي صفحة سوداء قاتمة من تاريخ ليبيا المعاصر، فرضها علينا المتربصون من قتل وتشريد وتهجير، مظلمة كظلام عقولهم الدامس، إنَّ المصالحة الوطنية الشاملة أضحت مطلباً مصيرياً وواجباً وطنياً، فما أخرجنا إليها لنطوي صفحة هذا الواقع المؤلم.

ويجب فتح صفحة جديدة تبدأ بتغليب مصلحة الوطن العليا، المصالحة التي توجب التنازل بشجاعة من كل الأطراف عن جملة من المظالم التي ارتكبت من هذا الطرف أو ذاك لصالح الالتقاء حول نقاط توافق وطني تجمع ولا تفرق -تلم ولا تشتت -بؤرتها وطن واحد اسمه ليبيا⁽⁶⁾.

ليس لدينا من مخرج سوى أنْ نلتقي القيادات الفاعلة من كل أطراف الليبيين بمختلف مكوناتهم الاجتماعية والسياسية دون تمييز تحت سقف الوطن وفوق بساطه لتقرر جماعياً العفو العام، وننطلق جميعاً نضمّ جراحنا النازفة ونكفّف دموعنا المنسكبة، فكفانا قتلاً وتشرداً وتهجيراً، كفانا إهداراً لثروتنا ونهباً لخيرات وطننا، كفانا صمتاً وسلبيةً، كفانا فتنةً وحقدًا وانتقاماً أيها الليبيون لم يبق من الوقت متسعاً فسارعوا إلى التصالح قبل أنْ تبتكوا على أطلالها.

المفهوم العام للمصالحة الوطنية:

المطلب الأول: تعد المصالحة الوطنية مهمة جداً في هذا الوقت العصيب، وهي عملية لدفع النهائي المتمثل في بناء السلام والتسامح بين كل الأطراف المتنازعة، أينما توجد المصالحة تتواجد الثقة والرحمة والعدالة والسلام والعيش في أمان، فالمصالحة تعتمد على تجميع الناس مع بعض، وتمكينهم من النمو والتطور والرقي خارج الماضي البغيض، الذي فرقه وحاول تفريق شملهم على أساس عرقي أو قبلي أو جهوي أو عائلي أو إيديولوجي، والمصالحة تهدف إلى خلق علاقات طبيعية وسلمية مبنية على الثقة والتعايش مع البعض من أجل وحدة البلد وأمنها واستقرارها والاعتراف بالخطأ⁽⁷⁾، فنحن بحاجة لتحقيق المصالحة الوطنية والاستفادة من حركة التاريخ التي وضحت كيف قررت بعض الدول طي صفحة الماضي من الظلم والاستبداد، ومن ذلك الإقدياء بتجربة جنوب إفريقيا والاستفادة من (مشروع مانديلا للمصالحة الوطنية)، فتجربة جنوب إفريقيا كانت ناجحة في استمرار الدولة، ولا اعتقد أن ثمة هناك شعب في العالم عانى أكثر من جنوب إفريقيا إبان فترة التطهير والفصل العنصري، إلا أن فضل المصالحة الوطنية يتضمن خارطة واضحة المعالم، تضمن استقرار وبقاء الدولة، وفي هذا السياق فالمشهد الليبي اليوم في حاجة كبيرة للتعايش بشكل واقعي، يغلب فيه مصلحة الوطن عن مصلحة الفرد أو المجموعة.

فبذلك تنهج سنة التعايش واستمرارية الحياة، كون العداوات لا تورث، فالمصالحة الوطنية National reconciliation تتطلب تغيير الذهنية العامة، والإقرار بالذنب والندم من جانب المخطئ، والعفو طواعية من قبل الضحية، ثم الدولة بالعفو العام. كما قال تعالى (فاصفح الصفح الجميل) بعد جبر الضرر، وهذا لا يعني ترك المحاسبة والمساءلة والمحاكمة، التي تشخص الخطأ الفردي وعدم الإفلات من العقاب لمن ارتكب الانتهاكات، ويكون تحذيراً لمن يفكر في ارتكاب جرائم في المستقبل، فالمصالحة لا تعني بالضرورة ترك المحاسبة، ولكن يجب أن تكون فردية للمذنب وليست اتهام وحكم جماعي مطلق، المصالحة الوطنية تتطلب ضرورة جبر الضرر، بمعالجة انتهاكات حقوق الإنسان، وتحقيق العدالة الانتقالية Transitional Justice، ولعل من نافلة القول نشير

إلى أن المصالحة الوطنية، هي تعبير عما يتم بذله من جهود وتقديم تنازلات، وما يتم التوصل إليه من توافقات لتجاوز حالة من الاختلاف المتسع بين أطراف وأطراف العمل السياسي الوطني بما يزيل أهم أسباب تلك الخلافات، ومن ثم يتم تقليل مواطن الخلاف أملاً في تحقيق توافق وطني يلتقي عليه معظم أو كل الأطراف⁽⁸⁾، ولذلك يطلق على هذا التوافق مصالحة وطنية بهدف طي صفحة تلك المرحلة، والبدء بمرحلة جديدة من العمل الوطني بمشاركة كل الأطراف، وتخفيف التوتر والتناثر الذي خلفته تلك المرحلة، ومن هذا وحسب وجهة نظر الباحث لم تستقر الأوضاع السياسية والأمنية، حتى الاجتماعية في ليبيا الا بتفعيل جوهر هذه الدراسة واقعياً، فليبيا التي لم تتمكن بعد سنوات من تضييد جراحها، بقيت تعرف في 2011، تشظياً وانقسامات زادت من وتيرة الفوضى، وانعكست سلباً على الاقتصاد الذي بات على حافة الانهيار، وأمام هذا الانسداد والتدهور المخيف، تحركت الدبلوماسية لحلحلة الأزمة السياسية بالاستناد إلى المرجعية الأممية والاعتماد على الحوار.

ورغم أن حدة الصراعات المسلحة داخل ليبيا قد خفت كثيراً عن ذي قبل، إلا أن المفاوضات والمشاورات والاجتماعات التي تعقد داخل ليبيا وخارجها بين السياسيين الفاعلين، لم تصل إلى صيغة توافقية نهائية ترضي كل أطراف العملية السياسية، وتحقق مصالح الشعب الليبي من استقرار سياسي وأمني لبناء ما تهدم على مدى سنوات، ويأمل المتابعون للشأن الليبي أن تكون المصالحة الوطنية بوابة استقرار هذا البلد الممزق وخروجه من أزمة طال أمدها⁽⁹⁾.

المطلب الثاني- وسيلة الإعلام في مساهمة ثقافة الحوار: يشهد العصر الحالي تقدماً ملحوظاً في تقنيات وإمكانيات وسائل الإعلام سواء من حيث الفاعلية أو سهولة الاستخدام، ومدى تأثيرها على المتلقي وفقاً لإمكانيات كل وسيلة، وإزاء هذا التطور التقني في إمكانيات هذه الوسائل، فنتوقع منها دوراً حيوياً ولموسماً في مجال ثقافة الحوار والتسامح نظراً لقدرتها في الوصول إلى فئات متعددة، ومختلفة من المجتمع وقيادة برامج التوعية المنظمة من خلال بثها في وقت واحد وللملايين البشر، مما يمكنها من ربط المجتمع اجتماعياً وثقافياً مع بعضه البعض، وتحقيق الأهداف، وتحديد الأولويات الاجتماعية للعمل

ودعم وتعزيز القيم والثوابت في المجتمع والتنسيق والتعاون مع المؤسسات ذات الغايات المتماثلة، فما تتميز به وسائل الإعلام لكونه تعكس جوانب الثقافة العامة في المجتمع، كما تشبع الحاجات النفسية مثل الحاجة إلى المعلومات والتسلية والترفيه والأخبار، ودعم الاتجاهات النفسية، وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها، ويزداد تأثير وسائل الإعلام بالتكرار الذي يعاون في عملية الاستيعاب وبجاذبية المادة نفسها، فوسائل الإعلام تهدف إلى الإقناع عن طريق بث المعلومات والأخبار والحقائق، والمساهمة في تشكيل اتجاهات المواطنين من خلال تشجيعهم على ممارسة حرية التعبير عن الرأي، مع تنمية وعيهم بالقضايا المجتمعية المختلفة، وذلك لتحقيق الأمن والانتماء والحب للوطن، إنَّ الحوار والتسامح هما بلسم العلاقات مع الآخرين، وروح الاتصال الصحيح وبدونه تصبح الحياة جافة وتفقد قيمتها، ولا يصبح للاتصال معنى ولا روح وهو أساس مهم جداً في الاتصالات والعلاقات البشرية⁽¹⁰⁾، إنَّ البشرية اليوم تعيش في مأساة عظيمة، من حروب وكوارث ومؤامرات وخيانات ويعاني ملايين من الناس بمختلف فئاته من الظلم والقهر و قلة الأمان، لذا فاتصافنا بالحوار والتسامح ليس مفيداً لنا، ولا للمحيط الذي نعيشه فيه، إنَّ نظرية المسؤولية الاجتماعية في العملية الإعلامية، هو المعول عليها بحيث تقوم وسائل الإعلام بمهمة إشاعة ثقافة الحوار، وتجعل من الرأي العام رقيباً على آداب مهنة الإعلام بعد أن استخدمت وسائل الإعلام في الإثارة والخوض في أخبار الجنس والجريمة في بعض الحالات، ويرى أصحاب هذه النظرية أنَّ الحرية الإعلامية حق وواجب ومسؤولية في الوقت نفسه، فلا بد أن تتولى وسائل الإعلام القيام بالتزامات معينة تجاه المجتمع، حتى يمكنها القيام بهذه الالتزامات من خلال وضع مستويات أو معايير مهنية للإعلام مثل الصدق والموضوعية والتوازن والدقة التي تفتقد إليها بعض وسائل الإعلام، وتؤمن النظرية بأنه يجب أن تكون وسائل الإعلام تعددية تعكس تنوع الآراء والأفكار في المجتمع .

من خلال إتاحة الفرصة للجميع من خلال النشر والعرض، كما أنَّ للجُمهور العام الحق في أن يتوقع من وسائل الإعلام مستويات أداء عالية، فضلاً عن ذلك نجد أنَّ الإعلاميين في وسائل الإعلام لا بد أن يكونوا مسؤولين أمام المجتمع إلى جانب مسؤولياتهم

أمام مؤسساتهم الإعلامية، ويحضر على وسائل الإعلام نشر أو عرض ما يساعد على الجريمة أو العنف أو ماله تأثير سلبي على المجتمع، حيث يجب أن تنطلق كل القنوات الإعلامية المرئية والمكتوبة والألكترونية في وقت سابق ومتزامن مع بدء الفعاليات الاجتماعية، فيتم بث برامج تحث على المصالحة، وتكون ذات خطاب يوجه إلى ضرورة التوافق والتصالح بين المكونات الليبية المتنازعة والمتعارضة، عن طريق عرض التجارب العالمية في هذا الخصوص، كتجربة جنوب أفريقيا الرائدة في المصالحة، وأيضاً تجربة الجزائر غير المشروطة⁽¹¹⁾، ويكون ذلك عبر الأشرطة الوثائقية- والبرامج الحوارية- والإعلانات- والصحف اليومية- والمجلات والإذاعة-، ومن كل ما سبق لأبد إشاعة ثقافة الحوار والتسامح لدى عامة الناس، سواء من خلال وسائل الإعلام أو داخل كافة مؤسسات المجتمع المدني، لما له من دور ريادي في نشر المعلومات السليمة في هذا المجال في وضع البرامج التنقيفية لخلق قاعدة واسعة من المفاهيم الاجتماعية الثقافية السليمة، وهو سر نجاح آلية برامج إشاعة ثقافة الحوار وغرس سلوكيات العفو والتسامح من المسلم به، حيث يتوجب خلق سلوكيات اجتماعية يجب أن ندرّب الناس عليها، وتتعلق هذه السلوكيات بالفرد بصورة خاصة⁽¹²⁾، ونقصد بذلك كيفية تعامله بالأسلوب السليم المبني على القواعد الاجتماعية السليمة.

المبحث الثاني-منظمات المجتمع المدني ودورها في المصالحة الوطنية: تعد منظمات المجتمع المدني أحد اللاعبين الجدد على الساحة الليبية، وقد نجحت في فرض نفسها بشكل كبير كلاعب رئيسي متخطياً كل الاختلافات المناطقية والسياسية متحدتاً بصوت ليبيا الحر، ونجحت هذه المنظمات في لعب أدوار هامة سواء جهود الإغاثة للمناطق المنكوبة، أو حتى للجبهات في وقت الحرب، أو في قيادة عملية التحول الديمقراطي، والمساهمة بشكل فعال في إدارة عمليات تسجيل الناخبين والإشراف على الانتخابات والتوعية بالدستور، ويقدر عدد الجمعيات الأهلية بحوالي 7 آلاف جمعية أهلية لمبدأ المصالحة والوفاق الاجتماعي، إذاً هي تلعب دوراً كبيراً في ضمان مستقبل البلاد من خلال الدعوات المستمرة والمتعلقة بضرورة الحوار والمصالحة الوطنية، وإلى حاجة إلى الوحدة والألفة والتفاعل الوطني والاجتماعي، وجمع الكتل السياسية والكيانات والحركات⁽¹³⁾، فأبناء

عامة الشعب مدعوون اليوم أكثر من إي وقت مضى، إلى الإسهام الجديد الفعال في بناء ليبيا الجديدة على أسس القانون والحقوق الدستورية، وخصائص الثقافة الديمقراطية في احترام الرأي والرأي الآخر، وتشجيع الحوار الهادف بغية الوصول إلى فهم مشترك لأساليب العمل الوطني، والشروع بإجراءات من شأنها أن تقوي مؤسسات الدولة، وتمنح إمكانية روح التشريع المنصف والعاقل في إطار معادلة الحقوق والمساواة لجميع شرائح المجتمع، وبما يحترم ويعزز مسيرة البناء الديمقراطي المتجه صوب مستقبل الدولة المعاصرة ذات الحضور، ويدعم مكانتها في رفد السلم والتضامن، ويحقق مشروعها النهضوي المستقبلي الإقليمي والدولي، وكما معروف لدينا جميعاً أن منظمات المجتمع المدني طالبت وتطالب في هذا السياق على ضرورة تفعيل العمل وتعزيز الثقة المتبادلة والتعامل على نحو واضح وشفاف في كل الخلافات والمشكلات العالقة والتركيز على القضاء والمؤسسات القانونية، واستكمال تفاصيل بنائها في تحقيق الأمن والعدالة وإشاعة الوئام والهدوء في شتى أنحاء البلاد على العموم، لقد كان للمجتمع المدني دوراً واضحاً في الحراك السياسي⁽¹⁴⁾، إن العمل على توفير الخدمات العامة والقضاء على البطالة وتفعيل دور المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية فضلاً عن إعطاء دور مميز لمنظمات المجتمع المدني ومؤسساته من شأنه أن يحقق آفاقاً حقيقية لإشاعة ثقافة التسامح وحل المشكلات والمنازعات، وتجنب العنف والقتل والوقوف بوجه الإرهاب والاحتراب الجهوي المقيت، وأنا اعتقد أن دورنا سيكون له أثر كبير في شحن روح المصالحة الوطنية، وذلك من خلال توسيع دائرة الحوار بين الكتل والمكونات الأساسية للشعب الليبي لبلوغ الهدف الأسمى الذي جاءت به مبادرة المصالحة الوطنية والحوار، وفي هذه المرحلة الصعبة التي تمر على ليبيا بادرت هذه المنظمات إلى دعم المصالحة الوطنية⁽¹⁵⁾، من أجل الحفاظ على وحدة تراب الوطن الليبي الموحد، ورفضت التقسيم رفضاً قاطعاً، ومن هنا نعتبر المبادرة الوطنية في المصالحة دعوة لحل كل مشكلات البلاد، وتوحيد الصفوف ضد كل أنواع التشرذم، وعلى المنظمات أيضاً أن تتعهد في نشر روح العمل الجاد على توسيع دائرة المصالحة الوطنية والحوار بين أبناء الشعب الواحد فهي خطوة إلى الأمام. ومؤتمرات منظمات المجتمع المدني الذي يمثل إسهامه نوعية في

هذا الاتجاه، الذي يرمي إلى وحدة ليبيا وتمتين أواصر المحبة والسلام بين أطرافه وشرائحه وأقلياته ومذاهبه.

إنّ مبدأ المصالحة والوفاق الاجتماعي يلعب دوراً كبيراً في ضمان مستقبل البلاد والجهود التي تنصب لتفعيل المصالحة وتذليل المشكلات والنزاعات السياسية، سيسهم في إنجاح هذه المبادرة التي تعد القاعدة الأساسية لتوطين العملية السياسية، وترسيخ خطتها وبناء مؤسسات الدولة الآمنة المستقرة والمنتجة في آن واحد⁽¹⁶⁾.

فلا بدّ لنا أن نسعى وبإصرار دائم على ترجمة هذه الأفكار والبرامج إلى أفعال وأعمال وإنجازات كي نحصد ثمارها سريعاً، إنّ التسامح والسلام واحتضان خطاب اجتماعي وطني موحد يعمل على حماية الحريات العامة وحقوق الإنسان، وشد الأواصر والمحبة بين عامة الناس، كما يعتقد الكثير من الليبيين أنّ الطريق إلى المصالحة الوطنية يتطلب ترسيخ سيادة القانون، قانون عدالة انتقالية وتجنب السير في نهج من أعلى إلى أسفل ستحتاجه ليبيا إلى حوار وطني شامل - بعبارة أخرى - تعمل العدالة إلى توفير الوسائل الانتقالية والحوار الوطني من أجل تحقيق مصالحة وطنية تتوافق عليها الأطراف المعنية كافة.

الحوار الوطني - المطلب الأول: يعتبر الحوار الوطني عنصراً حيوياً في ما بعد الصراع، فهو يوفر وسيلة لمختلف أطراف الصراع لمناقشة القضايا الحساسة، ويؤمن بيئة تحدث حلولاً ممكنة مشتركة ومستدامة، ومن الأنجح أن يكون الحوار الوطني أكثر أهمية في ليبيا من أي مكان آخر، بما أنّ البلاد قد ظهرت فقط بعد أربعة عقود من الاتصالات الهرمية.

والتي تبدأ من أعلى الهرم إلى أسفله - هذه هي الأوامر والاملاءات الدكتاتورية غير القابلة وبالإضافة إلى هذا التحول الثقافي، تجعل التحديات الهائلة التي يواجهها المجتمع الليبي الآن، والحاجة إلى حلول شعبية قائمة على توافق الآراء - من الحوار الوطني، ولكن حتى وسط هذا الوضع الملبّد بالغيوم، ما زالت الفرص متوافرة لإنقاذ ليبيا من ورطتها والخروج بها إلى بر الأمان، ولعل الفرصة الأولى والأهم تتمثل في الدعوة لعقد مؤتمر جامع وعاجل للمصالحة الوطنية الشاملة.

ولا بد أن ينطلق السعي إلى «المصالحة» من «المصارحة» لكي يتمكن الجميع من تناسي آلام الماضي التي تصر بعض الأطراف على استرجاعها للمتاجرة، والترفع فوق مستوى الأحداث، والنأي بالنفوس عن الخلافات، ووعي حقيقة أن ليس هناك رابح أو خاسر⁽¹⁷⁾.

وهذا حتماً يقضي بالعمل جدياً على حل الميليشيات جميعاً وجمع الأسلحة، ولو تطلب الأمر الاستعانة بقوات أممية.

فالوقت ليس في مصلحة ليبيا ولا الليبيين، وهذا يعني التحرك بسرعة لبناء أجهزة سلطة يحترمها الجميع، وتتمتع بتمثيل واسع.

وهي وحدها ستكون كفيلة بإنقاذ البلاد من وضعية «الدولة الفاشلة»، ثم التحرك السريع من شأنه قطع الطريق على الأيدي الدخيلة على الشأن الليبي.

وعلى نشاط الجماعات المتطرفة، دينياً ومذهبياً وعرقياً، التي تسعى لخدمة مشاريعها الخاصة على حساب الصالح الليبي العام وسيادة الدولة وازدهارها ليبيا تنتسج لكل الليبيين، فلا يمكن لأحد إقصاء أحد، كل ما ينقصها هو إرادة ساستها وتصميمهم على النهوض بها ونسيان خلافاتهم ونزاعاتهم، وأن يعلنوا أن ليبيا فوق الجميع.

المطلب الثاني - الاهتمام بالحقوق المدنية: محاولة تعويض ضرر ماض إلى أقصى حد ممكن هو عنصر رئيسي من العدالة الانتقالية، وقد استخدم التعويض عن الضحايا وأسره في معظم حالات ما بعد الصراع للمساعدة على تحقيق المصالحة الوطنية، وعادة ما يأتي التعويض على شكلين - مالي ورمزي - وفي حالة ما يكون التعويض المالي عملية مكلفة جداً غالباً ليبيا، أمام الانتشار الواسع لانتهاكات حقوق الإنسان، أصبح لزاماً على الحكومات ليس فقط التصدي لمرتكبي هذه التجاوزات بل أيضاً ضمان حقوق الضحايا، وبوسع الحكومات تهيئة الظروف الملائمة لصيانة كرامة الضحايا وتحقيق العدل بواسطة التعويض عن بعض ما لحق بهم من الضرر والمعاناة⁽¹⁸⁾.

وينطوي مفهوم جبر الضرر على معاني عدة من بينها التعويض عن الضرر، أو ضياع الفرص، رد الاعتبار (لمساندة الضحايا معنوياً وفي حياتهم اليومية والاسترجاع استعادة ما فقد قدر المستطاع، يمكننا لتمييز بين التعويضات بحسب النوع مادية ومعنوية

والفئة المستهدفة (فردية جماعية، ويمكن أن يتم التعويض المادي عن طريق منح أموال أو محفزات مادية، تقديم خدمات مجانية أو تفضيلية كالصحة والتعليم والسكن، أمّا التعويض المعنوي فيكون مثلاً عبر إصدار اعتذار رسمي، خلق فضاء عمومي لتخليد ذكرى أو إعلان يوم وطني للذكرى. وتتعدد الأهداف المتوخاة من تدابير جبر الضرر مثل الإقرار بفضل الضحايا جماعات وأفراد. وترسيخ ذكرى الانتهاكات في الذاكرة الجماعية، تشجيع التضامن الاجتماعي مع الضحايا، إعطاء رداً ملموساً على مطالب رفع الحيف وتهيئة المناخ الملائم للمصالحة عبر استرجاع ثقة الضحايا في الدولة، إضافة إلى أن مبدأ التعويضات أصبح إلزامياً بموجب القانون الدولي. سواء منحت للضحايا تعويضات مادية أو لم تمنح، من المهم أن تؤخذ بعين الاعتبار كذلك عدد من الأشكال الإضافية والهامة من أشكال تعويض الضحايا⁽¹⁹⁾ - أولاً- قد يكون من المهم في بعض السياقات، بالنسبة إلى حكومة جديدة أن تحاول إعادة الحقوق القانونية إلى الضحايا أو ممتلكاتهم، مثل إجراءات مساعدة السكان الذين تم ترحيلهم بالقوة أو الذين سرقت أراضيهم، أو إرجاع حقوق الحرية والمكانة الاجتماعية والجنسية، أو إعادة الإدماج في المناصب السابقة في الوظائف العمومية.

ثانياً- قد يكون كذلك من المهم في بعض السياقات وضع برامج خاصة لإعادة تأهيل الضحايا، بما في ذلك المواصلة العاطفية والعلاج البدني أو المساعدة الطبية. ثالثاً، ثمة مجموعة واسعة من الإجراءات الرمزية لجبر الضرر التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار، سواء بالنسبة إلى الضحايا بشكل فردي مثلاً (رسائل شخصية للاعتذار من طرف الحكومات الموالية- أو مراسم دفن ملائمة للضحايا القتلى)⁽²⁰⁾.

والاعتراف الرسمي بما جرى من قمع في الماضي- أو تخصيص فضاء عام- وأسماء الشوارع، رعاية العروض الخاصة أو الأعمال الفنية- بناء النصب التذكارية العامة والمآثر والمتاحف كل ذلك مما ذكر في هذه الدراسة ينصب في بوتقة المصالحة الوطنية التي تتطلق من ثقافة التسامح والتعايش داخل المجتمعات العربية الإسلامية والتي نهى الله وديننا الحنيف عن ذلك.

الخاتمة: إنَّ الحاجة للمصالحة الوطنية العادلة والشاملة والمقبولة كصيغة إنفاذه لليبيا فهي أفضل خيارات أبنائه، وبديلها احتراب أهلي مرشح بقوة إنَّ ينتهي بتقسيم البلاد أو يبقياها في مربع الأمن والاستقرار واللائمة، الذي يدفع ثمنه الجميع أو يصيرها إلى دويلات عرقية طائفية تتنازع السلطة والثروة والسيادة عندها، إنَّ المصالحة أفضل الحلول بل أقلَّ الحلول خسارة بالمال والرجال والإمكانات وسواها من البدائل الكارثية، ولا يمكن التنبؤ بنتائجها المدمرة إضافة لما للمصالحة من أفضل طريقة لاستعادة وحدة وهيبة الدولة، وأهم حاضن يضمن محاربة الإرهاب والجريمة والفساد والفوضى في ليبيا، مبنياً على المصالحة وإنَّ كانت شائكة ومعقدة تتداخل فيها الخلافات والصراعات الداخلية والإقليمية والدولية، إلا أنَّها قابلة للإنجاز إذا توفر الفهم العميق والرغبة الصادقة والإرادة القوية والسياسات المرنة، والهدف من المصالحة إنجاز تسوية تاريخية ليبية تحت عنوان مصالحة وطنية شاملة وعادلة وراسخة ومورد قبول ودعم الكل الوطني عبر الالتزام بوحدة ليبيا ووحدة وسيادته ومصالحه برأي عام تصالحي مطالب وضابط لإنجاز المصالحة كصيغة إنفاذ للمجتمع والدولة من الانهيار أو الاحتراب الداخلي والارتهان الخارجي. وتدعيم الهوية الوطنية والخصوصية والمصالح المشتركة لليبيين وترسيخ الثقافة الوطنية والقيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية كنظام وثقافة تمتاز بها منظومتنا الحياتية مع تأكيد قيم العدالة والمساواة والتكافؤ والتسامح والحوار والاحترام المتبادل كقواعد تحتية منتجة للتعايش.

نتائج الدراسة: الظروف الحالية تتطلب تحقيق المصالحة الوطنية كافة داخل (المجتمعات العربية) ولبيا خاصة، حيث مرت على دول ثورات الربيع العربي أكثر من سبعة سنوات، ولا يزال السلم والاستقرار بعيد المنال، ولكي تكون المصالحة ناجحة ومثمرة وتضمد الجراح، يتوجب تحقق الأهداف المنشودة لها وتوحيد الصف وكسر الفرقة الاجتماعية والسياسية، فتوجد عوامل معينة يجب تطبيقها ودراستها وهي:

1- التشريع الإصلاحي وهذا يتم من خلال الاستماع لكل من لديه شكوى أو تظلم من الليبيين.

- 2- تعهد الساسة نهج ثقافة التسامح والعفو والعمل على تطبيق وتتبع عملية المصالحة حتى لا تحدث ردّة فعل مستقبلية على مختلف الأصعدة.
 - 3- لا بد من وجود العدالة التصالحية التي منها إصلاح الضرر على المجني عليه.
 - 4- إشراك منظمات المجتمع المدني حتى يتسنى لكل أفراد المجتمع المتضررين طرح قضيتهم من خلال هذه المنظمات.
 - 5- بناء توافق في الآراء بين الهيئة واللجان المشكلة للمصالحة، ومن يعارضون المصالحة.
 - 6- إظهار الحقيقة كاملة وبكل شفافية للناس عامة ومن خلال الإعلام والمساجد.
 - 7- توعية الشعب الليبي لتضميد الجراح و تطبيق مبدأ المصالحة الوطنية من خلال فهم مدلول ثقافة التسامح والعفو.
 - 8- البحث عن أسس الصدمة والحزن للشعب الليبي من خلال برامج بحثية تقوم بها الهيئات المختصة ووضع حلول لها.
- توصيات الدراسة:**
- 1- يوصي الباحث بالاهتمام بثقافة التسامح والعفو داخل المجتمعات العربية التي منبعا ديننا الحنيف، لكي نصل إلى ثقافة العيش الآمن والكرام من مصالحة وطنية غير مشروطة.
 - 2- توصل الباحث من خلال هذه الدراسة لمعالجة أسباب الصدمة والحزن جراء سنوات الظلم، ليعم الاستقرار على مختلف التسميات.
 - 3- الوجود التأكيد لوضع برامج خاصة داخل المجتمع للمعالجة مختلف الصراعات الجهوية واستعمال هيئة المصالحة الاجتماعية بمختلف الأشكال لذلك.
 - 4- يوصي الباحث في هذه الدراسة إلى الاستعانة بالخبرات الدولية والهيئات والمؤسسات العالمية لما لها خبرات في المصالحات الوطنية (كجنوب إفريقيا- الجزائر) للاستفادة من تلك التجارب.
 - 5- يجب أن يكون هنالك تمويل ووضع أولويات مالية لذلك لإنجاح مشروع المصالحة، من خلال لقاءات بكافة الشرائح والمؤسسات ذات الاحتياج لذلك.

- 6- تهدف الدراسة للبحث عن الحقيقة وتقصي الحقائق (سواء من خلال تحقيقات رسمية وطنية مثل لجان الحقيقة والإنصاف)، أو لجان متخصصة من المنظمات الغير الحكومية المحلية والإقليمية، وإنّ تتطلب الأمر دولية لأخذ الحقوق.
- 7- توصلت الدراسة إلى جبر الضرر سواء من خلال التعويض الرمزي أو العيني للمتضررين.

هوامش الدراسة:

- 1- تعريف التسامح ، www.almaany.com ، اطلع عليه بتاريخ 26-10-2017م.
- 2- " The Philosophy Resource", www.thephilosophyresource.co.uk,
dorar.net ، " Retrieved 6 -120171-20
- 3- معنى السماحة لغة واصطلاحاً اطلع عليه بتاريخ 26-2017
- 4- قران كريم سورة [المائدة: 62]
- 5- زينب عبد اللطيف صالح الإعلام و ثقافة الحوار و التسامح باحثة و مترجمة في
وزارة الثقافة- دار المأمون للترجمة و النشر-بغداد.
- 6- د: عابدين الدردير الشريف: قراءات في الإعلام الجماهيري، جامعة
قاريونس سابقاً، بنغازي-ليبيا، الطبعة الاولى، سنة 2004، ص 66.
- 7- نفس المرجع السابق، ص 70.
- 8- عبير امنين، المنظمات العاملة في حقوق الإنسان في غرب ليبيا: الواقع والتحديات،
جزء من دراسة مقدمة للمعهد العربي لحقوق الإنسان عن تحديد احتياجات المجتمع
المدني في ليبيا. 9- مالكي إِمحمد: أهمية المصالحة الوطنية في البلاد العربية،
المغرب مثلاً، مجلة المستقبل، العدد 3720، سنة 2003م، ص12.
- 10- حامد عبد الوهاب: الإعلام في المجتمع الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، العدد 33،
السنة الثالثة، ص 22.
- 11- نفس المرجع السابق، ص26.
- 12- الأنصاري محمد جابر: تحولات الفكر والسياسة في الشرق الاوسط منذ 1930-
1970، الكويت- دار عالم المعرفة، سنة 1980م، ص 79.
- 13- نفس المرجع السابق، ص85.
- 14- سيد محمد سادتي: دور وسائل الاعلام في بناء ملكة التفكير السديد لدى الطلاب،
الطبعة الثانية، الرياض، دار الفضيلة، سنة 1422هـ، ص 97 .
- 15- نفس المرجع السابق، ص101.

- 16- محمد المخلافي: مداخلة بعنوان الغاية النهائية من مشروع العدالة الانتقالية لاستكمال المصالحة السياسية بمصالحة مجتمعية، في إطار ندوة الدولة المدنية طريقنا لبناء اليمن الحديث، سنة 2013م.
- 17- الغرياني محمد عز الدين: المذهب المالكي النشأة والمواطن وأثره على الاستقرار الاجتماعي، ليبيا- دار الكتب الوطنية، ب-ت، سنة 2010م، ص 77.
- 18- نفس المرجع السابق، ص 87.
- 19- محمد عبد الحفيظ الشيخ: مسار المصالحة الوطنية والسلم الاجتماعي بعد ثورة 17 فبراير في ليبيا، مركز دراسات الشرق الأوسط، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 68، عمان- سنة 2014م، ص 69.
- 20- عادل ماجدة: تحديات تطبيق العدالة الانتقالية في مصر، مجلة الديمقراطية، العدد 54، الأهرام، أبريل 2014م، ص 17.

العامل البشري وأثره على مقومات الإنتاج الزراعي الليبي دراسة في الجغرافيا الاقتصادية

د. عمر رمضان طريش
كلية التربية بفرن - جامعة الرنتان

المقدمة:

يعتمد إنتاج الزراعي على شقين من ضوابط الإنتاج، الأول يتمثل في حجم الموارد الطبيعية ونوعيتها، أما الشق الثاني فهو مرتبط بالموارد البشرية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤثر فيه⁽¹⁾. تتمثل العوامل البشرية في حجم القوى العاملة البشرية وخبراتها الزراعية، ورأس المال، والاستثمارات في القطاع الزراعي، ونوع التكنولوجيا والطرق والأساليب المستخدمة في العمليات الزراعية، والسوق وقنواته، ووسائل النقل.

أهمية البحث: لقد تأثرت الموارد والنشاط الزراعي بصفة عامة منذ بداية القرن الماضي بعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية أدت إلى حدوث تغيرات في القطاع الزراعي، لعل أهمها النمو السكاني السريع، والتغيرات التي حدثت في التركيب الاجتماعي للسكان، كاستقرار البدو، وهجرة سكان الريف إلى المدن، نتيجة للآثار الاقتصادية لعائدات النفط، كذلك فقد كان لسياسات التنمية الزراعية وخططها وبرامجها أثر كبير على تطور الإنتاج الزراعي.

تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على أهم الموارد البشرية التي تؤثر في الإنتاج الزراعي، لما لهذه العوامل من أهمية بالغة في المساهمة في الاعتماد على النفس لتوفير الغذاء للسكان قدر الإمكان.

مشكلة البحث: بالرغم من اهتمام الدولة الكبير بقطاع الزراعة إلا أنه لم يحقق المأمول منه في الوصول إلى الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الزراعية، والحد من نزيف الاستيراد والاعتماد على الغير في توفير المحاصيل الزراعية، خاصة الاستراتيجية منها. إن أغلب المسؤولين والباحثين يعزون السبب الرئيسي في انخفاض مستوى الإنتاج إلى العوامل الطبيعية بشكل كبير، ولكن يرى الباحث أن للعوامل البشرية دور رئيسي في انخفاض

الإنتاج. عليه فإن مشكلة الدراسة تتمثل في مساهمة الضوابط البشرية في انخفاض انتاج المحاصيل الزراعية بشكل لا يتوافق مع مستويات الاستهلاك الامر الذي أدى إلى الاعتماد على الاستيراد من الخارج لسد العجز الغذائي، بعد ان أصبحت الدول المنتجة للغذاء تستخدمه كسلاح للضغط السياسي والتحكم الاقتصادي، مما انتج ما يعرف بالتبعية الغذائية. **أهداف البحث:** هو القيام بدراسة مفصلة قدر الإمكان على الموارد البشرية التي تؤثر في الإنتاج الزراعي في ليبيا، ومعرفة أوجه القصور في هذا الجانب، بالإضافة الي دور هذه العوامل في الإنتاج الزراعي انخفاضاً في بعض المحاصيل وارتفاعاً في بعضها الآخر. وأخيراً إزالة الغموض حول اعتقاد البعض أن العوامل الطبيعية هي المتحكم الرئيسي في ارتفاع الإنتاج من عدمه.

منهج البحث: من أجل تغطية الموضوع وتفحص جوانبه و تحقيق اهدافه فقد اتبع الباحث المنهجين الوصفي والكمي في دراسته للموضوع محل الدراسة حيث تم جمع المادة العلمية اللازمة للبحث من الاحصائيات الدورية التي تصدر من الجهات ذات العلاقة بالموضوع او احد عناصره، ومن معالجتها كمياً بواسطة المؤشرات الاحصائية الوصفية التي تبين بوضوح التغيرات التي طرأت على الظاهرة قيد البحث بما يتلاءم والاهداف المحددة لهذه الورقة، ومن اهم هذه المؤشرات معدلات النمو ونسب التغير وهي مؤشرات تستخدم على نطاق واسع في الدراسات الاقتصادية تعكس مستويات التغير في الظواهر الاقتصادية عبر الزمن بالإضافة الى الرسوم البيانية التي تبين بوضوح اتجاهات كل من الزيادة والنقصان وهو ما يطلق عليه منهجياً "منهج التحليل الاستكشافي للبيانات"⁽²⁾، حيث يمكن الباحث من تقديم صورة مرئية واضحة للقارئ عن الظاهرة قيد الدراسة.

أولاً- القوى البشرية الكلية العاملة بقطاع الزراعة بليبيا: اهتمت خطط التحول الاقتصادي والاجتماعي بالموارد البشرية والكوادر الفنية لتسيير قطاع الزراعة، حيث تضمنت هذه الخطط زيادة المساحات الزراعية والاهتمام بمراكز التدريب والتكوين الزراعي، كالاتمام بالتعليم الزراعي بالمعاهد والكليات الزراعية، مهمتها تخريج كوادر زراعية فنية مؤهلة، مما زاد من مساهمة العناصر والكوادر البشرية الليبية في الإشراف والمتابعة، في المجالات المختلفة الامر الذي كان له أثر ايجابي في التغلب على العديد من

الصعوبات، وتجدر الإشارة إلى أن المشكلة الرئيسية في الموارد البشرية لازالت تكمن في النوعية، بحيث تتمكن هذه الموارد من استيعاب التقنيات المتطورة في الزراعة والتي يعول عليها في زيادة الكفاءة ورفع الإنتاجية لمختلف الموارد الزراعية⁽³⁾. يلاحظ من بيانات الجدول 1 أن هناك زيادة في أعداد العاملين في قطاع الزراعة حيث بلغ حوالي 168.3 ألف نسمة خلال متوسط الفترة 1980 - 1984 والتي تمثل حوالي 17.1% من العمالة الكلية، ثم ارتفع إلى 181.6 ألف عامل خلال متوسط الفترة 1985 - 1989، بنسبة 19.4% من العمالة الكلية، ثم بدء العدد بالانخفاض إلى أن وصل إلى 66.1 ألف نسمة خلال متوسط الفترة 2000 - 2004، أي حوالي 6.12% من العمالة الكلية، ثم ارتفع العدد ليصل إلى 140.7 ألف نسمة خلال متوسط الفترة 2005-2007، تمثل حوالي 5.8% من القوة البشرية الزراعية الكلية.

جدول 1. القوة البشرية العاملة الزراعية وغير الزراعية ونسبة مشاركتها في القوة البشرية العاملة الكلية خلال الفترة 80-2007 بالآلاف نسمة.

متوسط الفترة	القوة البشرية الزراعية	%	القوة البشرية غير الزراعية	%
1984-80	168.3	17.1	821.6	82.7
1989-85	181.6	19.4	750.8	80.4
1994-90	176.8	16.6	890	83.3
1999-95	120.8	9.54	1153.6	90.3
2004-00	66.14	6.12	1335.5	93.7
2007-05	140.7	5.8	2252.6	94.0

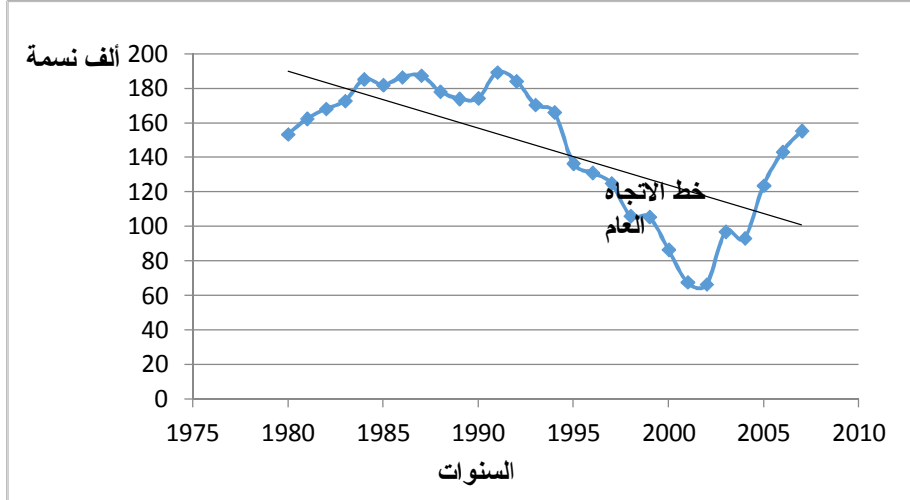
المصدر: المصدر: جمعت وحسبت من: (سالمة محمد سليمان ، 2001: 59).

(الهيئة العامة للقوة العاملة : 2003) . -

(الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق 2006).

وبشكل عام نلاحظ انخفاض في العمالة الزراعية كما هو مبين من خط الاتجاه العام بالشكل 1 وعند تقدير القيمة الاتجاهية لمعرفة معدل الانكماش في القوة البشرية الزراعية، تبين أنه بلغ حوالي -4.2%، ويدل الشكل 1 القوى العاملة الزراعية في ليبيا في الفترة (1980-2007).

شكل 1 القوى العاملة الزراعية في ليبيا في الفترة (1980-2007).



المصدر: الجدول 1.

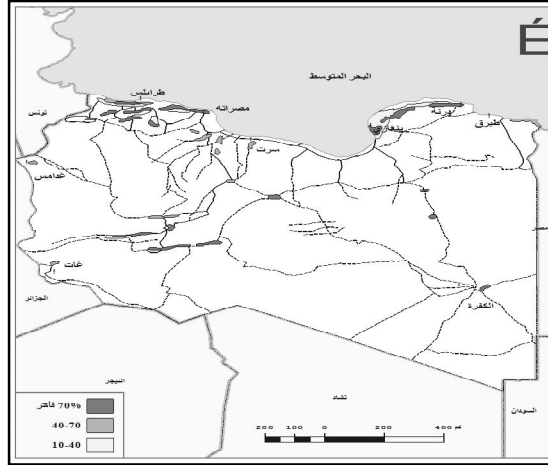
حيث يبين الشكل انخفاض الأهمية النسبية للعمالة الزراعية لصالح الأنشطة غير الزراعية، ولاسيما قطاعات التشييد والقطاعات الخدمية، وقد يرجع ذلك إلى الإقامة في المدن، حيث توفر الخدمات، وقد يكون السبب من آثار التقدم التكنولوجي عن طريق استخدام الميكنة على نطاق واسع، وكذلك الأساليب الزراعية الحديثة مثل نظم الري المتعددة، والسماد الكيماوي والمبيدات الحشرية التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج بغض النظر عن نقص العمالة الزراعية.

ثانياً - الحيازات الزراعية: يقصد بالحيازات الزراعية ملكية الأصول الزراعية المختلفة والتي إما أن تكون أرضاً يستثمرها الحائز (المالك) جزئياً أو كلياً في الإنتاج سواء كان إنتاجاً زراعياً نباتياً أو حيوانياً وقد تكون ملكية غير أرضية كحيازة الحيوانات والدواجن وخلايا النحل، ولا يدخل ضمن ذلك ملكية الحيوانات غير المنتجة كالخيل والبغال والحمير وما في حكمها⁽⁴⁾. وبالنظر إلى مساحة الأراضي القابلة للزراعة في ليبيا نجدها محدودة جداً نتيجة للطابع الصحراوي الغالب على مساحة البلاد، إذ تبلغ المساحة الإجمالية لليبيا تقريباً 1755000 كم²، لا تمثل الأراضي القابلة للزراعة فيها سوى 2.2 مليون هكتار في بداية التنمية الزراعية في الثمانينات⁽⁵⁾، ثم تناقصت الأراضي الصالحة للزراعة إلى

1.9 مليون هكتار حسب التعداد الزراعي 1987، تمثل حوالي ما نسبته 1.08% من مساحة ليبيا، غير أن الأراضي القابلة للزراعة، ازداد تناقصها إلى 1.80 مليون هكتار في سنة 2001، مثلت بحوالي 1.01% من المساحة الإجمالية لليبيا، ثم تناقصت أكثر في سنة 2007 بشكل كبير فبلغت حوالي 1.10 مليون هكتار، تقدر بحوالي 0.62% من مساحة ليبيا، ويرجع سبب تناقص الأراضي الزراعية إلى الزحف العمراني على الأراضي الزراعية، وإهمال الزراعة والاتجاه إلى أعمال أخرى أكثر مدخولاً من الزراعة، وتمارس في هذه الأراضي الزراعة بنمطها البعلي والمروي، وإن كانت نسبة البعلى أكثر من المروي، وتتوزع توزيعاً مبعثراً في ليبيا، كما تختلف أهمية هذه الأراضي من حيث درجة ملائمتها للزراعة، وقدرتها الإنتاجية وموقعها بالنسبة للموارد المائية من منطقة إلى أخرى، بل وفي المنطقة الواحدة نفسها، والشكل 2 يبين ذلك، ومن الشكل نستنتج أن الأراضي الصالحة للزراعة بصفة عامة تتركز في الأطراف الشمالية الغربية من البلاد، متمثلة في الشريط الساحلي وسهل الجفارة ومرتفعات الجبل الغربي، وفي الأطراف الشمالية الشرقية، متمثلة في الجبل الأخضر وسهل بنغازي، أما المناطق الوسطى والجنوبية وجدت الزراعة في الواحات، وبطون الأودية وبعض المناطق المستصلحة، حيث أقيمت فيها بعض المشاريع الزراعية العامة، مثل مشروع مكنوسة والأريل والدبوات والكفرة، وبعض المشاريع والخاصة .

التوزيع الجغرافي للحيازات الزراعية في ليبيا: من خلال الشكل 3 يتبين أن منطقة المرقب تحتل المرتبة الأولى في عدد الحيازات الزراعية بنسبة 25% حسب الموسم الزراعي 2001 من إجمالي عدد الحيازات في ليبيا، حيث بلغ متوسط مساحة الحيازة بالهكتار حوالي 7 هكتار لكل حيازة، أغلب هذه الحيازات تمتد في منطقة الخمس، ترهونة، ومسلاتة، تليها بالمرتبة الثانية في عدد الحيازات منطقة طرابلس بنسبة 16.4% تقريباً.

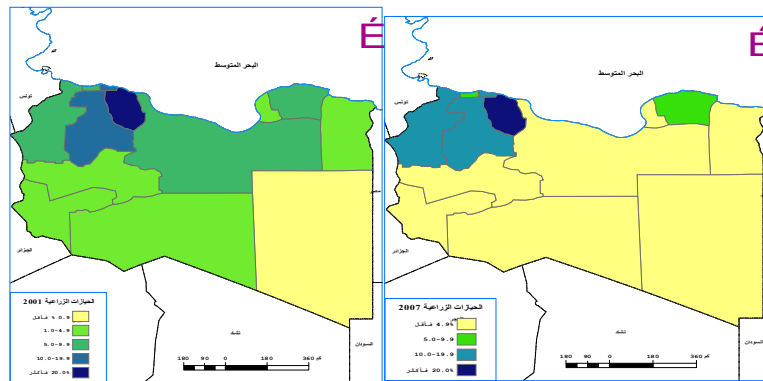
شكل 2 التوزيع الجغرافي للأراضي القابلة للزراعة في ليبيا .



المصدر : من عمل الباحث استنادا إلى الأطلس الوطني ص45.

وتتوزع هذه الحيازات بالزهاء والعزيرية وجنزور وتاجوراء وقصر بن غشير وغيرها من المناطق التي تقع ضمن مخطط منطقة طرابلس، وكان متوسط مساحة الحيازة 6.4 هكتار، ثم منطقة الجبل الغربي في عدد الحيازات بنسبة 13.7% تقريبا، وتتوزع بالجبل الغربي من مدينة غريان إلى غدامس، ومن قدم الجبل أي من الأجزاء الجنوبية لسهول الجفارة إلى الشويرف، وكان متوسط مساحة الحيازة 14 هكتار تقريبا وأغلب هذه الحيازات نمط الري فيها بعلي أي يعتمد على مياه الأمطار.

شكل 3. التوزيع الجغرافي للحيازات الزراعية في ليبيا عامي 2001-2007.



المصدر: من عمل الباحث استنادا إلى التعدادين الزراعيين 1987 - 2007.

بالنظر إلى الشكل 3 تبين أن منطقة المرقب مازالت تحتل المرتبة الأولى في عدد الحيازات الزراعية في ليبيا حسب الموسم الزراعي 2007، حيث فاقت نسبتها الربع بقليل وموزعة على نفس المناطق بالموسم الزراعي 2001، تلتها أيضا منطقة طرابلس بنسبة 18% تقريبا، ثم منطقة الجبل الغربي بنسبة 12%، ومنطقة زواره بنسبة 11.5%، وهذه موزعة من الحدود الليبية التونسية غرباً إلى حدود منطقة الزاوية شرقاً، ومن ساحل البحر شمالاً حتى قدم الجبل الغربي جنوباً.

التغير العددي في عدد الحيازات ومساحتها بين تعدادي 2001 و2007م: نستطيع القول بأنه حدث تناقص كبير في أعداد الحيازات ومساحتها، كما هو مشاهد بالجدول 2.

جدول 2 التغير العددي في عدد الحيازات ومساحتها في 2007 مقارنة بالعام 2001.

التوزيع العددي		المنطقة
مساحة الحيازات بالهكتار	عدد الحيازات	
14173-	4-	البطنان
258140-	1195-	الجبل الأخضر
23040-	2261-	بنغازي
2384+	5561-	خليج سرت
81907-	1670-	المرقب
61847-	780+	طرابلس
40446-	2140-	الزاوية
195997-	3463+	الجبل الغربي
29551-	4075+	النقاط الخمس
4908+	595+	الكفرة
1033+	278+	مرزق
6826-	410-	وادي الحياة
637-	262+	سبها
704239-	10714-	المجموع

المصدر من عمل الباحث استناداً إلى التعدادين الزراعيين 2001-2007.

ويعزو هذا التناقص بما هو طبيعي مثل قلة الأمطار وانخفاض منسوب الماء الباطني، وبما هو بشري يتمثل بالرعي الجائر والاحتطاب الجائر، والزحف العمراني على الأراضي الزراعية وتفتت الحيازات نتيجة تقاسمها بين الورثة.

ثالثاً- رأس المال: الإنفاق الاستثماري على القطاع الزراعي: من خلال تفحص بيانات الجدول 3 يتبين أن متوسط الإنفاق الاستثماري لقطاع الزراعة لمتوسط الفترة 80-1984 بلغ حوالي 360 مليون دينار سنوياً، ثم بدأت المبالغ بالتناقص إلى أن بلغت ما يقارب 68 مليون للفترة 95-1999 وسبب ذلك التناقص حسب اعتقاد الباحث يرجع إلى الحصار الذي فرض على البلاد في تلك الفترة، تم بدأ متوسط الاستثمار في الزيادة بسبب تحسن أسعار النفط ورفع الحصار عن البلاد فوصل إلى ما يقارب 177 مليون دينار ولكن بصفة عامة وعند تقدير القيمة الاتجاهية لمعرفة مدى تطور الإنفاق الاستثماري على قطاع الزراعة من عدمه خلال فترة الدراسة 1980-2006 يتضح من خلالها أن قيم الإنفاق الاستثماري على قطاع الزراعة قد تناقصت خلال فترة الدراسة بمقدار بلغ حوالي 9 الآلاف دينار سنوياً.

جدول 3 الإنفاق الاستثماري في الزراعة الليبية خلال الفترة 1980-2007 بالآلاف دينار ليبي.

متوسط الفترة	متوسط الإنفاق الاستثماري
1984-80	360.24
1989-85	130.78
1994-90	138.42
1999-95	67.7
2004-2000	176.85
2007-2005	288.9

المصدر: اللجنة الشعبية العامة، 2002.

التمويل الزراعي: عُرف بأنه عبارة عن توافر السيولة لتنفيذ الاستثمار لتحقيق أهداف التنمية الزراعية⁽⁶⁾، أي أن التمويل الزراعي يبحث في حاجة الزراعة من رؤوس الأموال اللازمة لتأدية العمليات المختلفة للإنتاج الزراعي⁽⁷⁾، وقد اختلف المتخصصون في الاقتصاد الزراعي في استخدام مصطلحي التمويل الزراعي أو الإقراض الزراعي ولكن اتفقوا على مصطلح التمويل الزراعي لأنه الأكثر شمولاً من الإقراض الزراعي، حيث يشكل الإقراض جزءاً منه⁽⁸⁾.

تطور القروض الزراعية.

القروض الإنتاجية: وتنقسم القروض الإنتاجية إلى قروض قصيرة الأجل، وقروض متوسطة الأجل، وقروض طويلة الأجل، وفيما يلي تفسير لهذه القروض.

1- القروض قصيرة الأجل: تعد القروض قصيرة الأجل من أولى النشاطات الائتمانية، وينص القانون المتعلق بالمصرف الزراعي على توفير القروض الضرورية لتمويل العمليات الزراعية الموسمية لكل المزارعين، والجمعيات التعاونية الزراعية بغرض تغطية نفقات الدورة الزراعية، لشراء البذور والأسمدة والمبيدات الحشرية والأعلاف، وتصرف هذه القروض عيناً ويتعين سدادها خلال فترة لا تتجاوز السنة الواحدة من تاريخ منح القرض، ويحق للمصرف الإشراف على المزارع، للتأكد من أن المزارع قد صرف القرض للغرض المطلوب، ويمكن أن يقطع القرض بالطرق القانونية إذا تأكد وجود مخالفة، ويشمل هذا النوع من القروض الأغراض التالية:

أ- **قروض المحاصيل الزراعية:** وتمنح هذه القروض بهدف تمكن المزارع من تسيير العمليات الزراعية، المتمثلة في شراء البذور والأسمدة والمبيدات الحشرية وتكاليف استهلاك الطاقة الكهربائية، وتدفع هذه القروض دفعة واحدة أو على دفعات وتحدد قيمة القرض على ضوء المساحة الزراعية مع الأخذ في الاعتبار المزارع الاقتصادية.

ب- **قروض تربية النحل.** ج- **قروض تربية الدواجن.**

د- **قروض الأغنام وتحسين المزارع الرعوية.**

2- القروض متوسطة الأجل: بدأ المصرف الزراعي في منح القروض متوسطة الأجل، اعتباراً من 1961 متيحاً الأموال الضرورية للعاملين في القطاع الزراعي لشراء الآلات والمعدات الزراعية، ليتمكنوا من المشاركة في عمليات الميكنة الحديثة من أجل استثمار أوسع مساحة ممكنة من الأراضي في ليبيا بغية سد العجز في الأيدي العاملة، وقد منحت هذه الائتمانات علاوة على ذلك أهداف مختلفة أخرى مثل تربية الأبقار وشراء مركبات النقل الزراعي ويتعين تسديدها خلال فترة

أ- لا تتجاوز ثماني أعوام وتشمل القروض متوسطة الأجل الأغراض التالية:

أ-قروض الآلات والمعدات الزراعية.

ب- قروض لشراء سيارات نقل للجمعيات الزراعية التعاونية .ج- قروض لشراء الأجهزة والمعدات اللازمة لورش الصيانة الخاصة بالجمعيات التعاونية ، د- قروض لشراء الأبقار . هـ- قروض لشراء وتركيب الصوبات.

3- القروض طويلة الأجل: يمنح هذا النوع من القروض بهدف إقامة الإنشاءات الزراعية الثابتة كالمزارع الجديدة وتحسين القائم منها، وتساعد هذه القروض في تنمية رأس المال الثابت في القطاع الزراعي، ويقدم المصرف قروضه طويلة الأجل بأغراضها السابقة لخدمة أهداف تختلف عن تلك الخاصة بقروضه الموسمية والمتوسطة الأجل، وذلك لأن القروض طويلة الأجل تمنح بهدف توفير الأصول الإنتاجية التي يغلب عليها طابع الاستمرار، ونظراً لارتفاع تكاليف تلك الأصول، فإن متوسط قيمة القروض طويلة الأجل تتميز بالارتفاع الملحوظ مقارنة بمتوسط قيمة القرض الواحد في الأنواع الأخرى من القروض، إذ يصل حدها الأقصى إلى خمسين ألف دينار، وتصرف على دفعات وفقاً لما يتم تنفيذه من أعمال أو إنشاءات للتأكد من استخدام أقساط القرض التي منح من أجلها، ونظراً لطول المدة التي تستقر فيها مثل هذه القروض من الاستثمارات كي تدر عائداً مجزياً لأصحابها فقد حرص المصرف على منح الحاصلين على هذه القروض فترة سماح تمتد إلى خمس سنوات يبدأ بعدها المزارع في تسديد القرض على عشر سنوات وبذلك تكون مدة القرض الإجمالية خمس عشرة سنة، ويمنح المصرف القروض بطريقتين الأولى تسمى بالقرض العيني ، والثاني بالقرض النقدي⁽⁹⁾.

القروض السكنية: بدأ المصرف الزراعي في منح هذه القروض للدخول في نشاطات جديدة لتقديم المزيد من الخدمات المصرفية للمزارعين، وفي إطار دعم الحركة الإسكانية في البلاد وفقاً للخطة الإنمائية بقصد توفير مسكن صحي وملائم للمزارعين والوقوف على الصعوبات التي تواجه المزارعين، اعتبر هذا النوع من القروض هو الأفضل لتوفير الاحتياجات والأقدر على حل مشاكل المزارعين.

وباستعراض بيانات تطور القروض الزراعية خلال الفترة 1980-2007 يتبين من الجدول 4 أن إجمالي هذه القروض بلغ حوالي 3297738 دينار، وبمتوسط قدره 117.77 مليون دينار سنوياً، تشمل على قروض قصيرة الأجل بلغت حوالي 262997

مليون دينار وبنسبة 16.00% من إجمالي القروض، وقروض متوسطة الأجل بلغت قرابة 514988 مليون دينار تمثل حوالي 31.34% من إجمالي القروض الزراعية، وقروض طويلة الأجل بلغت قرابة 864854 مليون دينار تمثل حوالي 52.64% من إجمالي القروض الزراعية لنفس الفترة، كما يتبين من الجدول 4 أن متوسط القروض بأنواعها الثلاثة خلال الفترة 1984-1980 بلغت حوالي 11.91 مليون دينار، حيث بلغت هذه القروض سنة 1980 حوالي 5.11 مليون دينار، بينما ارتفعت إلى 12.59 مليون دينار في عام 1984، أي بزيادة قدرها 59.4%، أما خلال الفترة 1985-1989 بلغ متوسط القروض حوالي 15.76 مليون دينار، حيث بلغت حوالي 10.30 مليون دينار عام 1985م، وقرابة 31.82 مليون دينار في عام 1989م، أي بزيادة قدرها قرابة 118.56%، أما عن متوسط القروض خلال 1994-1990 فقد بلغ حوالي 15.56 مليون دينار، حيث بلغت قرابة 19.03 مليون دينار عام 1990 وحوالي 11.92 مليون دينار عام 1995 أي بنقص قدره حوالي 59%، أما عن الفترة 1995-1999 فقد بلغ متوسط القروض حوالي 21.82 مليون دينار حيث بلغ حوالي 18.15 مليون دينار عام 1995 وحوالي 27.20 مليون دينار عام 1999م، أي بزيادة قدرها 33%، أما عن الفترة 2000-2004 بلغ متوسط القروض حوالي 70.20 مليون دينار. وبصفة عامة فإن القروض الزراعية قد تزايدت في 2007م بنحو 63% عنه في سنة 1980م، وبتقدير القيم الاتجاهية لمعرفة التطور في القروض فتم استخدام طريقة المربعات الصغرى التي توضح أن قيم القروض الزراعية قد تزايدت بمعدل سنوي قرابة 6.9%.

جدول 4 تطور متوسط قروض المصرف الزراعي في ليبيا بالآلاف دينار سنوياً خلال الفترة 1980-2007

متوسط الفترة	قصيرة الأجل	متوسطة الأجل	طويلة الأجل	المجموع
1984-80	6230.0	3897.2	1783.4	11911
1989-85	6178.8	5456.6	4130.2	15765.6
1994-90	9467.8	3128.4	2963.8	15560
1999-95	10138.0	6641.6	2637.6	21829.2
2004-2000	21829.2	26688.8	28511.2	70201.2
2007-2005	9305.3	95308.3	2212743	326188

المصدر : من عمل الباحث استناداً إلى (المصرف الزراعي، 2002)

رابعاً - السوق: التسويق الزراعي في ليبيا بشكل مختصر جداً يمكن استعراض المراحل التي مرت بها إستراتيجية التسويق في ليبيا والتي وجد أنه يمكن تقسيمها إلى خمس مراحل ، وذلك لما تتضمنه كل من هذه المراحل من سمات وأساليب مختلفة للتسويق والمراحل كالتالي:

1- المرحلة الأولى: منذ سنة 1969 إلى النصف الأخير من سنة 1981 تقريباً تضمنت هذه الفترة استخدام معظم قنوات التسويق المتعارف عليها فقد كانت السياسة التسويقية حرة تركز على الطابع التنافسي الكامل، ومع الأخذ في الاعتبار معدلات التضخم والتغير في قيمة النقود، ولذلك فإن من تمت مقابلتهم عند جمع معلومات هذا الجزء من الدراسة لازلوا يرون أن تلك الفترة كانت تنال رضاهم جميعاً بدرجة عالية.

2- المرحلة الثانية: وتقع بين سنتي 1981-1983 تقريباً حيث شهدت هذه المرحلة سياسة تسويقية مختلفة مناقضة تماماً لما كان الحال عليه في المرحلة السابقة ، فقد أقتصرت تسويق المنتجات الزراعية على الشركة الوطنية لتسويق المنتجات الزراعية التي أنشأت كشركة مملوكة للمجتمع بالكامل.

3- المرحلة الثالثة: مرحلة السماح للمزارعين بالتسويق المباشر:

سمح للمزارعين من تصريف إنتاجهم عن طريق البيع المباشر للمستهلك سواء في مزارعهم أو في الأسواق الشعبية شريطة أن يتوفر لدى القائم بعملية بيع المنتجات الزراعية كتيب حيازة يفيد بمزاولته لهذه المهنة منعاً لدخول الوسطاء من غير المزارعين وتوليهم مهمة التوزيع، ساعد هذا الأجراء في تخفيض العبء على مراكز التوزيع والتجميع باستلامهم كميات حسب الإمكانيات المتاحة سواء من تخزين أو نقل. أو عرض وتوزيع ، ولهذه المرحلة عدة مزايا منها فتح قناة تسويقية جديدة ومباشرة، وعدم تحميل الشركة كل إنتاجها وتقليل تكاليفها، وقلة نسبة العادم أو الفاقد، التحسن في رخاء المزارع والشركة والمستهلك.

4- المرحلة الرابعة: اعتماد الوسيط (الموزع الفردي)

بلغ عدد هؤلاء الموزعين الأفراد حتى نهاية عام 1987 حوالي 3752 موزع فردي، ثم صدر قرار اللجنة الشعبية العامة 714 لسنة 1987 وينص على اقتصار نشاط التوزيع

والتسويق الداخلي على الجهات التالية: الشركة الوطنية للأسواق، والجمعيات التعاونية الاستهلاكية، والموزعون الأفراد، وبعض الشركات مثل الشركة العامة للآلات والمستلزمات الزراعية، المنشأة الوطنية للمعدات الزراعية الخفيفة، وبعد ذلك دأبت الشركة الوطنية لتسويق الإنتاج الزراعي على التخلص من مراكز التوزيع التابعة لها وسياراتها المبردة من خلال تملكها للأفراد، والاتجاه إلى القطاع الخاص بالنسبة للتوزيع والبيع.

5- المرحلة الخامسة: أي المرحلة الحالية 1990 إلى الآن تعتبر هذه المرحلة هي عودة إلى المنافسة والتسويق الحر من خلال الاتجاه إلى تملك كل الإمكانيات التسويقية السابقة إلى الأفراد والجماعات.

خامساً - السياسة الإدارية الزراعية: مرت السياسة الاقتصادية لليبيا بالعديد من التغيرات، وخاصة بعد اكتشاف النفط وتصديره إلى الخارج، وأصبحت عائداته تمثل الدخل القومي الرئيسي، الأمر الذي كان له بالغ الأثر على الاقتصاد والمجتمع، فنتيجة لارتفاع الأجور في المناطق الحضرية أصبحت حرفة الزراعة والرعي غير مربحة وبدأ تيار الهجرة يتدفق من الريف إلى المدينة، وقد أدى ذلك إلى زيادة الطلب على الغذاء حيث زادت قيمة الواردات الغذائية من حوالي 5 مليون دينار في 1956م إلى حوالي 220 مليون دينار عام 1978، وقد فرض هذا الوضع الزراعي المتدهور على المسؤولين في الدولة ضرورة التوجه نحو التخطيط الاقتصادي والاجتماعي وتنمية الموارد الطبيعية والبشرية من أجل زيادة الإنتاج الزراعي، وبذلك اتجهت السياسات الاقتصادية نحو الاهتمام بالقطاع الزراعي، عن طريق تبني الكثير من السياسات الزراعية، فالنشاط الزراعي من مهامه الأساسية توفير المواد اللازمة لمعيشة السكان، وما السياسات الزراعية التي تنفذ من قبل السلطات الزراعية إلا محاولة لتطوير الإنتاج الزراعي كماً ونوعاً ليتناسب وحاجة السكان الضرورية وتلبية متطلباتهم⁽¹⁰⁾.

الخطط التنموية الزراعية ودورها في تنمية الإنتاج: قبل التطرق إلى دراسة الخطط التنموية بعد اكتشاف النفط لابد من أخذ فكرة عن خطط التنمية قبل اكتشاف هذا المورد المهم، بعد عام 1952م أي في العهد الملكي حيث كانت هناك محاولتان لوضع خطط

تنموية طموحة تشمل كل المجالات الزراعية -، الصناعية، التعدينية، - وغيرها ولكن لم يكتمل تنفيذ هذه الخطط لوجود مشاكل مالية تواجهها البلاد في ذلك الوقت. الخطة التنموية الزراعية الأولى (1952-1958) تقدمت بها بعثة الأمم المتحدة في سنة 1951 تهدف إلى تطوير الأراضي الزراعية، وكان المبلغ المقترح لهذه الخطة الشاملة حوالي 30 مليون دينار، ومعظم الأعمال التي أنجزت تمثلت في مجال الاستكشاف والبحث عن المياه الجوفية، والتشجير والحماية من الفيضانات، ولكن هذه الخطة لم تستكمل.

الخطة التنموية الزراعية الثانية تمثلت في الخطة الخمسية (1956-1961) وقامت بها لجنة مشتركة من الحكومة الليبية والبعثة الأمريكية للعمليات في ليبيا، وبعثة المساعدات الفنية التابعة للأمم المتحدة، وكلن نصيب القطاع الزراعي 1.6 مليون دينار⁽¹¹⁾.

في بداية الستينات شهدت البلاد سلسلة من التطورات المهمة كان من أبرزها اكتشاف النفط وإنتاجه ف اي العام 1961م، حيث كان لهذا الإنتاج انعكاساً كبيراً على نمو وتزايد إيرادات الدولة المالية، فبعد هذه الزيادة كان لابد من القيام بعملية تطوير شاملة مسايرة لعصر النفط الذي دخلته ليبيا من أوسع أبوابه، كل ذلك أدى إلى انتعاش البلاد اقتصادياً فأصبحت ليبيا من دولة تعاني من عجز في ميزان مدفوعاتها إلى دولة لها فائض مالي، لذلك لم تعد برامج التنمية والخطط في البلاد معتمدة على المساعدات المالية الأجنبية وإنما أصبحت قائمة على الدخل من عائدات النفط، وبذلك أخذت خطط التنمية اتجاهات وأهدافاً مختلفة، وبمراعاة المشكلات الزراعية التي تواجهها البلاد، فوضعت عدة خطط لتطوير الاقتصاد وتنمية القطاعات الإنتاجية الأخرى، خاصة قطاع الزراعة، من أجل بناء اقتصاد متوازن يعتمد على قطاعات إنتاجية متعددة تخدم حجم السكان المتزايد، وفي ظل تلك الظروف التي استجبت على الاقتصاد الليبي، حيث أعدت الخطة الخمسية الأولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (1963-1968) هذه أول خطة تنمية اقتصادية بعد اكتشاف النفط بعد صدور القانون 5 للعام 1963 والصادر عن هيئة التخطيط والتنمية آنذاك، وقد خصص لتنفيذ هذه الخطة 169 مليون دينار ليبي، وهو ما

يعادل نحو 70% من إجمالي إيرادات النفط آنذاك وكان الهدف الرئيسي لهذه الخطة هو تحقيق التوازن الاقتصادي بين القطاعات الاقتصادية المختلفة⁽¹²⁾.

غير أن تقييم الخطة من حيث نجاحها في بلوغ أهدافها من عدمه لا يمكننا الحكم عليه إلا من خلال المقارنة بين مستهدفات الخطة وما حقته، غير أنه رغم حجم الإنفاق الكبير وكبر مخصصات القطاع إلا أنه كان في إمكانه أن يمتص كل المخصصات التنموية البالغة 169 مليون دينار دون مردود سريع، غير أن إحصائيات الإنتاج الزراعي لسنة 1970 تعكس بوضوح ما حققته الخطة الخمسية 63-1968 والجدول 5 يبين ذلك:

جدول 5 الإنتاج الكمي لأهم المنتجات الزراعية في ليبيا عام 1970

النوع	الحبوب	الشعير	خضراوات	فواكه
الإنتاج ألف/طن	81.3	52.8	205.2	90.3

المصدر: ج.ع.ل.ش.أ.ع، أمانة التخطيط، (1997، ص 47).

من الأرقام الواردة بالجدول نستنتج مدى ضآلة الإنتاج الكمي المحقق من كافة المنتجات الزراعية فإجمالي إنتاج الحبوب لا يتجاوز 81.3 ألف طن والفواكه 90.3 ألف طن، ويمكن رد سبب هذا التذني إلى جملة من العوامل أهمها ضعف البنية الأساسية للقطاع، وقلة الاستثمارات المالية المخصصة للقطاع، بالإضافة إلى العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في الإنتاج الزراعي، الخطة الثلاثية 1973-1975: حيث كانت أول خطة تنموية طموحة بعد سنة 1970، وتعتبر نقطة انطلاق نحو التحول، حيث تم رصد مبلغ 566.1 مليون دينار لقطاع الزراعة، أي ما يعادل 22% من إجمالي الاستثمارات المالية للخطة أنفق منها حتى نهاية عام 1975 نحو 562.7 مليون دينار وبذلك بلغت نسبة الإنفاق حوالي 93%، وهدفت هذه الخطة إلى التوسع في الزراعة أفقياً ورأسياً وذلك من خلال عمليات استصلاح واستزراع ما مساحته 105 ألف هكتار من الأراضي المروية، و215 من الأراضي البعلية، واستهدفت كذلك زيادة إنتاج القمح ليصل إلى 200 ألف طن لتغطية ما نسبته 50% من إجمالي الطلب، وزيادة إنتاج الشعير من 125 ألف طن عام 1973 إلى 200 ألف طن بنهاية 1975 والفاكهة إلى 150 ألف طن

والجدول 6 يبين كميات الإنتاج المستهدفة والمحقة من محاصيل الإنتاج الزراعي خلال الخطة.

جدول 6 كميات الإنتاج المستهدفة والمحقة خلال الخطة 1973-1975.

البيان	المستهدف	المحقق
قمح	200	107
شعير	200	216
خضراوات	345	620
فواكهه	150	130

المصدر : (ج.ع.ل. وزارة التخطيط، 73-1975 ص 188، 187).

وبملاحظة الجدول السابق نلاحظ أنه قد حصل تطور على صعيد الإنتاج حيث حققت الخطة زيادة على المستهدفات في محصول الشعير بواقع 16 ألف طن، بينما لم تصل الخطة إلى مستهدفاتها من إنتاج القمح بواقع 93- ألف طن والفواكه بواقع 20- ألف طن. ويمكن إرجاع السبب إلى عدم تطور إنتاج كما كان مخططاً له إلى عدة عوامل منها، أن حجم المشروعات كان أكبر من حجم الاستثمارات المالية مما حال دون استكمال كافة البرامج، حيث كانت الخطة تستهدف استصلاح 105 ألف هكتار مروي لم يستلح منها سوى 35 ألف هكتار مروي أي بنسبة تنفيذ 33% فقط، كما تم استصلاح 108 ألف هكتار بعلي من أصل 215 ألف هكتار، وبذلك بلغت نسبة الانجاز 50.2% من المساحة البعلية المستهدفة لإصلاحها، ومن العوامل أيضاً مشكلة المياه التي واجهت تنفيذ الخطة بمناطق سهل الجفارة⁽¹³⁾، هو عدم توفر الدراسات المتعلقة بتحديد الموارد الطبيعية والاستراتيجية المثلى لإدارتها وتوجيهها، وعدم توافر الجهاز الفني والخبرة الوطنية المؤهلة والقادرة على تقييم نتائج أعمال المؤسسات الاستشارية الأجنبية.

خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي 1976-1980: تعتبر استمراراً لما تضمنته الخطة السابقة، وهدفت هذه الخطة إلى زيادة قيمة الإنتاج الزراعي ليصل إلى 280.9 مليون دينار نهاية 1980، استصلاح مساحة 100 ألف هكتار من الأراضي المروية و257 ألف هكتار من الأراضي البعلية موزعة على خمسة مناطق جغرافية هي سهل الجفارة، الجبل الأخضر، فزان، الكفرة والسريبر، الصلوة الخضراء، وزيادة كمية الإنتاج بما يحقق الاكتفاء

الذاتي والجدول 7 يوضح الإنتاج الكمي المستهدف والمحقق من أهم المنتجات الزراعية خلال الخطة 76-1980، ولتحقيق هذه الأهداف فقد خصص مبلغاً وقدره 1227 مليون دينار (عبدالحاميد خيال، 1991، 9)، أي ما يعادل 17.1% أنفق منها فعلياً على البرامج الواردة بالخطة حوالي 1703 مليون دينار، أي بمتوسط إنفاق سنوي قدره 340.6 مليون دينار، إن ما تجدر الإشارة إليه في هذه الخطة هو تضمنها لبرامج جديدة لم تتضمنها الخطط السابقة كبرامج تنمية النخيل وتنظيم المراعي، وإنشاء المخازن وبرامج التسويق.

جدول 7 كميات الإنتاج المستهدف والمحقق من بعض المنتجات الزراعية

خلال الخطة 1976-1980 / ألف طن

البيان	المستهدف	المحقق
قمح	336	140.5
شعير	245	71.5
خضراوات	825	658.4
فواكهه وزيتون	403	312

المصدر: ج.ع.ل. وزارة التخطيط، (1976-1980، ص196). ج.ع.ل. ش.أ.ع. (81-1985، ص 69). من استقراء الجدول 7 يمكننا القول بأن الخطة قد حققت 50% من الكميات المستهدفة ويتضح ذلك في إنتاج القمح، أما الشعير فلم تحافظ الخطة حتى على مستوى الإنتاج المحقق منه خلال الخطة 73-1975، وهو ما يعكس قصور لجان التخطيط التي تقوم بدورها بتحديد الكميات المستهدفة وبعدها عن الواقع مما يجعل الخطة تستند إلى واقعية الأهداف والتي تعتبر أحد أهم الأسس التي ينبغي أن يبنى عليها المخطط خطته حيث بلغت كمية العجز عن المستهدفات في القمح -195.5 ألف طن وفي الشعير إلى -137.5 وهما المحصولان الاستراتيجيان اللذان ركزت كل خطط التنمية على زيادة معدلات الاكتفاء الذاتي وترجع أسباب هذا الإخفاق قفي إنتاج القمح والشعير إلى الظروف الطبيعية المتمثلة في الأمطار المتذبذبة كمياً وزمناً.

خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي 1981-1985: تعتبر امتداد للخطة السابقة والتي من المفترض أن تكون فيها فلسفة التخطيط مختلفة عما كانت عليه، نتيجة تطبيق النظرية الجماهيرية والتي من ضمن أهدافها تحويل المجتمع الليبي من مجتمع استهلاكي إلى

مجتمع إنتاجي، وقد هدفت الخطة إلى زيادة معدلات الاكتفاء الذاتي من أهم المحاصيل الزراعية كالقمح ليزداد من 31.9% إلى 75.3% نهاية عام 1985 وتحقيق الاكتفاء الذاتي من محصول الشعير والخضراوات والفاكهة لتصل معدلات الاكتفاء الذاتي إلى 98.83%، والجدول 8 يبين كميات الإنتاج المستهدفة والمحقة خلال الخطة الخمسية 1985-81، أما على صعيد التوسع الأفقي للمساحة باعتبارها أساس الإنتاج ومسرح ممارسة العمل الزراعي فاستهدفت الخطة استصلاح 663 ألف هكتار مروي، و355 ألف هكتار بعلي، كما استهدفت تنفيذ مشروع تنمية وتطوير الشريط الساحلي، علماً بأن المشروع لم يتم تنفيذه إلى الآن لأسباب غير معروفة وقدرت الاستثمارات المالية للخطة 3100 مليون دينار.

جدول 8 كميات الإنتاج المستهدف والمحقق من بعض المنتجات الزراعية

خلال الخطة 1985-1981/ ألف طن.

البيان	المستهدف	المحقق
قمح	428.8	210
شعير	105.5	105
خضراوات	779	827
فاكهة وزيتون	344	425

المصدر - (ج.ع.ل.ش.أ.ع، أمانة التخطيط، 1985:69) بية سالم قنطش، (1991، ص 26).

إن تحليل الأرقام بالجدول تبين أن نمو الإنتاج الزراعي لم يصل إلى الكميات المستهدفة في الكثير من المحاصيل، ويبدو هذا العجز واضحاً في القمح حيث بلغ 218، وفي الشعير 0.6 ألف طن، أما عن الفواكه والخضراوات فقد فاق الإنتاج المحقق المستهدف منه.

ومن خلال العرض السابق للسياسة الإدارية لمسيرة التخطيط الزراعي في ليبيا منذ عام 1963 حتى 1985، نستنتج أن العجز في بلوغ الأهداف على صعيد الإنتاج كان ملازماً لكل الخطط وإن اختلفت حدة العجز بين المحاصيل، يستثنى من ذلك محاصيل الخضراوات والفاكهة لأنها محاصيل غالباً ما تزرع مروية، أما المحاصيل الأخرى كالحبوب، والزيتون فتزرع بعلية حيث يصعب التنبؤ بكميات إنتاجها، ذلك أن المحدد

الأساسي للإنتاج يكون العوامل المناخية، كالأمطار وتوزيعها الشهري والسنوي، إضافة إلى ذلك مثل الصقيع والرياح الحارة، إن التحسن الذي طرأ على الإنتاج والتوسع الذي طرأ على المساحة، لم يكن نتاج جهد المخططين ولكن بسبب المبالغ الضخمة التي رصدت لهذا القطاع، ومع ذلك فإن التطور الذي حصل للإنتاج مازال قاصراً عن تحقيق الهدف المنشود، وهو الوصول إلى الاكتفاء الذاتي بالرغم من أن عمليات الاستصلاح والاستزراع قد طالت كل شبر صالح للزراعة، وطبقاً لبيانات اللجنة الشعبية العامة للتخطيط فإن إجمالي ما تم استصلاحه من أراضي بلغ نحو 2 مليون هكتار، وأن إجمالي الاستثمارات المنفذة في القطاع بلغت حوالي 5114 مليون دينار أي ما يعادل 17.5% من إجمالي الاستثمارات المنفذة في مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية للفترة من 1970-1999(14).

أشكال السياسات الزراعية: لتحقيق الأهداف سالفة الذكر انتهجت الجماهيرية الليبية العديد من السياسات الزراعية والتي من أهمها:

السياسة السعرية: تتمثل هذه السياسة في ترك أسعار معظم المنتجات الزراعية تتحدد بواسطة قوى السوق، بالإضافة إلى إتباع عدة أنواع من الدعم، منها الدعم السعري والذي يتمثل في تحديد قيمة لشراء بعض المحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والزيتون، بغرض تشجيع إنتاجها والتوسع في زراعتها، كما تتمثل هذه السياسة في دعم السلع الغذائية الرئيسية، ويوضح الجدول 9 قيمة الدعم المخصص للسلع التموينية خلال الفترة من 1980-2005.

جدول 9 تطور دعم السلع التموينية في الجماهيرية الليبية بالمليون دينار خلال الفترة (1980-2005)

متوسط الفترة	الدعم المدفوع	الدعم المخصص	نسبة المدفوع إلى مخصص الدعم
1984-80	76.84	73.04	105.64
1989-85	25.14	10.9	47.22
1994-1991	35.6	9.00	82.86
1999-1995	131.46	86.00	68.52
2005-2000	456.0	328.0	94.81

المصدر: الباحث استناداً إلى: اللجنة الشعبية العامة للاقتصاد والتجارة، 2005، ص 39.

ومنها كذلك دعم أدوات الإنتاج والتي تعتبر سياسة مكاملة لسياسة الائتمان الزراعي، حيث تساهم في توفير التسهيلات التحويلية للقطاع الزراعي، وينقسم هذا النوع إلى دعم نقدي، يتمثل في القروض التي يمنحها المصرف الزراعي، ودعم عيني يتمثل في توفير أدوات ومستلزمات الإنتاج التي تتولى الشركة التابعة للقطاع استيرادها وتوفيرها للمزارعين بسعر التكلفة مع هامش يكفي لاستمرار هذه الشركات في نشاطها⁽¹⁵⁾.

وتهدف الدولة من خلال هذه السياسة إلى رفع كفاءة الإنتاج الزراعي لتحقيق الهدف الأساسي للسياسة الزراعية، وهو زيادة الدخل الزراعي المحلي، وحمايته والحفاظ على استقراره، لكي يتناسب الدخل مع بقية القطاعات الأخرى، وكذلك تحقيق الاستقرار للأسعار، وتقديم الغذاء للمستهلك بأسعار مناسبة⁽¹⁶⁾.

سياسة الحد من الاستيراد: تتمثل هذه السياسة في إعطاء الأولوية للسلع الغذائية الأساسية والأدوية ومستلزمات الإنتاج في الموازنة الاستيرادية، ويتم الاستيراد وفقاً لاحتياجات مبرمجة ومستهدفات غذائية مخطط للوصول إليها، وقد أُنسجت هذه السياسة بوضع موازنة استيرادية لأول مرة عام 1982، وكذلك إخضاع السلع الغذائية المستوردة لنظام الرخص⁽¹⁷⁾. هذا وتعتبر هذه السياسة من أهم السمات المصاحبة للخطة الخمسية الثانية، وذلك كما هو مبين بالجدول 10.

جدول 10 الأهمية النسبية لقيمة الواردات الغذائية خلال الفترة (1970-2002)

متوسط الفترة	الأهمية النسبية	القيمة بالدولار
1975-1971	16.32	307.45
1980-1976	15.46	727.21
1985-1981	13.52	1038.17
1990-1986	15.35	883.24
2002-1991	14.98	950.54

المصدر جمعت وحسبت: صالح الأمين الأرياح (1996، 63)

وهي سياسة تسعى الدولة من خلالها إلى استهلاك القدر المطلوب من السلع الغذائية الرئيسية، بما يتمشى مع توفير غذاء متوازن للمواطنين وفقاً للاحتياجات الصحية للأفراد،

وتعتبر هذه السياسة من السياسات المصاحبة للفترة 1981-1985 أي الخطة الخمسية الثانية.

سياسة الائتمان الزراعي: تتمثل هذه السياسة في تقديم القروض للمزارعين ، ويتم تنفيذ هذه السياسة عن طريق لمصرف الزراعي، الذي تم إنشائه في عام 1955، (18)، وقد بلغ إجمالي القروض (طويلة ومتوسطة وقصيرة) تتمثل هذه السياسة في تقديم القروض للمزارعين ، والتي قدمها منذ مباشرته نشاطه عام 1957 وحتى عام 2000 615 مليون دينار ، كما قدم المصرف خلال الفترة 1970-1990 دعم لمستلزمات الإنتاج بلغ حوالي 184 مليون دينار، ولشراء فائض المحاصيل الإستراتيجية من المزارعين بمبلغ قدره 89 مليون دينار⁽¹⁹⁾.

السياسة التسويقية والتوزيعية: مارست الدولة الليبية عدة تجارب للتسويق الزراعي منذ بداية الثمانينات، وقد تمثلت السياسة التسويقية في الفترة 1981-1983 في قصر تسويق المنتجات الزراعية على الشركة الوطنية للمنتجات الزراعية، إلى جانب الشركة الوطنية للأسواق والجمعيات التعاونية، وقد صاحب هذه الفترة الكثير من المشاكل وتدني كفاءة التسويق، وقد تمثلت هذه المشاكل في سوء المعاملة للمزارعين والمستهلكين على حدٍ سواء، والعرض السيئ والمناولة الرديئة للمنتجات، الأمر الذي أدى إلى الحاجة لوجود سياسة تسويقية جديدة تمثلت في السماح للمزارعين بتصريف إنتاجهم عن طريق البيع المباشر للمستهلك شريطة أن يتوفر لدى القائم بعملية البيع كتيب الحيازة يفيد لمزاولته مهنة الزراعة، منعاً لدخول وسطاء غير زراعيين في العملية التسويقية ، وقد استمرت هذه السياسة إلى 1985، ويعاب على هذه المرحلة في أن المزارعين يقضون وقتاً في ممارسة النشاط التسويقي بدلاً من أن، يقضوه في مزارعهم، مما أدى إلى اعتماد الوسيط كحلقة تسويقية خلال الفترة 1986-1989، بجانب الشركة الوطنية للتسويق مع قيام لجان مختصة بتحديد أسعار المنتجات الزراعية. ثم تبني الاتجاه نحو القطاع الخاص ليتولى المهام التسويقية بالكامل، الأمر الذي يعني العودة إلى مرحلة المنافسة والتسويق الحر في محاولة لإحداث تغييرات جذرية في نظام التسويق يمكن إجمال أهدافها في إيجاد نظام تسويقي يضمن تحول أكبر للعمل في النشاط الزراعي، وتقليل الفاقد في المنتجات

الزراعية أثناء التسوق، والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي، وتقليل الحلقات بين المنتج والمستهلك.

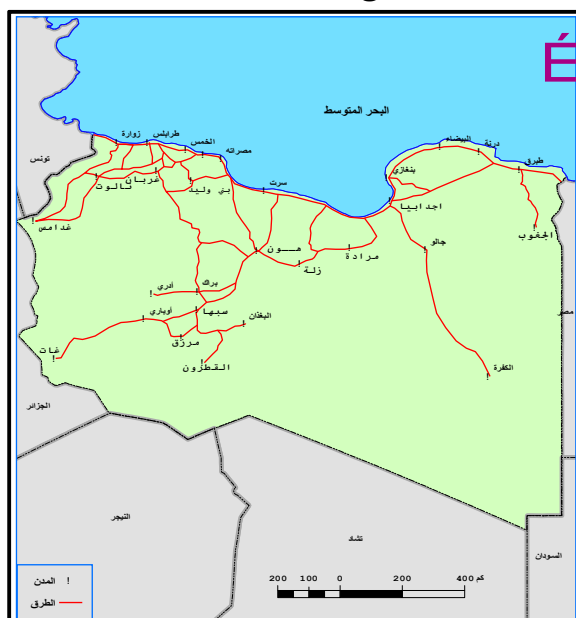
السياسة الإنتاجية: في إطار تحقيق الأمن الغذائي، وإنتاج الحد الأقصى من الغذاء تبنت الدولة الليبية العديد من السياسات المتعلقة بالإنتاج الزراعي، مثل سياسة توجيه الزراعة في إطار ترشيد استهلاك الموارد المائية، وذلك عن طريق تحديد إنتاج بعض المحاصيل وتحديد المساحات المزروعة رسمياً بذلك، وفي بعض الحالات تقدم الدولة إعانات مالية من أجل جزء من أراضيهم بدون زراعة من محصول معين، كما حدث بالنسبة لمحصولي الطماطم والحمضيات، نظراً لاستهلاكهما كميات هائلة من المياه، بالإضافة إلى الإنتاج الحيواني وإقامة الكثير من المشاريع والمجمعات الإنتاجية.

النقل والمواصلات: يعتبر عامل النقل والمواصلات أحد أهم عناصر الإنتاج والتبادل وهي ذات تأثير مباشر في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتطوير قطاعات الإنتاج والخدمات، فتنمية الأراضي الزراعية وتسويق المنتجات الزراعية ونقل القوى العاملة وتنمية الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي، كل ذلك يتوقف تحقيقه إلى حد كبير على مدى توافر عمليات النقل والمواصلات، هذا إلى جانب دورها الفعال في إنجاح المخططات والبرامج الصحية والتعليمية، وكذلك نشر الثقافة والوعي بين أفراد المجتمع وتحسين ظروفهم المعيشية.

وبصفة عامة فإن عامل النقل والمواصلات في ليبيا أصبح لا يشكل أي عائق بالنسبة للإنتاج الزراعي بفعل التطور الهائل في النقل والمواصلات، فلا تكاد مدينة من المدن لا ترتبط مع باقي المدن الأخرى كما هو مبين بالشكل 4.

أما المشاريع الزراعية الضخمة في شعبيات جنوب ليبيا تم توصيل هذه المشاريع مع الطرق الرئيسية، ليسهل نقل المحاصيل المنتجة من تلك المشاريع إلى الأسواق ثم إلى المستهلك، وفي المشاريع الخاصة أيضاً، أما في المشاريع الزراعية التي تقع في شمال ليبيا فهي مخططة تخطيط جيد فالطرق نجدها على شكل مربعات أو مستطيلات تربط كل المزارع بالشبكة الرئيسية للطرق كما هو الحال في مشروع الهضبة الخضراء الزراعي ومشروع وادي الحي اللذان يقعان في سهل الجفارة.

شكل 4 الطرق المعبدة بالجمهورية الليبية



المصدر : من عمل الباحث استناداً إلى ، محمد المبروك المهدي ، ص 353

الميكنة الحديثة: تلعب الآلات الزراعية دوراً مهماً في العملية الإنتاجية فهي توفر الكثير من الجهد والوقت على المزارع وتمكنه من زراعة مساحات شاسعة كان من المتعذر زراعتها واستثمارها في غياب الآلات، وبالنظر إلى استخدام الآلات الزراعية في ليبيا نجد أن استخدامها لم يكن معروفاً قبل اكتشاف النفط حيث محدودية الدخل وقلة رأس المال وغياب دور الدولة في الإعانات والقروض وغيرها من التسهيلات، ولذلك اقتضت الزراعة على المناطق الساحلية في شكل مزارع معاشية بمساحات قزمية صغيرة يعتمد المزارعون في إدارتها على وسائل بدائية يدوية وبواسطة الدواب، وتستخدم المعدات التقليدية في سحب المياه من الآبار المعروفة باسم (السواني) أما بعد اكتشاف النفط حيث توفر رأس المال بدأت الآلات الزراعية بالدخول إلى ليبيا مع بداية السبعينات وبدأت الزراعة في التوسع، وبدأ استخدام الآلة في جميع الأغراض الزراعية، حيث أقامت الدولة مصنع للجرارات الزراعية وتبنيه للمزارعين بأثمان مناسبة وأنشأت الجمعيات الزراعية الممولة من المصرف الزراعي ويتركز نشاط تلك الجمعيات توفير كل ما يحتاجه المزارع

من آلات التي تتمثل في الحصادات الكبيرة، ومضخات المياه الضخمة، وغيرها وبالنظر إلى الواقع الحالي لاستخدام الآلات الزراعية حسب الموسم الزراعي 2007، بلغ عدد الآلات المستخدمة في الحيازات الزراعية 285015 آلة زراعية، متمثلة في الجرارات الزراعية التي تستعمل لحرث المحاصيل وتسوية الأرض وجر البدارات والرباطات وغيرها من الاستعمالات، وكذلك السيارات نصف نقل وتستعمل لنقل المنتجات الزراعية إلى الأسواق، وجلب المستلزمات الزراعية إلى المزارع، والجدول 11 يبين أهم الآلات الزراعية المستخدمة في الحيازات الزراعية الموزعة على كل مناطق الجماهيرية الليبية. ومن استقراء الجدول نلاحظ أن منطقتي المرقب وطرابلس من أكثر المناطق استعمالاً لهذه الآلات، لوجود الحيازات الزراعية الكثيرة ومساحاتها الواسعة تليهما منطقة الجبل الغربي لاتساع وديانها التي تزرع عقب سقوط الأمطار ووجود مزارع الزيتون البعلي.

جدول 11 التوزيع الجغرافي لأهم الآلات المستخدمة في الحيازات الزراعية لسنة 2007.

الآلات التي استخدمت في الحيازات						المنطقة
جرار زراعي	سيارة نصف نقل	بدارة	حصادة	رباطة	أخرى	
3693	2844	2704	2814	2293	467	البطنان
7664	5020	4699	4462	3964	1399	الجبل الخضري
1764	2239	214	46	38	774	بنغازي
2147	994	189	499	603	822	سرت
27662	11929	2022	7159	10766	9067	المرقب
22620	13751	1927	5628	6008	4920	طرابلس
10375	6448	805	5318	4758	2025	الزاوية
16236	5562	60	2708	3161	1243	النقاط الخمس
14945	7760	178	516	747	1805	الجبل الغربي
512	477	12	6	4	390	الكفرة
2751	2257	771	1214	1072	978	سيها
2886	2336	909	1953	1571	1745	مرزق
1302	600	27	304	270	207	أوباري
114557	62217	14517	32627	35255	25842	المجموع

المصدر : من عمل الباحث استناداً إلى التعداد الزراعي 2007.

الخاتمة:

- النتائج والتوصيات:** من التحليل السابق تبين أن العوامل البشرية بشكل عام قد ساهمت مساهمة فعالة في انخفاض الإنتاج الزراعي وذلك من خلال مايلي:
- انخفاض الأهمية النسبية للعمالة الزراعية لصالح الأنشطة الاقتصادية الأخرى، مثل قطاع التعدين، والتشييد، وغيرها، حيث كان مساهمة العمالة الزراعية الى العمالة الكلية قد بلغت 19% في سنة 1980، ثم تناقصت الى 6%، سنة 2007.
 - فيما يخص السياسة الإدارية فأن العجز في بلوغ الأهداف على صعيد الإنتاج كان ملازما لكل الخطط التنموية، لذلك فالنتائج سوء استخدام الموارد الطبيعية.
 - اثر القرار السياسي في تذبذب التسويق الزراعي، فقد مر التسويق بثلاث مراحل رئيسية كل مرحلة اتسمت بخصائص معينة اربكت الفلاح في تسويق منتجاته الزراعية.
 - لقد صرفت مبالغ مالية كبيرة على قطاع الزراعة تمثلت في إعطاء القروض الزراعية واقامة المشروعات الزراعية المتكاملة، وتعبيد الطرق، واستجلاب الالات الزراعية استصلاح الأراضي، ولكن مع هذا كله لم يحقق هذا القطاع النتائج المرجوة من هذه المصروفات.
 - إن كل تلك الحقائق والاستنتاجات التي توصل اليها الباحث، كان لها الفضل في وضع عدد من المقترحات والتوصيات التي لو اخذت بعين الاعتبار قد تساهم في الحد من سلبية تلك العوامل سالفة الذكر منها:-
 - تحفيز المزارعين للعمل بهذا القطاع وإعطاء مزايا لهم من خلال إقامة معارض تنافسية بينهم في عرض محاصيلهم من حيث الكم والكيف، وصرف مبالغ قيمة للفائزين.
 - الحد من التفتيت الحيازي للأراضي الزراعية من خلال اعتماد أسلوب الإدارة الجماعية للمزرعة مع اقتسام عائدها بدل من اقتسام مساحتها.

- وضع سياسة تسويقية وسعريّة مناسبة للمحاصيل وخاصة الحبوب منها، بهدف تطوير وتحسين الإنتاجية وتشجيع المزارعين على التوسع في زراعة هذه المحاصيل.

يوصي الباحث الجهات المعنية بالدولة اتخاذ الإجراءات التنظيمية لحل مشاكل تكديس انتاج بعض المحاصيل والاهتمام بالبحوث والدراسات في مجال الزراعة بشكل عام، وتشجيع الباحثين ودعمهم ماديا ومعنويا .

المراجع:

1. البزاري، نوري خليل وآخرون، (1980) الجغرافية الزراعية، دار المعرفة بغداد.
2. Moore D. S. and George P. M. (2006). Introduction to the practice of statistics, 5^{ed}, W. H. Freeman & Company, New York.p 6.
3. جامعة الدول العربية، (1994)، المنظمة العربية للتنمية الزراعية في عقد الثمانينات، الجماهيرية الليبية، ص44.
4. الديب، محمود إبراهيم، (1995) جغرافية الزراعة، مكتبة الانجلو، القاهرة، 1995، ص16.
5. Taher Azzabi , food self- sufficiency , Agriculture Research center , Tripoli k Libya 2005.
6. عبدالامير، سمير وآخرون (2002)، دور التمويل في تنمية القطاع الزراعي الليبي، بحث مقدم إلى مؤتمر التنمية الاقتصادية في ليبيا، الماضي والمستقبل، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، ليبيا. ص6.
7. الدهري، عبد الوهاب، (1980) الاقتصاد الزراعي، دار المعرفة بغداد، العراق. ص54.
8. رشراش، محمد وآخرون،(1995) التمويل الزراعي اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، عمان، الأردن، ص1
9. محمد عبد الله الجربي، وآخرون، ندوة حول دليل الإقراض الزراعي في الجماهيرية الليبية، طرابلس، 1977، ص 14.
10. الطبولي، ابولقاسم عمر وآخرون، (1992)، السياسات الزراعية وأثرها على الإنتاج الزراعي، مركز البحوث الزراعية، طرابلس، ليبيا، ص66 .
- 11 .S.A Hajjajii. The Agricultural Development Plans in The Socialist People s Libyan Arab 1981 Jamahiriya and five-year Agricultural Transformation Plan. Tripoli Libya . S.A.

- 12 .K.L, Ministry of planning and development , Agriculture in Libya and a plan for its . development , govt. Printing press, Tripoli, 1966,
- 13.الجنديل، عدنان (1978)، الزراعة ومقوماتها في ليبيا، مرجع سابق، ص 64.
- 14.ج.ع.ل.ش.أ.ع، (1997) أمانة التخطيط، المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية 1968-1996، مطابع الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، طرابلس.
15. جامعة الدول العربية، (1994)، المنظمة العربية للتنمية الزراعية في عقد الثمانينات، الجماهيرية الليبية، ص195.
16. الأرباح، صالح الأمين (1996) الامن الغذائي ابعاده وسبل تحقيقه، الجزء الأول، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، ليبيا، ص215.
17. الفيتوري، عطية المهدي، (2002) السياسات التجارية والتنمية الاقتصادية، مؤتمر التنمية الاقتصادية في ليبيا، الماضي والمستقبل، مركز البحوث الاقتصادية طرابلس، ص23.
18. رشاش، محمد وآخرون، (1995) مرجع سابق، ص66.
19. اللجنة الشعبية العامة (2002) مجلس التخطيط العام المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية، تقرير غير منشور، ص45.

أثر استخدام استراتيجية العصف الذهني في تدريس مقرر القياس والتقويم لتنمية التحصيل الدراسي لدى طالبات كلية التربية بالزاوية

د. مفيدة أبوالقاسم علي الرجبي

كلية التربية الزاوية - جامعة الزاوية

المقدمة:

يشهد العصر الحالي وفي الآونة الأخيرة تقدماً ملحوظاً في العلم وتطبيقاته، حيث أصبح رقي الأمم وتطورها يقاس بمدى تقدمها العلمي، ومن هنا كان من الضروري أن تتغير التربية تغير شاملاً من حيث الكم والكيف حتى تلاحق هذه الرقي وذلك التطور العلمي والاجتماعي الكبير والسريع على مستوى القومي والمحلي في جميع المجالات، وأن التعليم ونظمه بحسبانه أمثل صور الاستثمار، حيث أخذ العديد من الدول إلى تبني الكثير من الإصلاحات التعليمية وانتهاج سبل منوعة لتطوير نظمها وممارساتها التعليمية. ولم يقف الأمر عند حد إعادة النظر في الفكر الذي يهدد الممارسة في مجال تطوير مختلف عناصر المنظومة التعليمية، بل تعداه إلى الطرائق والأساليب والوسائل بغية التوصل إلى أكثرها ملائمة وأجداها مردوداً ونتاجاً.

وتهدف التربية المعاصرة إلى التنمية الشاملة للمتعلم، وهي تهتم باكتساب المعلومات والمهارات والاتجاهات وطرق التفكير، وذلك حتى يتمكن من حل المشكلات التي تواجهه في حياته اليومية. ولتحقيق هذا الهدف لم يعد الاهتمام مقصوراً على تحصيل المعلومات بل تعداه إلى كيفية الحصول عليها أيضاً، وإتاحة الفرصة للمتعلمين لكي يمارسوا قدرات التفكير واستخلاص الاستنتاجات من البيانات التي تتوفر لديهم.

يؤكد ذلك (Baloch) على أهم المتطلبات المستقبلية التي يجب على التربية التخطيط والأعداد لها هي التخلي عن السياسات التعليمية القائمة على إكساب المعلومات وتخزينها في عقول المتعلمين، والتوجه نحو تنمية القدرات العقلية للمتعلمين وإكسابهم مهارات متنوعة لرفع من مستوي تحصيلهم الدراسي⁽¹⁾، ولذلك نلحظ اهتماماً متزايداً باختيار المعلمين وإعدادهم وتدريبهم داخل كليات التربية بمختلف تخصصاتهم بهدف رفع مستوى فاعليتهم في تعليم الأجيال أثناء العملية التعليمية، فلم يعد الأمر مجرد تلقين لمعارف أو

معلومات، بل أن التحدي الحقيقي للمعلم سواء في الآونة الراهنة أو مستقبلاً إنما يكمن في قدرته على توجيه التعلم ورعايته الأمر الذي يجعل الطالبة أكثر إيجاباً ومشاركاً لتحقيق ذاتها، الأمر الذي يتطلب من معلم اليوم والغد أن يعتمد على أساليب وطرق حديثة ومتنوعة ومغايرة عما كان في السابق بحيث يكفل رفع مستوى الطلبة في التحصيل الدراسي.

فطريقة التدريس السائدة طريقة المحاضرة التي تعتمد على الإلقاء والتي تكون فيها الطالب طرفاً سلبياً أي متلقياً فقط، وهذه الطريقة تجبر الطلبة على الحفظ والاستظهار فقط دون أن يكتسب الخبرات والمهارات التي تؤهله لمواجهة المشكلات أثناء التعامل مع الطلاب في المستقبل، وأن الاعتماد على طريقة التدريس التقليدية تؤدي في أغلب الأحيان على تدني مستوى التحصيل الدراسي.

فمقرر القياس والتقويم - باعتبارها تمثل مجال اهتمام الدراسة الحالية - هي من المواد التي تدخل ضمن المقررات التعليمية بكليات التربية، كمجال من مجالات المعرفة الضرورية، ولهذا فإن المطلوب لدارسها أن تقدم له مادتها العلمية بأسلوب يعتمد على الاختيار والتبسيط والتعديل، بما يتناسب مع أهداف محددة لمستويات المتعلمين بمرحلة التعليم الجامعي، فليس من أهداف هذه المواد إعداد باحثين متخصصين فالهدف من إدخالها ضمن البرامج التعليمية الجامعي هو إدراك التربويين أن هذه المقررات لها طبيعة خاصة وإمكانيات ظاهرة يمكن توظيفها في بلوغ أهداف ربما يصعب بلوغها من خلال مقررات دراسية أخرى، وأن ما يسعى إليه مقرر القياس والتقويم لتحقيقه من أهداف تتطلب أن يمارس الطلبة بأنفسهم الخبرات التعليمية المنظمة والمخططة، ولكي يندمجوا ويستجيبوا للدعوة إلى تلك الممارسة يتطلب ذلك اعتماد التدريس على أسلوب أو طريقة تحمل في ذاتها إمكانية إثارة الطلبة وخلق الدافع للتعلم، ويؤكد ذلك كلاً من (Richard and Lockluart) إلى أن هناك اتجاهاً جديداً في العملية التعليمية لتغيير دور القائم بعملية التعليم إلى إتباع أساليب جديدة تؤدي إلى تغيير وتعديل الأدوار التقليدية القديمة، وبالرغم من هذه الأساليب إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن المعلم كعنصر هام وأساسي في العملية التعليمية⁽²⁾، والذي لا يقتصر دوره على تنظيم المعلومات والمفاهيم

في البنية العقلية المعرفية لطلاب فقط، بل يمتد دوره إلى تطوير طريقة تدريسية التي تنمي التحصيل الدراسي بكافة مستوياته، كما تعمل على تعديل طريقة التفكير للتلميذ لتمكينه من فهم المادة الدراسية.

فالتحصيل الدراسي يعرف بأنه مقدار ما يتكون لدى المتعلم من معرفة، ويقاس بالدرجة التي يتحصل عليها في الاختبار التحصيلي المعد لذلك.

حيث اعتمدت هذه الدراسة على تصنيف (بلوم Bloom) وزملائه والذي يعتبر من أكثر التصنيفات استخداماً في التعرف وصياغة الأهداف التعليمية التي قسمت إلى ثلاث مجالات هي: المجال المعرفي الإدراكي، المجال الانفعالي أو الوجداني، المجال النفس حركي. واعتمدت الدراسة على المجال المعرفي بمستوياته الستة مستوى التذكير، ويعني المعرفة المباشرة، مستوى الاستيعاب، ويعني الفهم والتطبيق المباشر للمعرفة، مستوى حل المشكلات، ويعني التحليل، التركيب، التقويم للمعرفة فبالنسبة للمجال المعرفي يكون الاهتمام بتنمية فكر يتصف بالطلاقة والمرونة ذو توجه مستقبلي ويركز محتوى التعلم على الوظيفة التوجيهية التي تمكن الطلبة

من التنبؤ بالعالم الذي سوف يعيش فيه، ولا يكون هذا ممكناً إلا إذا انصب الاهتمام بالمستويات المعرفية العليا والدنيا (كالتذكر والفهم والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم).

وعليه فإن الحاجة ماسة للبحث عن أساليب وطرق جديدة في التدريس تركز على إثارة وعي الطلبة لفهم أساليب القياس والتقويم وتنمية التحصيل الدراسي، ومن هذه الأساليب أسلوب العصف الذهني.

وتمكن من وضع قواعده (عام 1953) ويقصد به تنمية قدرة الأفراد على حل المشكلات من خلال إتاحة الفرصة لهم معاً لتوليد وإنتاج الأفكار والحلول بشكل تلقائي وحر. ويمكن النظر إليه على أنه "أحد أساليب المناقشة الجماعية التي يشجع فيها أفراد مجموعة من (5-12) فرد بإشراف رئيس لها على توليد أكبر عدد ممكن من الأفكار المتنوعة لحل مشكلة ما، ويتم ذلك عادة خلال جلسة، أو عدة جلسات، ويقوم هذا الأسلوب على مبدئين أساسيين هما⁽³⁾:

- 1- تأجيل الحكم على قيمة الأفكار التي يطرحها المناقشون للمشكلة حتى انتهاء المناقشة، فذلك من شأنه أن يسمح يتدفق الأفكار دون قيود.
 - 2- الكم يولد الكيف، فكلما زاد عدد الأفكار المقترحة زاد نصيب الجيد والأصيل منها ويتطلب تفعيل المبدئين السابقين الالتزام بالقواعد والشروط الآتية:
 - 1- ضرورة تجنب أي نقد أو تقويم سواء أكان إيجابياً أو سلبياً لأي فكرة من الأفكار المطروحة.
 - 2- تقبل أي فكرة مهما كانت مادامت متصلة بالموضوع المعروف.
 - 3- تشجيع الأداء بأكبر عدد ممكن من الأفكار لأن الكم يولد الكيف.
 - 4- البناء على أفكار الآخرين وتطويرها.
- وكان سبب اختيار لهذا الأسلوب في تدريس مقرر القياس والتقويم ذلك لأنه (4):
- 1- يعمل على تفعيل دور الطالب في المواقف التعليمية، ويعتاد على احترام وتقدير آراء الآخرين.
 - 2- أن يعتاد الطلبة على الاستفادة من أفكار الآخرين من خلال تطويرها والبناء عليها.
 - 3- تحفيز الطلبة على توليد وإثارة وإحضار الأفكار حول موضوع الدرس من خلال الدراسة على إجابات صحيحة.
 - 4- يعتمد على إيجابية الطالبات أثناء جلسة العصف الذهني الجماعي.
- ولذلك جاء اختيار أسلوب العصف الذهني كأسلوب تدريسي في الدراسة الحالية لتنمية التحصيل الدراسي، ذلك لأن الموقف التعليمي العاصف للذهن في أسلوب جماعي تعاوني يعد موقف تحدي للتفكير يتطلب المرونة في طريقة تناوله عقلياً وإدراك العلاقات وأحياناً الخيال والتنبؤ بما يمكن أن يحدث في ظروف معينة وهذا ما يتفق مع الدعوى إلى ضرورة تهيئة الفرصة لتحمل الطلبة هذه المرحلة مسؤولة أعمالهم العقلية.
- مشكلة الدراسة:** مقرر القياس والتقويم كغيرها من ميادين المعرفة الأخرى يجب أن يتجه إلى تحقيق أهداف واضحة ومحددة حتى لا يضيع وقت الطالبات دون إفادة، حيث من الملاحظ أن مقرر القياس والتقويم غير قادر على تحقيق أهداف تدريسها بصورة متكاملة ويرجع ذلك بصورة كبيرة إلى القصور الشديد في طرائق وأساليب التدريس الحالية

المستخدمة، إلا أن المستقرى لواقع تعليمها وتعلمها في مرحلة التعليم الجامعي بكليات التربية يلمس قصور هذه المقرر عن الوفاء بأدواره ووظائفه لأن طريقة تدريسها تعتمد على حفظ المعلومات دون أعمال العقل، مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي، ولقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن القصور في التحصيل الدراسي وغيره من جوانب التعلم لا يعزي إلى أمور تتعلق بالطلبة وانخفاض مستوى قدراتهم التحصيلية - بل أن ذلك قد يرجع إلى عدم تهيئة البيئة المواتية للتعلم، لأن الأساليب التعليمية تقليدية وتحد من فاعلية تعلمهن، ومن هذه الدراسات (دراسة وليد الجابري 2007)⁽⁵⁾، ودراسة (هبة عبد الله 2005)⁽⁶⁾، ودراسة (شيرين غالي 2003)⁽⁷⁾، ودراسة (أحمد جابر السيد 2002)⁽⁸⁾، وقد أكدت هذه الدراسات والبحوث أن طريقة الإلقاء والتلقين هي الطريقة السائدة في تدريس، وهذا يؤدي إلى تدني مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلاب. ومن ثم فإن الدراسة الحالي يقوم على مسلمة بأن تتبنى أسلوب العصف الذهني في تدريس القياس والتقويم من شأنه أن يؤدي إلى رفع مستوى فاعلية تعلم الطلبة ورفع مستوي تحصيلهن الدراسي.

ومن خلال العرض السابق تحاول الدراسة الحالية الكشف عن اثر أسلوب العصف الذهني في تحقيق الأهداف المرجوه من مقرر القياس والتقويم لتنمية التحصيل الدراسي لدى طالبات السنة الرابعة بكلية التربية الزاوية بجامعة الزاوية،

ومن ثم إنبتقت مشكلة الدراسة الحالية والتي يمكن تحديدها في السؤال الرئيسي التالي:

ما مدى تأثير استخدام العصف الذهني في تدريس مادة القياس والتقويم لتنمية التحصيل الدراسي لدى طالبات السنة الرابعة كلية التربية بالزاوية؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما تأثير استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس مقرر القياس والتقويم لتنمية

التحصيل الدراسي لدى طالبات السنة الرابعة كلية التربية بالزاوية؟ في حدود

السؤال الرئيسي للمشكلة فإن الدراسة الحالية تسعى للتحقق من صحة الفرض

التالي:

- 1- توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطي درجات طالبات المجموعة التجريبية الواحدة في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي على اختبار التحصيل الدراسي في مقرر القياس والتقويم في المستويات الستة المعرفية لصالح التطبيق البعدي.
- 2- توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطي درجات طالبات المجموعة التجريبية الواحدة في التطبيق البعدي والتطبيق التتبعي على اختبار التحصيل الدراسي في مقرر القياس والتقويم في المستويات الستة المعرفية لصالح التطبيق التتبعي.
- أهداف الدراسة:** يهدف الدراسة الحالية إلى بين تأثير استخدام العصف الذهني في تدريس مقرر التقويم والقياس لتنمية التحصيل المعرفي لدى طالبات السنة الرابعة كلية التربية بالزاوية والتحقق من مدى فاعليته.

أهمية الدراسة: تتأكد أهمية هذا الدراسة فيما يمكن أن يسهم به فيما يلي:

- 1- تعد الدراسة الحالة استجابة موضوعية لما يناهز به التربويون في الوقت الحاضر من ضرورة إعادة النظر في المناهج الدراسية وتقديمها بطرق تدريس واستراتيجيات وأساليب جديدة تساعد على تفعيل عملية التربية لتحقيق أهدافها التي تسعى إليها.
- 2- قد يسهم في توجيه القائمين والمهتمين بالتدريس إلى أهمية استخدام أسلوب العصف الذهني للتغلب على أوجه القصور في طرق تدريس مقرر القياس والتقويم.
- 3- تزويد القائمين على العملية التعليمية في مجتمعنا بدراسة لتنمية التحصيل المعرفي بمستوياته المعرفية الستة في مادة القياس والتقويم للاستفادة منه عند تطوير وإعداد الاختبارات للمناهج الجامعية بالمواد المقررة بمرحلة التعليم الجامعي.
- المنهج المستخدمة في الدراسة الحالية:** تستخدم الدراسة الحالية كلاً من: **المنهج الوصفي التحليلي:** في الجانب النظري (الإطار النظري).
- المنهج التجريبي التربوي:** في الدراسة الميدانية، وسوف يستخدم التصميم التجريبي ذو المجموعة التجريبية الواحدة، للتحقق من مدى فاعلية أسلوب العصف الذهني في تنمية التحصيل الدراسي لدى طالبات المجموعة التجريبية الواحدة مقارنة التطبيق القبلي بالتطبيق البعدي والتتبعي.

أدوات الدراسة: أدوات التجريب وتشمل: منهج معد من ضمن موضوعات المختارة من مادة القياس والتقويم وفق أسلوب العصف الذهني.

أدوات القياس: اختبار التحصيل الدراسي للوحدة المختارة بمستوياته بلوم الستة من - إعداد الباحثة.

حدود الدراسة:

- 1- بناء منهج القياس والتقويم لتنمية التحصيل الدراسي في بعض من الموضوعات المقررة على طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية.
- 2- تطبيق وحدة التجربة في بعض من الموضوعات المقررة على طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية..
- 3- تقويم أثر أسلوب العصف الذهني في تنمية التحصيل الدراسي بمستوياته المعرفية السنة.

تحديد المصطلحات:

- 1- **التأثير:** بأنه "مدى الأثر الذي يمكن أن تحدثه المعالجة التجريبية باعتبارها متغيراً مستقلاً في أحد المتغيرات التابعة"⁽⁹⁾. أما الدراسة الحالية فيمكن تعريف التأثير إجرائياً بأنه "الأثر الذي يمكن أن يحدثه تطبيق أسلوب العصف الذهني في تنمية التحصيل المعرفي في بعض من الموضوعات المقررة على طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية.
- 2- **أسلوب العصف الذهني:** أسلوب يستخدم لحفز التفكير وتوليد الأفكار نحو مشكلة أو قضية ما، وإيجاد حلول للمشكلات بصورة أكثر فاعلية، ويهدف التدريب عليه إلى توظيف قوة التفكير الجماعي لدى المجموعة للتوصل إلى أفكار لا يستطيع الفرد بمفرده الوصول إليها⁽¹⁰⁾. وتعرفه الدراسة الحالية إجرائياً هو أسلوب يتركز حول الطلبة ويعمل على إثارتهم و يقوم على التدايعات الحرة بهدف توليد أكبر قدر ممكن من الأفكار حول موضوع الدرس المعروض للمناقشة، بحيث يتيح لكل طالبة داخل مجموعة الأداء بآرائه والأفكار والحقائق الممكنة حول موضوع الدرس.

3- **التحصيل:** بأنه قدرة الطلبة على المعرفة أو الفهم أو المهارة في مادة دراسية أو تدريبات معينة أو مجموعة من المواد⁽¹¹⁾. ويمكن تعريفه إجرائياً: بأنه مجموع الدرجات التي يتحصل عليها الطلبة في الاختبار التحصيل الدراسي في بعض من الموضوعات المقررة على طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية والمعدة من قبل الباحثة.

4- **مقرر التقويم والقياس:** مقرر تربوي ومنطلق لكليات التربية، يهدف إلى تمكين الطلبة من تعرف على انواع الاختبارات ومميزاتها وعيوبها، وتصميم اختبارات تربوية ونفسية متنوعة. بالإضافة الي التعرف على عمليتي القياس والتقويم خصائص والمعايير والمميزات... الخ.

الفصل الثاني: الاطار النظري للبحث

أولاً: العصف الذهني ماهيته - طبيعته - أهميته:

- ماهية العصف الذهني **Brain - Storming**: يعتبر العصف الذهني من الأساليب الفعالة في أعمال عقلي نشط لتوليد أكثركم من الأفكار في موضوع معين، يعتمد على قدرة الطالبات على التفكير المبتكر (مجدي إسماعيل، ص 525-563) وتوفير الرغبة في الاندماج الواعي للطالبات مع عالم الخيال في توليد الأفكار واستخدام العقل تحراً من قيود الواقع الفعلي (محمد نصر، 2000، ص 499-523) يعد العصف الذهني من الأساليب الفعالة في تنمية مهارات التفكير بمختلف أنماطه، وتوليد الأفكار واستكشاف و جهات النظر المختلفة، والعصف الذهني أسلوب يستخدم لحفز التفكير وتوليد الأفكار نحو مشكلة أو قضية ما وإيجاد حلول للمشكلات بصورة أكثر فاعلية، ويهدف التدريب عليه إلى توظيف قوة التفكير الجماعي لدى المجموعة للتوصل إلى أفكار لا يستطيع الفرد بمفرده الوصول إليها⁽¹²⁾.

وللتفعيل دور الطالبة في عملية التعلم وتحقيق الأهداف المستقبلية للتربية.

ويعد (أليكس أيزورن) الأب الشرعي لطريقة العصف الذهني في تنمية التفكير الإبداعي حيث جاءت هذه الطريقة كرد فعل لعدم رضاه عن الأسلوب التقليدي السائد

أنداك ولهذا الأسلوب عدة مرادفات منها القصف الذهني، والعصف الذهني، والمفكرة، وإمطار الدماغ، وتوليد الأفكار، وتدفق الأفكار⁽¹³⁾.

وهو من أكثر الأساليب التي حظيت باهتمام الباحثين والدارسين لأهميته في العملية التعليمية، حيث يعرفه (هيك Haka) بأنه تكنيك قدمه أليكس أوسبورن في الثلاثينات، وتستخدم هذه الطريقة مع المجموعات كي يتم تدعيم الحل الإبداعي للمشكلة وذلك من خلال توليد الأفكار الجديدة وقبول الكثير من الحلول المقترحة⁽¹⁴⁾.

ويعرف أيضاً (شعلة) بأنه أسلوب يتركز حول الطلبة وتعمل على إثارتهم، وتقوم على التداويات الحرة، وتهدف إلى توليد أكبر قدر ممكن من الأفكار الخلاقة حول مشكلة أو موضوع مطروح للمناقشة، بحيث يتاح لكل فرد الفرصة للإدلاء بجميع الآراء والأفكار الممكنة⁽¹⁵⁾ كما عرفه (أزبورن 2001 Osborn) بأنه مؤتمر تعليمي يقوم على أساس تقديم المادة التعليمية في صورة مشكلات تسمح للتعلمين بالتفكير الجماعي لإنتاج وتوليد أكبر عدد ممكن من الأفكار أو الحلول التي تدور بأذهانهم مع إرجاء النقد أو التقييم إلى بعد الوقت المحدد لتناول المشكلة⁽¹⁶⁾.

وتبين من خلال التعريفات السابقة بأن هذا الأسلوب يقوم بتنمية قدرة الطلبة على توليد الأفكار، وذلك من خلال تقسيم الطلبة أثناء المحاضرة إلى مجموعات، تم طرح عليهم المشكلة التي تحتاج الي تقويم وقياس و تتعلق بموضوع المحاضرة، بعدها يقدم الطلبة بإعطاء حلول متنوعة للمشكلة، ويرحب بها كلهن، وتقوم قائده في المجموعة بتسجيل كل الأفكار على أن لا يسمح بالنقد وتقويم تلك الأفكار إلا في نهاية الجلسة بواسطة استاذة المادة والطلبة داخل القاعة الدراسية.

يلاحظ على ما سبق بأن هذا الأسلوب يجعل التدريس أمر ممتعاً لا ضيق فيه، ويزيل الخجل والانطواء عند الطالبات، ويولد لديهن الجرأة والشجاعة والتفاعل التعاوني الجماعي مما يزيد من التنافس الفردي والجماعي مما ينمي القدرات العقلية الوجدانية والتحصيل الدراسي في التدريس.

طبيعة العصف الذهني وأهميته في التدريس: إن توظيف العصف الذهني في التدريس يساعد المعلم على إدارة الموقف التعليمي، فإن معيار الجودة في التدريس لم يعد مرتبطاً

مرتبط فقط بارتفاع مستوى التدريس⁽¹⁷⁾، بل تعدى ذلك ليشمل نمو ما حدد من سلوكيات في جميع جوانب الخبرة، ويتضمن ذلك تدريس التلاميذ كيف يتعلمون معتمدين على أنفسهم⁽¹⁸⁾، وفي حالة تطبيق هذا المعيار على استراتيجية العصف الذهني، نلاحظ أن محور الاهتمام فيها ليس التحصيل، ومن ثم يتحقق التحيل كمحصلة حتمية إذا ارتفع مستوى الأداء العقلي للمهام التعليمية المطلوب إنجازها، فالموقف التعليمي العاصف للذهن، يعد موقف تحدي للتفكير تطلب المرونة في طريقة تناوله عقلياً، وإدراك للعلاقات، وأحياناً يتطلب الخيال، ويتطلب أيضاً التنبؤ بما يمكن أن يحدث في ظروف معينة، واتخاذ القرار في المهام المطلوب إنجازها، وهذا ما يتفق مع الدعوة إلى ضرورة تهيئة الفرصة لتحمل التلاميذ مسؤولية أعمالهم العقلية⁽¹⁹⁾.

إن تنمية قدرة المتعلم على التحصيل الدراسي والتفكير بجميع أنواعها، واستخدام العقل في كسب المعرفة، يتطلب اهتمام القائمين بالتدريس المعتمد على استخدام المتعلم لعقله في إنتاج المعرفة⁽²⁰⁾، ودعم ما يحققه المتعلم من مهام عقلية، بغض النظر عن حجم هذه المهمة، فنجاح المتعلم في إنجاز الأعمال الصغيرة يعد دافعاً له لإنجاز الأعمال الكبيرة والأصعب⁽²¹⁾، ويتفق ذلك مع الدعوى إلى الاهتمام بالتعلم الذاتي، وما يرتبط به من إثارة نشاط المتعلم وإيجابيته، وحفزه على الوصول إلى المعرفة بجهدته الذاتي، والاهتمام باكتساب الفرد المهارات، والإمكانات التي تمكنه من أن يصبح قادراً على تعلم نفسه، وامتلاك القدرة على الدراسة والتقيب عن المعلومات⁽²²⁾.

ويؤكد (محمد نصر) بأن توظيف العصف الذهني في التدريس، ارتكز على عدة مسلمات منها⁽²³⁾:

- الاندماج في الموقف العصف التعليمي العاصف للذهن يزداد بارتفاع مستوى التوتر العقلي الدافع لأعمال العقل.
- مشاركة التلميذ في الموقف التعليمي العاصف للذهن مشاركة حتمية.
- دور المعلم في مواقف العصف الذهني هو دور وسيط محرك للعمل العقلي.
- أنه لكي يحقق التلميذ عائد تعليمي كبير، يجب أن يسمح لهم أن يكونوا متلقين سلبيين.

تعد أسلوب العصف الذهني أكثر المنهجيات شيوعاً واستخداماً في الميدان التربوي، فهو أسلوب تدريس يقوم المعلم خلالها بتقسيم الطلبة داخل القاعة إلى أكثر من مجموعة، بحيث لا يتجاوز عدد أفراد المجموعة عن (6-12) تم يطرح عليهم مشكلة تتعلق بموضوع الدرس، وبعدها يقوم الطلبة بإعطاء حلول متنوعة للمشكلة، ويوجب بها كلها، مما كانت غريبة - هذا يعطي أهمية كبيرة في التدريس مما يجعله سهل وممتع، برفع الخجل عن الطلب فمن خلال المجموعات التعاونية داخل القاعة الدراسية وخاصة في وجود التنافس بينهم.

الأسس التي يقوم عليها العصف الذهني: يؤكد كلاً من (ولس Paulus P.B) (24)، (محمد الكيومي) (25)، (سيد حمدان 2000) (26)، على أن العصف الذهني يقوم على مجموعة من الأسس فهي على النحو الآتي:

- 1- تأجيل الحكم على الأفكار: لأن الأفراد المشاركين في جلسات العصف الذهني سيحجمون عن المشاركة بالأفكار عند إحساسهم بأن أفكارهم ستقذ أو تقيم أو ان أفكارهم مراقبة.
- 2- الكم يولد الكيف: أي كثرة الأفكار مهما كانت غريبة أو بسيطة سيؤدي إلى توليد أفكار جديدة أكثر فعالية وفائدة أي ينبغي الاهتمام بكمية الأفكار وليس بنوعيتها.
- 3- البناء على أفكار الآخرين وتطويرها: فهو أسلوب العصف الذهني يُسمح للأفراد ببناء أفكارهم على الأفكار المعطاه من قبل الطلبة المشاركات له في المجموعة لتطويرها وتحسينها وإيجاد أفكار أخرى جديدة منها، كما يمكن الربط بين فكرتين أو أكثر من الأفكار في فكرة واحدة.

وهناك عدة قواعد ينبغي مراعاتها استخدام العصف الذهني أثناء التدريس وهي:

- 1- تجنب النقد، وهي مسئولية رئيس الجلسة، حيث عليه أن يمنع جميع أنواع الانتقاد.
- 2- إطلاق حرية التفكير والترحيب بكل الأفكار مما كان نوعها أو مستواها.
- 3- البناء على أفكار الآخرين وتطويرها، ما دامت تسير في الطريق الصحيح لحل المشكلة.
- 4- أن يسود الجلسة جو من خفة الظل والمتعة العلمية المنضبطة لرفع معنويات الطلبة.

- 5- يجب أن تكون المشكلة أو موضوع النقاش محدداً وليس عاماً حتى يتمكن الأفراد زمن حصر اهتمامهم وتوجيه أفكارهم بدقة.
- 6- التمسك بأسس العصف الذهني، وهي تجنب النقد وإطلاق عنان وحرية التفكير.
- 7- تسجيل جميع الأفكار على لوحات أو السبورة أو في مذكرات حتى يتسنى للجميع أن يراها ويقرؤها.
- 8- يجب أن يستمر تشجيع لتوليد الأفكار حتى يتوقف ظهور أفكار جديدة.
- 9- تقييم جميع الأفكار بعد انقضاء الجلسة.

مراحل أسلوب العصف الذهني: تمر جلسة العصف الذهني بثلاث مراحل هي (27):

1- **مرحلة الإعداد:** في هذه المرحلة لا يتم التعامل مع الموضوع أو المشكلة ككتلة واحدة، ولكن يتم تقنينها إلى عناصرها الأولية تجزئة الموضوع على مهارة القائم بزيادة عملية العصف الذهني داخل المجموعة (محمد عبدالغني، 1997، صص 42-44) وتحتوي هذه المرحلة على تحديد الهدف من الجلسة، وتحديد الموضوع تحديداً دقيقاً، وبعدها يتم تحديد قائمة المجموعة، ويتم اختيارها من قبل المجموعة أنفسهم، تم تحديد مهامه من حيث ضبط الوقت، وحث الأفراد على التفكير وتعزيز المقترحات واستئناف طرح الأفكار كما انه مسئول عن الجلسة من حيث تقسيم الطلبة إلى أكثر من مجموعة، وتنظيم جلوسهن داخل المجموعات، وإعداد الأدوات اللازمة للاستفادة منها في تسجيل الأفكار.

2- **توليد الأفكار وعرضها:** يتم طرح المشكلة أو موضوع الدرس من قبل الطلبة ثم تبدأ بطرح الحلول للمشكلة أو الأفكار المتعلقة بموضوع النقاش، وعندما تبدأ الأفكار، ثم يقوم المعلم بطرح فكرة ما تساعد على طرح أفكار جديدة أو بناء أفكار على أفكار سابقة، وعلى قائد المجموعة أن يحث التلاميذ على طرح أي فكرة مهما كانت غريبة.

3- **التقويم والاختيار والتصنيف للأفكار:** بعد انتهاء زمن الجلسة أو الوقت المحدد تطلب القائدة من المجموعة إنهاء طرح الأفكار المتعلقة بموضوع النقاش، ويقوم بجمع الأفكار، تأتي مرحلة التقييم لانتقاء الأفكار المناسبة واستبعاد الأخرى، حيث يقوم أستاذة المادة بنقد الأفكار وتصنيفها في ثلاث مستويات أفكار جيدة ومرتبطة بدرجة كبيرة بالمشكلة أو

موضوع النقاش، أفكار مقبولة ومرتبطة بدرجة كبيرة بالمشكلة أو موضوع النقاش وتحتاج إلى تطوير، أفكار غير مرتبطة بموضوع النقاش.

ويرى (لبرمين Lindaman) أن مع عملية تقييم الأفكار يبدأ العمل الحقيقي لجلسة العصف الذهني، حيث يجب على التلاميذ (الأعضاء) تحضير كل أفكارهم لإزالة الأفكار المتطابقة، وتوضيح الأفكار التي تحتاج إلى تفاصيل أكثر، وفي جلسة التقويم يتم تحويل الأفكار السطحية أو الغريبة إلى أفكار عملية تستخدم كمقترحات لحلول واقعية⁽²⁸⁾.

دور المعلم في جلسة العصف الذهني:

- توضيح الأهداف في بداية الجلسة ووصف الموضوع للنقاش أو المشكلة.
- توضيح القواعد التي ينبغي مراعاتها في الجلسة أو موضوع النقاش.
- تحفيز الطلبة للاشتراك في موضوع المناقشة الجماعية.
- تسجيل جميع الأفكار والآراء حتى ولو كانت خاطئة.
- يساعد على توليد الأفكار بطرح أسئلة تستثير أفكارهم.
- يُعرف الطلبة بكم الآراء والأفكار التي تم طرحها.
- أن يكون مستمعاً جيداً.
- لا يطلب من التلاميذ تفسير الآراء التي أدلو بها.
- يقوم بتنظيم قاعة المحاضرات، وتقسيم المجموعات والمحافظة على الهدوء والنظام داخل قاعة المحاضرات.
- يقوم في نهاية الجلسة بتقويم الأفكار⁽²⁹⁾.

إجراءات وخطوات تنفيذ العصف الذهني: هناك إجراءات وخطوات ينبغي إتباعها أثناء استخدام العصف الذهني أهمها:

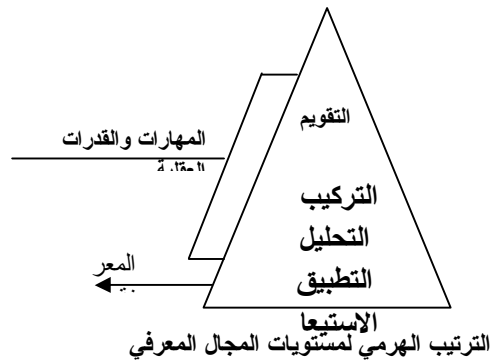
- 1- تحديد المشكلة أو موضوع الدرس المطروح بالجلسة.
- 2- إعادة صياغة المشكلة أو موضوع الدرس.
- 3- تهيئة الجو وإتاحة الفرصة للعصف الذهني.
- 4- البدء بعملية العصف الذهني.
- 5- تسجيل الأفكار أول بأول.

- 6- إثارة الطلبة بالمجموعة إذا ما بدأت تقل لديهن الأفكار حتى يتم البناء على أفكار الأخريات.
- 7- نقد الأفكار وتصنيفها.
- العوامل المساعدة على استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس مادة القويم والقياس كما يراها (سويدان، العدلوني، 2002)⁽³⁰⁾، (فتحي جروان)⁽³¹⁾، (محمود غانم 1995)⁽³²⁾.
- 1- أن يسود الجلسة جو من خفة الظل والمتعة.
- 2- يجب قبول الأفكار غير المألوفة عن موضوع الدرس المطروح أثناء الجلسة وتشجيعها.
- 3- التمسك بالقواعد الرئيسية للعصف الذهني وتجنب النقد.
- 4- يجب إتباع المراحل المختلفة لإعادة الصياغة.
- 5- إيمان المسئول عن الجلسة، بجدوى هذا الأسلوب في التوصل إلى حلول.
- 6- أن يفصل قائد لمجموعة أو المعلم عن الجلسة بين استنباط الأفكار وبين تقويمها.
- 7- تدوين وترقيم الأفكار المنبثقة عن الجلسة حسب تسلسلها بحيث يراها جميع الطالبات.
- 8- يجب أن تستمر جلسة العصف الذهني وعملية توليد الأفكار حتى يجف سيل الأفكار.
- 9- يجب أن يكون عدد الطلبة داخل المجموعات من 6-12 طالبة.
- 10- يجب التمهيد لجلسة العصف الذهني وعقد جلسات لإزالة الحواجز بين الطلبة وذلك بما يسمى بجلسة الدرس المعروف للنقاش.
- ثانياً - التحصيل الدراسي: يعرف التحصيل الدراسي بأنه المعرفة التي يحصل عليها الفرد عن طريق الحواس أولاً ثم التحليل العقلي، وهي خاضعة للاختبارات الحسية أو العملية⁽³³⁾.
- ويعرفه أيضاً (فكري ريان) بأنه قدرة الطالبة على المعرفة أو الفهم أو المهارة في مادة دراسية أو تدريبات معينة أو مجموعة من المواد⁽³⁴⁾.

ويعرف التحصيل الدراسي في الدراسة الحالي "هو مجموع الدرجات التي يحصل عليها الطلبة في اختبار التحصيل الدراسي من خلال دراسة الطالبة للوحدة التجربة، أي الموضوعات الدراسية لمادة التقويم والقياس.

ولذلك نجد التربية حديثاً تهتم بتنمية شخصية الطالبة المتكاملة ولعل الخطوة الأولى في ذلك هو ممارسات عملية، فهي أن يكتب المعلمون أهدافاً للأبعاد الرئيسية لعملية التعليم والتعلم، حيث تمثلت هذه الخطوة فيما جاء به (بلوم وكراثول، ورفاقهم في كتابهم الشهير تصنيف الأهداف التربوية)، والذي يعتبر من أهم المراجع فائدة في موضوع الأهداف التربوية تحديداً وتصنيفاً وقد شارك في تطوير وإعداد هذا النظام مجموعة من علماء النفس والمعلمين والمختصين في القياس النفسي⁽³⁵⁾.

تصنيف بلوم Bloom للمجال المعرفي الإدراكي: لقد وضع "بلوم" هذا التصنيف أساساً لمساعدة المعلمين في بناء مناهجهم وتقويم كثير من مشكلاتهم بدقة كبيرة، ولقد تضمن هذا التصنيف عدداً من المخرجات التعليمية في المجال المعرفي ويقصد بالمجال المعرفي اكتساب التلميذ المعرفة وفهمها والاستفادة منها في حياته، والمعرفة ست مستويات متفاوتة في سهولتها وصعوبتها ومرتبطة ترتيبياً هرمياً، حيث نجد قاعدة الهرم تمثل المستويات السهلة فمستوى التذكر لا يزيد المطلوب من الطالبة فيه عن مجرى استرجاع المعلومات التي سبق أن تعلمها، بينما يتطلب المستوى الأعلى والتمثل في تقويم أن يحكم التلميذ على المعلومات أو المواد أو المواقف في ضوء معايير داخلية وأخرى خارجية والشكل التالي يوضح ذلك⁽³⁶⁾.



ويتضح من الشكل السابق بأن المستويات الأعلى تتضمن المستويات الأدنى فنجد مثلاً أن مستوى الفهم يتضمن المعرفة، ومستوى التطبيق يتضمن الفهم، المعرفة، والتحليل يتضمن التطبيق، الفهم، المعرفة (التذكر) ومستوى التركيب يتضمن التحليل، التطبيق، الفهم، المعرفة ومستوى التقويم يتضمن كافة المستويات الأدنى والأعلى، وأن الطالبة لا يمكن أن يحلل المعلومات بدون وجود بعض المعلومات الأساسية، أو بدون فهم لهذه أو بدون استعمال لبعض المهارات والأنشطة⁽³⁷⁾.

وفيما يلي وصف لكل مستوى من هذه المستويات الثلاثة ويستعمل على تفسير لكل مستوى وما يندرج تحته من مستويات فرعية، وعرض الأمثلة من الأسئلة والأهداف الموضوعية في ضوء كل مستوى من مادة التقويم والقياس.

1- مستوى التذكر/ المعرفة: تتضمن أسئلة المعرفة استرجاع العموميات والخصوصيات، واسترجاع الطرق والعمليات أو استرجاع نمط تركيب أو نظام من النظم، أي القدرة على استدعاء وتذكر المعلومات والحقائق والقوانين والنظريات، ويرتبط ذلك بأبسط العمليات العقلية⁽³⁸⁾، ويشتمل هذا المستوى على المستويات الفرعية الآتية:

أ- معرفة التفاصيل وتمثل (معرفة الحقائق والمصطلحات).
ب- معرفة طرق ووسائل معالجة التفاصيل وتضم (معرفة المفاهيم والرموز ومعرفة الاتجاهات والمعايير والمحكان).

ج- معرفة التعميمات وتمثل في (معرفة المبادئ والقوانين والقواعد والنظريات)⁽³⁹⁾.

- أن يحدد الطلبة مستويات القياس.
- أن يعرف الطلبة مفهوم التقويم.

2- مستوى الفهم/ الاستيعاب: تتطلب أسئلة الفهم قدرة الطلبة على إدراك العلاقات الموجودة بين أجزاء المادة، وإعادة تنظيمها وترتيبها في عجلة ليخرج منها بنظرة كلية عما تتضمنه من معاني، ويستدل على الفهم بمجموعة سلوكيات عقلية يظهرها الطالبة وتكون في مستواها القدرة على التذكير⁽⁴⁰⁾.

- ويشمل هذا المستوى ثلاث مهارات عقلية هي:
- أ- **الترجمة:** وهي القدرة على تحويل الفكرة من صيغة اتصال إلى صيغة أخرى مكافئة لها مع الاحتفاظ بمضمون ومعنى الفكرة ويتمثل في القدرة على تجريد المشكلة التي أمامه وتلخيص مادة الاتصال (كمقال، أو محاضرة)، توضيح تصميم مجرد (مفهوم، أو مبدأ، أو قانون)، وغيرها.
- ب- **التفسير:** وهي قدرة الطلبة على إدراك العلاقات المتداخلة بين الأجزاء والأفكار وربط الأجزاء مع بعضها البعض ليخرج منها بنظرة كلية عما تتضمنه من معاني.
- ج- **الاستنتاج:** وهو قدرة الطلبة على الوصول إلى تقديرات أو توقعات نتيجة مهمة للاتجاهات أو الحدود المتضمنة في المادة العلمية المقدمة له⁽⁴¹⁾.

أمثلة على ذلك:

أ- أن يفسر الطالبات.

ب- لأن يعلل الطالبات.

ج- أن يستنتج الطلبة أهم.

- 3- **مستوى التطبيق:** وهو قدرة الطالبة على تطبيق المعرفة التي فهمها في مواقف تعليمية جديدة واقعية، وقد يشمل ذلك تطبيق أشياء عديدة كالقوانين، والمبادئ والنظريات⁽⁴²⁾.

أمثلة على ذلك:

- أن يصمم الطالب جدول المواصفات للموضوعات معين في مادة القياس والتقويم ؟

- أن يصف الطالب خصائص الاختبار الجيد ؟

- أن يحسب الطالب أهم الفروق بين الاختبارات والمقاييس.

- 4- **مستوى التحليل:** وهو قدرة الطالبة على الفحص المدقق لمادة تعليمية ما، وتجزئتها إلى عناصرها، وتحديد ما بينها من علاقات، ويفطن للمبادئ التنظيمية لها، وتتضمن كذلك قدرة التلميذ على تجزئة مشكلة ما إلى عناصرها للتمييز بين المعلومات التي لها علاقة بها والتي ليس لها علاقة بها⁽⁴³⁾، ويشمل هذا المستوى على المستويات الفرعية التالية:
- أ- **تحليل العناصر:** هي عملية التعرف على العناصر المتضمنة في المادة العلمية.

ب- **تحليل العلاقات:** هي عملية تحليل العلاقات الموجودة بين جزئيات الموقف وعناصره، والتفاعلات والتبادلات الموجودة، بينها مثل علاقة السبب بالنتيجة.

ج- **تحليل المبادئ التنظيمية:** وهي عملية تحديد التركيب والتنظيم الأساسي الذي يضم أجزاء الموقف سواء كان التنظيم ظاهراً أو ضمناً وهو الذي يجعل الموقف وحدة واحدة⁽⁴⁴⁾.

5- **مستوى التركيب:** وهو وضع الأجزاء والعناصر معاً لتكون كل واحد، وهي عملية تقوم على التعامل مع الأجزاء والعناصر وربطها معاً بطريقة تجعلها تكون نمطاً جديداً أو تركيباً لم يكن موجوداً بوضوح من قبل، وهذا يعتمد على خبرة سابقة في تجميع الأشياء ولكن بعناصر جديدة ويشتمل على ثلاث مستويات فرعية:

أ- إنتاج وسيلة اتصال فريدة وفيها تحاول الطالبة كتابته أن ينقل للآخرين أفكاره ومشاعره وخبراته للآخرين، حيث يكون لديه كامل الحرية في تقديم الشيء الذي يخصه لأن التفكير الخاص بالطالبة يعكس شخصيتها.

ب- إنتاج خطة أو مجموعة مقترحة من العمليات: وهو القدرة على إنتاج خطة عمل جديدة وينبغي أن تفي خطة العمل بمطالب معينة⁽⁴⁵⁾، إذا عادة ما يعطي للطالبات فكرة معينة أو معلومات وبيانات خاصة تحصل عليها الطالبة بنفسها.

ج- اشتقاق مجموعة من العلاقات المجردة: وهو قدرة الطالبة على استنتاج فروض وعلاقات من مجموعة قضايا حيث يتطلب هذا المستوى من الطلبة أن يبدعوا أو يشتقوا من المعلومات والمواقف المحللة نوعاً من التصريح أو بمعنى آخر أن الطالبة تتعامل مع مجموعة من المعلومات والأفكار المجردة من أجل استنباط أفكار جديدة أو علاقات جديدة.

وتتطلب الأسئلة في هذا المستوى من الطالبة مستوى أعلى من التفكير وذلك لأنها تنتبأ بالنتيجة للمشكلة ما لم نراها من قبل أو نقرأها أو سمعت عنها⁽⁴⁶⁾.

أمثلة على ذلك:

- 1- ماذا يحدث لو لم يكون هناك عمليتي القياس والتقويم في التعليم؟.
- 2- أكتب مقالة من ثلاث أسطر عن أخطاء يتعرض اليها القياس؟.

6- **التقويم:** وهو إصدار الحكم أو أحكام حول قيمة الأفكار أو الأعمال أو الوسائل أو الحلول، وتكون بغرض معين وفي ضوء معيار معين، وقد تكون هذه الأحكام كمية أو نوعية، ويراعى في التقويم المعايير الصحيحة من دقة وفعالية وموضوعية⁽⁴⁷⁾.

أي أن عملية التقويم تتضمن جميع القدرات العقلية الأعلى والأدنى من مستويات بلرم ويشتملا على مستوعبين فرعيين هما⁽⁴⁸⁾:

1- إصدار أحكام بناء على معايير داخلية، وفيها تكون معايير الحكم على موضوع التقويم متوقعة على دقة العمل من خلال الحكم على منطقية الأفكار التي يتضمنها ومدى الاتساق في استخدام المصطلحات المتداولة في هذا العمل، ومدى تتابع الأفكار بصورة متسلسلة، وما الأخطاء اللغوية والنحوية الواردة بها وما مدى ما يتضمنه العمل من مغالطات وتناقضات إن وجدت.

2- إصدار أحكام بناء على معايير خارجية: وفيها تكون معايير الحكم على الموضوع أو العمل محل التقويم في ضوء معايير خارجية مستمدة غالباً من الأعمال الشبيهة به والتي تقع في ذات مجاله أو طبقته وخاصة المشهود لها بالتفريق، مثل الحكم على صدق وثيقة تاريخية من خلال مقارنتها بوثائق أخرى موثوق في صحتها، ويتضمن الحكم الذي يتم بناءه على معايير خارجية الحكم على عمل ما في ضوء الأغراض التي تستهدف من حيث كفاءتها ومنفعتاتها.

عبر عن رأيك فيما يلي:

1- الصفر في القياس التربوي والنفسي غير حقيقي.

2- القياس عرضة لتأثير عوامل الخطأ.

3- التقويم اعم من القياس.

الفصل الثالث - إجراءات الدراسة:

الهدف من الدراسة: يهدف هذا الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس مادة القياس والتقويم لتنمية التحصيل الدراسي لدى طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية بالزاوية من خلال تدريس وحدة دراسية من المنهج المقرر.

- ولذلك سنتناول الباحثة في هذا الفصل الخطوات التالية:
- إعداد مواد التجريب وتشمل ما يلي: إعداد الوحدة الدراسية وفقاً لأسلوب العصف الذهني.
 - إعداد أدوات التجريب وتشمل ما يلي: اختبار التحصيل الدراسي لمستويات بلوم الستة والمتمثلة في (التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم).
 - أولاً- إعداد الوحدة الدراسية في ضوء أسلوب العصف الذهني: قامت الباحثة بإعداد الوحدة التجريبية، واقتصرت علي بعض الموضوعات من مادة القياس والتقويم مبررات اختيار هذه الموضوعات من مادة القياس والتقويم لعدة أسباب هي:
 - 1- ارتباط موضوعات الوحدة الدراسية ببعضها البعض.
 - 2- معالجة هذه الموضوعات لقضايا ومشكلات واقعية ترتبط بالفرد والمجتمع وتطبيقها بمدارس المستقبل.
 - 3- مفاهيم هذه الوحدة قريبة لعقل الطالبة مما يتيح لها فرصة التعلم المعرفي.
 - 4- تساعد الطلبة على المناقشة الجماعية التعاونية من خلال تبادل الآراء وتقديم الحلول للمشكلات التي تطرح أثناء المحاضرة مما ينمي لديهم التحصيل الدراسي بأفضل صورة.
 - 1- الأهداف العامة للوحدة التجريبية: تم تحديد مجموعة من الأهداف العامة للوحدة (القياس والتقويم النفسي والتربوي)، وهي على النحو التالي:
 - 1- تزويد الطالبات بالمعلومات والحقائق والمفاهيم الرئيسية المرتبطة بموضوعات وحدة (القياس والتقويم النفسي والتربوي).
 - 2- إكساب الطالبات مهارة إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين أثناء دراستهم لموضوعات وحدة (القياس والتقويم النفسي والتربوي).
 - 3- إسهام الطالبات بدور فعال أثناء جلسات العصف الذهني وعرضهم الموضوعات المقررة وفقاً لقدراتهم وإمكاناتهم في حل المشكلات.
 - 4- إكساب الطالبات السلوكيات الاجتماعية المرغوبة أثناء دراستهم لموضوعا الوحدة التجريبية.

- 5- تنمية الميول والقيم الاجتماعية المرغوبة لدى الطالبات.
6- إكساب الطالبات مهارة إدراك العلاقات بين المفاهيم المتضمنة في وحدة التجربة (القياس والتقويم النفسي والتربوي).

2- تحديد موضوعات الوحدة:

جدول (1) موضوعات والزمن المخصص لتدريس كل موضوع عند استخدام العصف الذهني

ت	الموضوع	زمن المحاضرة
1.	المفاهيم القياس والتقويم النفسي والتربوي.	ساعتان
2.	خصائص القياس والتقويم النفسي والتربوي.	ساعتان
3.	أدوات القياس والتقويم النفسي والتربوي.	ساعتان
4.	تطبيقات القياس والتقويم النفسي والتربوي.	ساعتان
5.	مميزات أدوات القياس والتقويم النفسي والتربوي.	ساعتان
6.	التعرف على أساليب القياس والتقويم النفسي التربوي ومميزات كل أسلوب.	ساعتان
7.	مجالات القياس النفسي.	ساعتان
8.	تصميم الاختبارات وتقنياتها (تصميم - اختبار نفسي - اختبار تحصيلي).	ساعتان
9.	استخراج معاملات السهولة والصعوبة والتميز.	ساعتان
10.	استخراج معاملات الثبات والصدق.	ساعتان

يتضح من الجدول (1) عدد الموضوعات الوحدة التجريبية (10) عشرة موضوعات وعدد المحاضرات اثني عشر محاضرة، حيث تستغرق فترة التدريس شهرين ونصف بمعدل محاضرة من كل أسبوع.

3- خطة لكل درس من دروس الوحدة التجريبية وفقاً لأسلوب العصف الذهني تضمن

العناصر التالية:

- عنوان الدرس، الأهداف الإجرائية لكل درس من دروس الوحدة، التقويم القبلي لمعرفة ما لدى الطالبات من معلومات عن موضوع الدرس، الوسيلة التعليمية، الأنشطة التعليمية المصاحبة لكل درس، الأفكار الرئيسة لكل درس من دروس

الوحدة، خطوات السير في الدرس باستخدام العصف الذهني، وأخيراً التقويم البعدي والغرض منه قياس مدى إتقانهم للأهداف التعليمية المراد بلوغها.

ثانياً- أدوات التجريب وتشمل ما يلي:

- إعداد اختبار التحصيل المعرفي:

1- الهدف من الاختبار: يهدف هذا الاختبار إلى قياس مستوى تحصيل الدراسي

لطلبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية بالزاوية.

2- تحديد أبعاد الاختبار: تضمن الاختبار من (32) سؤالاً موزعين على المستويات

المعرفية السنة (التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم)، وهي على النحو

التالي:

- مستوى التذكر (المعرفة): ويتضمن السؤال من النوع أن يتعرف على المعلومات أو

يستدعيها، ولكي تجيب الطالبة في هذا المستوى أن تتذكر الحقائق والملاحظات

والتعريفات والتصميمات التي تعلمها من قبل.

- مستوى الفهم: يتضمن هذا المستوى أن تبرهن الطالبة على أن لديها فهماً كافياً لكي

تنظم المادة عقلياً، ولكي يجيب على هذا المستوى من خلال قدرتها على إعادة

صياغة المعلومات في عباراتها وكلماتها، وعلى أن يربط بين الحقائق والتعريفات

والتصميمات باكتشاف العلاقات بينهما.

- مستوى التطبيق: يتطلب من الطالبة استخدام ما دراسته من معلومات في مواقف

جديدة تختلف عن تلك المواقف التي تناول فيها المعلومات أثناء دراستها.

- مستوى التحليل: ويتطلب من الطالبة أن تفكر تفكيراً ناقداً وبعيقاً، فيتميز هذا

المستوى بأنه يستلزم حل المشكلات على أساس المعرفة الواعية بعمليات الاستدلال

وأنواعه.

- مستوى التركيب: يتضمن هذا المستوى تفكيراً ابتكارياً أصيلاً، فهو يتميز بأن يتيح

للطالبة حرية كبيرة في الدراسة عن حلول، كما تتميز أسئلة التركيب بأنها تتيح

مداخل عديدة للإجابة عليها.

- مستوى التقويم: ويتطلب من الطالبة أن يحكم على فكرة معينة أو حل لمشكلة معينة أو تقويم بعمل فني، ولكي يقوم فكرة معينة عليه أن يقوم بخطوتين رئيسيتين هما:
- أن يضع محكات معينة.
 - أن يحدد إلى أي حد تقابل الفكرة هذه المحكات⁽⁴⁹⁾.

3- الصورة الأولية للاختبار التحصيلي: تم إعداد الاختبار التحصيلي في صورته الأولية متضمناً عنوان الاختبار ومكان مخصص لكتابة بيانات الطالبة، يليه تعليمات الاختبار، حيث تكون الاختبار من (40) سؤال منها (35) سؤال اختيار من متعدد، و(15) سؤال مقال قصير، وقد تم عرض الصورة الأولية للاختبار على المحكمين لإبداء آراءهم حول الاختبار، وقد أبدوا جملة من الملاحظات وتم تعديلها، وبذلك تكون الاختبار من (30) سؤال منها (20) سؤال الاختبار من المتعدد و(10) أسئلة مقالية قصيرة، وتم إجراء تجربة استطلاعية للاختبار الغرض منها تحديد زمن وصدق وثبات الاختبار.

4- الصورة النهائية للاختبار:

جدول (2) يوضح توزيع مفردات الاختبار التحصيلي على المستويات المعرفية

المجموع	أرقام الأسئلة	المستوى
8	8-7-6-5-4-3-2-1	تذكر
6	1314-12-11-10-9	فهم
5	19-18-17-16-15	تطبيق
5	24-23-22-21-20	تحليل
3	27-26-25	التركيب
3	30-29-28	تقويم
30		المجموع

تاريخ تصحيح الاختبار: تكون الاختبار في صورته النهائية من (30) سؤال تنقسم إلى جزئين، الجزء الأول يتكون من (20) سؤال من أسئلة الاختبار من متعدد ولكل سؤال أربع إجابات ويتم تصحيح هذا الجزء بإعطاء درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر للإجابة الخاطئة، أما الجزء الثاني فتكون من (10) أسئلة مقالية صغيرة وقد تم تصحيح هذا الجزء بإعطاء درجتان للإجابة الصحيحة وصفر للإجابة الخاطئة.

صدق الاختبار: ولمعرفة مدى صدق الاختبار استخدمت طريقة صدق المضمون بعد موافقة السادة المحكمين⁽⁹⁾ على صلاحية الاختبار للتطبيق على مجموعة للدراسة، وذلك بعد إجراء التعديلات المناسبة لبعض مفردات الاختبار.

ثبات الاختبار: للتأكد من ثبات الاختبار تم تطبيقه على عينة مكون من (20) طالبة من طالبات السنة الرابعة بكلية التربية بالزاوية غير العينة الأساسية، ثم أعيد تطبيق الاختبار عليهم مرة ثانية بعد أسبوعين من التطبيق الأول، وتم حساب معامل الارتباط للدرجات الخام بالطريقة العامة، وكان معامل الثبات يساوي (0.87) وهذا يشير إلى درجة ثبات عالية للاختبار، مما يسمح إلى تطبيق ذلك الاختبار على عينة الدراسة الحالي.

الفصل الرابع: تجربة الدراسة ونتائجها

أولاً- إجراءات الدراسة التجريبية:

الهدف من تجربة الدراسة: هو تدريس الوحدة التجربة، أي الموضوعات من مادة التقويم والقياس، باستخدام أسلوب العصف الذهني، ومعرفة أثرها على تنمية التحصيل الدراسي لدى عينة من طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية بالزاوية، وذلك من خلال المقارنة بين نتائج المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي و التطبيق التتبعي لأدوات الدراسة التي أعدت لهذا الغرض.

الإعداد لتجربة الدراسة: تم اختبار عينة من طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية بالزاوية، والبالغ عددها (30) طالبة، وذلك من خلال المقارنة بين نتائج المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي و التطبيق التتبعي لأدوات الدراسة التي أعدت لهذا لإجراء تجربة الدراسة بواقع ساعتين كل محاضرة.

متغيرات الدراسة وأساليب ضبطها:

المتغير المستقل: أسلوب العصف الذهني.

المتغير التابع: التحصيل الدراسي.

المتغيرات الضابطة وتشمل:

- العمر الزمني: تم تثبيت هذا المتغير باستبعاد الطلبة الراسبات من العينة المختارة، وبالتالي أصبح أعمارهن متقارب إلى حد كبير.

- المستوى الاجتماعي والاقتصادي: تم اختيار عينة الدراسة من بين بيئة جغرافية واحدة مدينة الزاوية، مما يؤكد تكافؤ أفراد المجموعة الواحد إلى حد كبير.
- المدة الزمنية لتجريب الدراسة: استغرق تنفيذ تجربة الدراسة حوالي ستة أسابيع دراسية، بواقع ساعتان أسبوعياً.
- القائم بالتدريس: قامت الباحثة بنفسها لتدريس المجموعة التجريبية.

2- تنفيذ تجربة الدراسة:

1- **التطبيق القبلي لأداة الدراسة:** تم تطبيق اختبار التحصيل الدراسي على مجموعة الدراسة التجريبية، للتأكد على تكافؤ أفراد المجموعة قبل البدء في تدريس الوحدة المختارة، وتم تصحيح وحساب المتوسطات الحسابية وتباينها واستخدام اختبار (ت)، وقد أوضحت النتائج، بأن الفرق بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية غير دال إحصائياً، وهذا ما يشير إلى تكافؤ أفراد المجموعة تقريباً في المتغيرات التابعة للبحث الحالي.

2- **تدريس الوحدة التجريبية للمجموعة التجريبية:** درست المجموعة التجريبية موضوعات الوحدة التجريبية (القياس والتقويم النفسي والتربوي) المقررة لعينة من طالبات السنة الرابعة بقسم التربية وعلم النفس بكلية التربية بالزاوية، باستخدام أسلوب العصف الذهني، وقد قامت الباحثة بالتدريس بإتباع الإجراءات وفقاً للخطة الموضوعية ووفقاً للخطوات والإرشادات التي يحتوي عليها العصف الذهني واستمر التدريسي بمجموعة التجريبية حوالي شهرين ونص أي ما يقارب عن فصل دراسي كامل.

3- **التطبيق البعدي لأداة الدراسة:** تم تطبيق اختبار التحصيل الدراسي في مادة القياس والتقويم تطبيقاً بعدياً شهر أبريل - 2016-2017 على المجموعة التجريبية، وكان الزمن المخصص للتطبيق ساعة ونصف، وتم رصدت الدرجات في كشوف خاصة بعد التصحيح تمهيداً لإجراء عملية المعالجة الإحصائية.

أساليب المعالجة الإحصائية: قامت الباحثة باستخدام الحاسوب في تحليل البيانات الدراسة الحالي باستخدام برنامج الحزم الإحصائية SPSS وتمت المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة على النحو التالي:

- حساب المتوسط الحسابي.

- حساب الانحراف المعياري.
- حساب اختبار (ت) t-test لمعرفة الفروق بين أفراد المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي والتتبعي.

ثانياً نتائج الدراسة وتحليلها وتفسيرها:

الفرض الأول:

1- توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطي درجات طالبات المجموعة التجريبية الواحدة في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي على اختبار التحصيل الدراسي في مادة القياس والتقويم في المستويات السنّة المعرفية لصالح التطبيق البعدي. تم التحقق من صحة هذا الفرض بالمقارنة بين درجات المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للاختبار التحصيل الدراسي باستخدام اختبار (ت).

جدول (3) قيمة (ت) ودالاتها في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للاختبار التحصيل الدراسي للمجموعة التجريبية

المجموعة	N	متوسط حسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة	حجم التأثير	مستوى حجم التأثير
التطبيق القبلي	30	25.5	14.11	59	10.8	0.01	3.33	عالي ودال إحصائياً
التطبيق البعدي	30	52.3	7.8					

قيمة (ت) الجدولية (2.71).

يتضح من الجدول (3) بمقارنة متوسطات الدرجات التي حصلت عليها أفراد المجموعة التجريبية في اختبار التحصيل الدراسي وجود فروق دالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية الواحدة عند مستوى دلالة (0.01) حيث أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي (10.8) وهي أكبر من قيمة ت الجدولية.

كما تبين أيضاً من الجدول (3) بأنه تم حساب حجم التأثير حيث بلغ (3.33) وهي نسبة مرتفعة وفاقت النسبة المحددة (0.8) مما يدل على أن حجم تأثير العصف الذهني

على تنمية التحصيل الدراسي لدى طالبات أفراد المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي كبير جداً.

ومن هذه النتيجة السابقة تؤكد صحة الفرض الأول للبحث الذي ينص على أنه توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية اللذين درسوا باستخدام أسلوب العصف الذهني التطبيق القبلي والتطبيق البعدي لاختبار التحصيل المعرفي لصالح التطبيق البعدي.

2- الفرض الثاني: توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطي درجات طالبات المجموعة التجريبية الواحدة في التطبيق البعدي والتطبيق التتبعي على اختبار التحصيل الدراسي في مادة القياس والتقويم في المستويات الستة المعرفية لصالح التطبيق التتبعي.

جدول (4) قيمة (ت) ودالاتها في التطبيق القبلي والبعدي للاختبار التحصيل المعرفي المجموعة التجريبية

المجموع	التطبيق	N	متوسط حسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة	حجم التأثير	مستوى حجم التأثير
تجريبية	قبلي	30	16.6	6.89	39	20.96	0.01 دالة إحصائية	6.7	عالي ودال
	بعدي	30	5.1	7.78					إحصائياً

قيمة الجدولية (2.71).

ينضح من الجدول (4) بمقارنة متوسطات الدرجات التي حصلت عليها المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي والتطبيق التتبعي في اختبار التحصيل الدراسي.

حيث تبين أن (ت) المحسوبة بعدياً وتتبعياً بين أفراد المجموعة التجريبية تساوي (20.96) أكبر من قيمة (ت) الجدولية، ولذا يتضح وجود فروق دالة إحصائية بين التطبيقين البعدي والتتبعي عند مستوى دلالة (0.01) وهي دالة إحصائية لصالح التطبيق التتبعي.

كما تبين أيضاً من الجدول (4) بأن حجم التأثير بالنسبة للمجموعة التجريبية تساوي (6.7) وهو تأثير مرتفع جداً، حيث فاقت القيمة المحددة وهي (0.8)، مما يدل على أن حجم تأثير أسلوب العصف الذهني على تنمية التحصيل الدراسي لدى طالبات المجموعة التجريبية كبير جداً ويمكن تفسير نتائج الدراسة الحالي إلى تفوق المجموعة التجريبية التي درست بأسلوب العصف الذهني في التطبيق البعدي لاختبار التحصيل الدراسي في مادة القياس والتقويم، وهذا التفوق لم يكن وليد الصدفة، بل يمكن إرجاع هذا التفوق إلى عدة عوامل منها:

- أسلوب العصف الذهني يقدم محتوى المادة المدروسة في صورته النهائية بشكل منطقي، يؤدي إلى ربط المحتوى الجديد بالخبرات السابقة للفرد والموجودة في بنيته المعرفية، وكذلك توجيه الطلبة إلى ما هو أساسي في المادة التعليمية، وتوضح أبعاد الموضوع، مما يؤدي إلى زيادة وتحسين قدرة الطلبة في التحصيل الدراسي.
- يمكن تفسير ذلك بأن استخدام العصف الذهني في تدريس الوحدة المختارة أدى إلى تنمية قدرات الطلبة الفكرية لتصبح منتجة وخالقة في إيجاد حلول وإجابات للمشكلات والتساؤلات التي يتعرضون لها وساعدتهم على تنمية خبراتهم السابقة ومعارفهم.
- يرجع كذلك إلى أن العصف الذهني يساهم في تنمية مواهبهم وإطلاق قدراتهم الكامنة باعتباره يعتمد اعتماد كلي على الطلبة في إدارة الحوار والنقاش، والنظر إلى الأشياء والموضوعات والقضايا بنظرة فاحصة، مما ساعدهم على تنمية التحصيل الدراسي.

التوصيات والمقترحات

أ- التوصيات:

- في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يمكن تقديم التوصيات الآتية:
- 1- الابتعاد عن الطريقة التقليدية التي تنص على الحفظ والتلقين في تدريس المواد العلمية.
 - 2- الاهتمام باستخدام العصف الذهني في التدريس الجامعي باعتباره من الأساليب التعليمية الهامة التي تسهم في زيادة التحصيل المعرفي لدى الطالبات.

3- إعادة النظر في تنظيم محتوى مقرر القياس والتقويم بما يتماشى مع إمكانية استخدام العصف الذهني في التدريس والعملية التعليمية.

ب- التوصيات:

- 1- دراسة فاعلية استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس المقررات العلمية أو التربوية للطلاب المعلمين بكليات التربية.
- 2- دراسة فاعلية استخدام أسلوب العصف الذهني على متغيرات أخرى غير التحصيل المعرفي مثل التفكير الإبداعي والميول، وغيرها.
- 3- إعداد برنامج تدريبي مقترح لتدريب المعلمين في تخصصات مختلفة على استخدام العصف الذهني في التدريس.

هوامش الدراسة:

- (1) Baloche, L.A (1997) Coopreatire Classroom theCmpower Learning Prentichall.(من النت) Www // htll.s123..788 P28.
- (2) Jack, C. (2000) Richurds and charleslockhart: keflectireEeaching in second language classroom, P31.
- (3) حسن حسين زيتون، (2003)، تعليم التفكير، رؤية تطبيقية في تنمية العقول المفكرة، القاهرة، عالم الكتب ص 187-189.
- (4) زيد الهويدي (2004)، الإبداع ماهيته، اكتشافه، تنميته، عمان، دار الفكر، ص 44،
- (5) وليد الجابري، (2007)، أثر استخدام طريقة العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد والتحصيل الدراسي لطلاب الصف الأول ثانوي في مقرر الرياضيات، ص 85-89.
- (6) هبة عبد الصمد، (2001)، فعالية استخدام أسلوب العصف الذهني في تنمية المستويات المعرفية الأعلى لدى طالبات الصف الأول الثانوي في مادة التاريخ، ماجستير كلية البنات، جامعة عين شمس، ص 120.
- (7) شيرين غالي، (2003)، فاعلية تدريس التاريخ لتلاميذ الصف الثالث الإعدادي باستخدام الرسوم الكاريكاتورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ص 210.
- (8) أحمد جابر السيد، (2002)، أثر استخدام مدخل الطرائق التاريخية في تدريس التاريخ على التحصيل وتنمية بعض مهارات التفكير التاريخي لدى تلاميذ الصف الثاني الإعدادي، مجلة كلية التربية، جامعة سوهاج، م 18، العدد الأول، يناير، ص 122-129.

- (9) حسن شحاته وزينب النجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، 2003، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص230.
- (10) سعيد عبد العزيز (2007)،، تعليم التفكير ومهاراته، عمان: دار الثقافة، ص268.
- (11) فؤاد أبو خطبة (1993)، التقويم النفسي، القاهرة: دار مكتبة الأنجلو، عمان: دار الثقافة، ص122.
- (12) سعيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص268.
- (13) طارق سويدان، محمد أكرم العدلوني، (2002)، مبادئ الإبداع، ط2، الكويت شركة الإبداع، الخليجي للاستثمار والتدريب، ص99.
- (14) HalkaBalackova (2007) Brainstorming a ceative Problem solving method masarykInstitute of Alranced Studies, czechTeehncal university, /http: www worksing. com%20in%20problem Solving. Pdf. P37.
- (15) الجميل محمد عبد السميع خصلة، (2009)، أثر استخدام العصف الذهني في تدريس مادة علم النفس التربوي على كل من، حيث الاستطلاع، وتحسين الأداء على اختبارات علم النفس ذات مستويات عقلية عليا، مجلة كلية التربية، العدد ، المجلد، جامعة سيها، ص230.
- (16) مريم بنت محمد عايد الأحمدى، استخدام أسلوب العصف الذهني في تنمية مهارات التفكير الإبداعي وأثره على التعبير الكتابي لدى طالبات الصف الثالث المتوسط، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 107، 102.
- <http://www.unido.org/fileadmin/import/16953.pdf>

- (17) Adams, P. e (1995) why research in the Service of science teacher education I needed journal of research in science teaching 32, (5), p.441-450.
- (18) جابر عبد الحميد (1999) ، استراتيجية التدريس والتعلم، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، ص441،450.
- (19) فيصل الجرداني، (1999)، قراءات في مهارات التفكير والتعلم الناقد والتفكير الإبداعي، القاهرة، دار النهضة العربية، ص354.
- (20) newnan: F.M. Helem M7& Adam G. (1996) Authentic pedagogy and Student Perfomance, American Journal of Eduction, 204 (4), pp 280-312.
- (21) أحمد حامد منصور، (1986)، تكنولوجيا التعليم، وتنمية القدرة على التفكير الابتكاري، الكويت: ذات السلاسل، ص280، 312.
- (22) علي بركات، (1989)، التعليم المستمر والتنقيف الذاتي، القاهرة: دار الفكر العربي، ص44.
- (23) محمد علي نصر، (2000)، رؤية مستقبلية للتربية العلمية في عصر المعلوماتية والمستحدثات التكنولوجية، المؤتمر العلمي الرابع (التربية العلمية للجميع)، الجمعية المصرية للتربية العلمية، القرية الرياضية بالإسماعيلية، من 31 يوليو - 3 أغسطس، ص ص499-523.
- (24) Pulus, P,S (1993) social the lunce processes in group brainstorming, journal of personality and social.

- (25) محمد طالب سالم الكيومي (2002)، أثر استخدام استراتيجية العصف الذهني في تدريس التاريخ على تنمية التفكير الابتكاري لدى طلاب الصف الأول الثانوي بسلطنة عمان، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، ص 45-47.
- (26) سيد السائح حمدان، (2003)، استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس البلاغة وأثره في تنمية التفكير الإبداعي والكتابة الإبداعية لدى طلاب المرحلة الثانوية، ص 105.
- (27) أحمد عبد اللطيف عبادة، (1992)، أسلوب العصف الذهني والحلول الابتكارية للمشكلات، مجلة الدراسة في التربية وعلم النفس، العدد الأول، المجلد السادس، يوليو، كلية التربية، جامعة الميناء، ص 244-245.
- (28) lindaman, E. B (2001), Creativity and Brainstorming Retrered, from the world wed, wwwrosemary20200//zop.com.ttml.P30-1.
- (29) Sally Blomstrometat (2008), the Effects of training on brains torming journal of the communication Speech and Theatre Association of North Dakota vol21, P41-79.
- (30) سويدان، العدلوني، مرجع سابق، ص 102.
- (31) تحي جروان، (2002)، الإبداع مفهومه، معايير، مكوناته، نظرياته، خصائصه، مراحل، قياسه، وتدريبه، ص 182.
- (32) محمود غانم، (1995)، التفكير عند الأطفال تطوره وطرق تعليمه، عمان: دار الفكر ص 25.
- (33) فاسم حسن، (1998)، أسس التدريس الرياضي، عمان: دار الفكر، ص 19.

- (34) فكري ريان، (2009)، دليل إعداد الخطة الدراسية وكتابة الرسائل العلمية في التربية، القاهرة: عالم الكتب، ص31.
- (35) صلاح الدين عرفة، (2005)، تفريد التعليم، مهارات التدريس بين النظرية والتطبيق، القاهرة: دار الفكر العربي، ص72.
- (36) Richard P. et at. (1988), the facts on file.
- (37) عبد المجيد نشواتي، (1991)، علم النفس التربوي، ط6، عمان: دار الفرقان، ص81.
- (38) مدحت آدم، (2006)، فعالية نموذج أدى وشاير في تعجيل النمو المعرفي والاستقلال العلمي والتحصيل الدراسي في مادة العلوم لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، ص133.
- (39) محمد البغدادي، (1998)، الأهداف والاختبارات في المناهج وطرق التدريس بين النظرية والتطبيق، القاهرة: دار الفكر العربي، ص52.
- (40) فاطمة حميد، (1996)، المواد الاجتماعية أهدافها، ومحتواها، واستراتيجيات تدريسها، القاهرة: عالم الكتب ص59.
- (41) فاطمة حميدة، المرجع السابق، ص59.
- (42) أماني عبد المحسن محمد السيد، (2000)، فعالية استخدام التعلم التعاوني لتدريس العلوم في التحصيل وتنمية بعض الجوانب الوجدانية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ص107.
- (43) جابر عبد الحميد جابر، سليمان الشيخ، فوزي زاهر، (1996)، مهارات التدريس، القاهرة، دار النهضة العربية، ص167.
- (44) حسن زيتون، (1997)، مرجع سابق، ص132.

-
- (45) محمود سعد، (2000)، التربية العملية بين النظرية والتطبيق، عمان - الأردن: دار الفكر العربي. ص132.
- (46) جابر عبد الحميد جابر وآخرون، (1996)، مرجع سابق، ص33.
- (47) فاطمة حميد، (1996)، مرجع سابق، ص74.
- (48) جودة سعادة، (2008)، التعلم التعاوني (نظريات وتطبيقات ودراسات)، ص84.
- (49) جابر عبد الحميد وآخرون، (1996)، مرجع سابق، ص 157-175.

السياسة البريطانية في الخليج العربي

(1820-1971م)

أ. عبد الحكيم الطاهر أبوسته

مقدمة:

أفرزت الحرب العالمية الثانية بعد نهايتها عدّة متغيرات دولية وإقليمية، جعلت من بريطانيا منح إمارات الساحل الشرقي للخليج العربي استقلالها، وذلك في القرار الذي أصدرته سنة 1968م.

إنّ الإمبراطورية البريطانية التي لا تغرب عنها الشمس أضعفت الحرب (الحرب العالمية الثانية) من قدراتها العسكرية وإمكانياتها الاقتصادية، وبذلك تراجعت مكانتها الدولية، وبدأ كل من الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية يتصدّران الموقف الدولي، ونظراً لاختلافاتهما الإيديولوجية حدث التنافس بينهما، وهو ما عرف بالحرب الباردة، وصار كل منهما يبحث على مناطق نفوذ جديدة؛ ليقوّي بها نفسه، فكان من بينها منطقة الخليج العربي هدفاً حيويًا لكليهما.

كما أنّ بعض الأحداث الداخلية في الخليج والتطورات الإقليمية في المنطقة العربية بدأت تنذر بزوال الهيمنة البريطانية منها؛ لظهور حركات إصلاحية في الكويت والبحرين، ودبي دعت في مجملها إلى إنشاء مجالس تشريعية، وإلغاء الاحتكارات الخاصة بالشيوخ وعائلاتهم، والاهتمام بالتعليم، أمّا التطورات الإقليمية فتمثلت في تنامي حركة المد القومي العربي، وبخاصة بعد قيام الثورة المصرية سنة 1952م، أضف إلى ذلك ثورة اليمن سنة 1967م، وتمكّنها من إنهاء السيطرة البريطانية؛ ممّا جعل بريطانيا تستعمل تكتيكاً جديداً في سياستها، يضمن لها قدر المستطاع المحافظة على مصالحها في الخليج العربي، فأعلنت الانسحاب العسكري من المنطقة في يوليو 1968م، واستبدلت معاهدات الممانعة الموقّعة سنة 1892م، بمعاهدات الصداقة التي حصلت بموجبها على بقاء ولاء حكام هذه الإمارات لبريطانيا، وعملت أيضاً على المساعدة في إقامة إتحاد الإمارات العربية سنة 1971م، كوسيلة أخرى تتحصّل من خلالها على مكاسب أكثر.

إشكالية الدراسة: سنقوم أولاً بإطلالة على جذور التواجد البريطاني في المنطقة، وكيف تمكنت بريطانيا من بسط هيمنتها على المنطقة، والوسائل المتبعة في ذلك؟ ثم سنتناول المتغيرات على الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، وكيف أثر ذلك الوضع الجديد على بريطانيا؟ وهل تأثرت حقاً بريطانيا بما يجري في الوطن العربي؟ وما نهج السياسة البريطانية تجاه هذه المتغيرات؟ وكيف ضمنت بريطانيا بقاء مصالحها مصادرة في الخليج العربي بالرغم من الانسحاب العسكري؟ ولماذا ساعدت بريطانيا في تأسيس الإمارات العربية المتحدة؟ إلى غير ذلك من الإشكاليات والأسئلة.

تمهيد: يتمتع الخليج العربي بموقع استراتيجي مهم بين القارات القديمة الثلاث (آسيا وأوروبا و أفريقيا)، كما أنه يمتاز بمياه دافئة، وشواطئ محمية تصلح كمراسي للسفن.

وهو شبه بحيرة مغلقة، يحدها العراق من الشمال، وإيران من الشرق، ويقع كل من الكويت، وقطر، ودبي، وأبو ظبي، ومسقط، وعمان في الغرب، والمملكة العربية السعودية في الجنوب. وتقدر مساحة الخليج العربي بحوالي مائتين وخمسين ألف كيلو متر مربع. أنظر الخريطة (1):⁽¹⁾

وتعد دول الخليج أحد جسور العبور الهامة التي تربط بين الشرق و الغرب، وحلقة اتصال بين الشرق العربي و أفريقيا و الشرق الأقصى، من الهند إلى الصين.⁽²⁾

زادت أهمية المنطقة في عصور السيادة الإسلامية منذ فجر الإسلام، وحتى ظهور العثمانيين، فاستطاعت الدول الإسلامية المتتالية حماية المنطقة و جعلها منطلقاً لنشر الإسلام وحراسة طرق التجارة، و تأمين القوافل التجارية طوال قرون متعددة⁽³⁾.

ونظراً لما يتمتع به الخليج العربي - كما أسلفنا - من أهمية كبرى في تحكّمه في الطرق التجارية الموصلة للهند، فالمنطقة كانت محل تنافس بين القوى الخارجية، فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي تعرّضت وحدة الجزيرة العربية بأكملها للتفكك والتصدّع؛ بسبب التغلغل الأجنبي وظهور التنافس الاستعماري في مياه الخليج العربي وسواحل البحر الأحمر ومضيق هرمز وباب المندب، وذلك بالتزامن مع حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية التي وجّهت أنظارها نحو الشرق الأقصى، فكانت ثمرتها الأولى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا سنة 1498م، ومع هذه الكشوف بدأ الاحتكاك الأوروبي

المباشر مع المسلمين في شبه الجزيرة العربية في محاولة جديدة لتوجيه ضربة للمسلمين، وتحقيق انتصارات جديدة للمسيحية في المشرق الإسلامي⁽⁴⁾.

كانت البرتغال رائدة هذه الكشوف ومسيرة الحملات للمنطقة، ففي سنة 1507م، تمكّن البرتغاليون من احتلال عدن ومسقط، ثم اتجهوا نحو هرمز والبصرة، فأسسوا وكالات تجارية؛ لاحتكار تجارة الهند واستمرت سيطرتهم حوالي قرن ونصف بعدما أُجبروا على الانسحاب منتصف القرن السابع عشر، بسبب المقاومة العمانية واليمنية.

وعند انتهاء الوجود البرتغالي حل محله النفوذ الهولندي الذي تمكّن من تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية سنة 1602م، وسعيًا منهم لصد الخطر العثماني عليهم عقدوا عدة اتفاقيات مع الصفويين في إيران، واستمر النفوذ الهولندي قرابة القرن، ثم بدأ بالتلاشي مع ظهور فرنسا وبريطانيا على مسرح الأحداث اعتباراً من سنة 1750م، فاستطاعت فرنسا توطيد علاقاتها مع شاه إيران، وتحصلت على العديد من الامتيازات، وافتتحت الوكالات التجارية، كما دخلت أيضاً في علاقات مع سلطان لحج في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وحصلت على امتيازات باستخدام غرب شبه الجزيرة العربية، وحصلت على امتيازات باستخدام ميناء عدن، غير أنّ النفوذ الفرنسي في الشرق أصيب بنكسة رئيسية بعد حرب السنوات السبع مع بريطانيا، التي كان من نتائجها خروج فرنسا من الهند تاركة هذه القارة للنفوذ البريطاني، وتبع ذلك تقلصاً فرنسياً في الخليج العربي والبحر الأحمر⁽⁵⁾.

التواجد البريطاني في الخليج العربي: لم تحكم قوة خارجية الخليج العربي، أو عرفت كيف تحكمه مثل بريطانيا، فقد جعلته بحراً لها، ومنطقة محرمة على الآخرين ومقللة أمامهم، فحمت طريق الهند بشكل دافعت فيه عن أسطولها التجاري بواسطة أسطولها العسكري، وأدرك البريطانيون أنّ أمن إمبراطوريتهم ونفوذهم يمر عبر الخليج العربي⁽⁶⁾، وهذا يعني أنّ بريطانيا لم تكن غافلة عن منطقة الخليج العربي، وما يجري بها من تنافس أوروبي محموم حول الاستفادة من المنطقة، وإيجاد موطئ قدم يمنح كل منها قدرة على احتكار تجارة الشرق، ففي سنة 1600م، صدر مرسوم ملكي يقضي بتأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية، ومنذ هذا التاريخ بدأت بريطانيا في تثبيت وجودها الاستعماري في منطقة الخليج العربي، وبدأت تعمل على إزاحة القوى الأوروبية

المنافسة لها، المتمثلة في البرتغال وهولندا وفرنسا، وبسيطرتها على الهند بعد ما تنازلت فرنسا عن ممتلكاتها هناك بموجب صلح باريس سنة 1763م، تطلّعت إلى السيطرة المباشرة على الخليج العربي رغبة منها في حماية مصالحها في الهند درّة التاج البريطاني⁽⁷⁾.

وبقيام الثورة الفرنسية عام 1789م، وما أدّى ذلك من تطورات وأحداث مختلفة كان أهمها فيما يخص - الشرق العربي- الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، كهدف أولي وضعه نابليون بونابرت من أجل تكوين إمبراطورية فرنسية في الشرق، وضرب المصالح البريطانية في الهند، في هذه الآونة ومجارة من بريطانيا للتطورات الناتجة عن الثورة الفرنسية، وحملة نابليون على مصر بدأت محاولات السيطرة البريطانية الفعلية على الخليج العربي⁽⁸⁾. وقد رسّخت بريطانيا زعامتها على المنطقة، خلال عقد المعاهدات السياسية - الأمنية مع زعماء القبائل، وأفهموا هؤلاء بأنّ بقاءهم في السلطة مرتبط باستمرار الوجود البريطاني في الخليج⁽⁹⁾.

فبسم القضاء على القرصنة وجّهت بريطانيا الحملات المتتالية ضد القواسم إلى أن قضت على قوتهم، ودمّرت حصونهم سنة 1819م، وفي إطار سعيها -بريطانيا- لتثبيت نفوذها وقّعت سلسلة من الاتفاقيات مع المشيخات الخليجية الواقعة شمال شرق عمان، على الساحل الذي كان يعرف آنذاك بساحل القرصنة عند الأوروبيين، ثم أصبح يعرف بعد توقيع هذه الاتفاقيات سنة 1820م، بساحل المهادنة أو المصالحة، فتعهدت فيه المشيخات العربية بوقف أعمال القرصنة وتحريم تجارة الرقيق، كما حدّدت علماً لكل المشيخات الموقعة على الاتفاقية، وهو علم أبيض يتوسطه لون أحمر، وأنّ للشيوخ الموقعين على المعاهدة الحق في إرسال بعثات إلى المقيم البريطاني في الخليج، وأنّ يرسلوا سفنهم إلى الموانئ البريطانية للتجارة¹⁰، وأنّ عدم التزام شيخ أو أكثر من الشيوخ الموقعين على الاتفاقية لا يعفي بقية الشيوخ من هذا الالتزام، كما نصت الاتفاقية على ضرورة إعادة توقيع الشيوخ على هذه الاتفاقية من حين لآخر⁽¹¹⁾.

وأصبحت البحرية البريطانية مكلفة بالإشراف على تنفيذ بنود المعاهدة ومراقبة الساحل، ومنذ ذلك التاريخ صارت بريطانيا تتحكم في السياسة الخارجية للمشيوخ، وهي المنفذة تجارياً وعسكرياً في المنطقة⁽¹²⁾.

وبدأ يتوالى عقد الاتفاقيات والمعاهدات بين بريطانيا، و مشيخات الخليج تصب جميعها في صالح السياسة البريطانية، ففي سنة 1853م، وقعت اتفاقية بين قبائل ساحل عمان برعاية بريطانية، عرفت بمعاهدة السلام الدائم التي وقعتها قبائل الساحل الغربي، بالأصالة عن أنفسهم ونيابة عن وراثتهم وخلفائهم.

فكرست هذه المعاهدة من التجزئة بين المشيخات في الساحل العماني، وبعد ثلاثة سنوات وقّع هؤلاء الشيوخ - رأس الخيمة ، أبو ظبي، دبي، عمان، أم القيوين- معاهدة أخرى سنة 1856م، سميت بمعاهدة الهدنة البحرية، كان من أهم بنودها وقف العمليات العسكرية في الخليج العربي⁽¹³⁾.

توجت هذه المعاهدات بتوقيع معاهدة الممانعة سنة 1892م، التي تعهد فيها شيوخ المناطق سالفة الذكر بعدم الدخول في أي حال من الأحوال في اتفاقية أو اتصال مع أي حكومة ماعدا بريطانيا، وبعدم الموافقة على إقامة أي وكيل لحكومة أخرى في إماراتهم دون موافقة الحكومة البريطانية، وكذلك بعدم التنازل أو قبول احتلال جزء من ممتلكاتهم إلا للحكومة البريطانية، كما تم عقد اتفاقيات مماثلة مع أمراء جنوب غرب شبه الجزيرة العربية مثل سلطنة لحج وغيرها من الكيانات الصغيرة⁽¹⁴⁾.

وبهذه الاتفاقيات والمعاهدات ضمنت بريطانيا كلياً سيطرتها على كامل شبه الجزيرة العربية، وأصبحت المسير الحقيقي لكل ما يجري في المنطقة بأسرها.

الحرب العالمية الأولى والسياسة البريطانية في الخليج العربي: تطورت السياسة البريطانية في الخليج العربي على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى، فأخذت تسعى إلى إعلان الحماية على المناطق التي قيّدها بالمعاهدات المتتالية سالفة الذكر، فسارت على نفس النسق بتوقيع معاهدات جديدة، زادت من هيمنة بريطانيا على المنطقة، ففي السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى 1914م، وقّعت اتفاق إعلان حماية على الكويت، وفي

السنة التالية 1915م مع عسير، وفي العام نفسه وقّعت معاهدة مع عبد العزيز آل سعود، ومعاهدة أخرى مع شيخ قطر سنة 1916م⁽¹⁵⁾.

وفي خضمّ الحرب سارعت بريطانيا لتوقيع معاهدة مع الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت، تعهّد فيها بعدم منح أي امتيازات للتنقيب عن النفط واستخراجه إلا للحكومة البريطانية.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها سعت الحكومة البريطانية إلى ربط جميع شيوخ المنطقة بتعهدات اقتصادية وسياسية محدّدة، استهدفت احتكار بريطانيا للنفط، ومن هذه التعهدات الاتفاق الذي وقع مع شيخ الشارقة سنة 1922م، ومع شيخ دبي 1925م. وتتويجاً لذلك وقّعت سنة 1928م، اتفاقية الخط الأحمر بين شركات النفط البريطانية والفرنسية والأمريكية، حول تقسيم مناطق النفوذ النفطية في شرق الجزيرة العربية والعراق، وفي أواخر الثلاثينات حصلت بريطانيا على امتيازات تنقيب النفط في كل من أبو ظبي وقطر.

وكان الأسلوب المتبع في مثل هذه الحالات، هو أن يتقدّم المقيم أو الوكيل السياسي بطلب من حاكم الإمارة، يرفق بطيه صورة من الإعلان أو الاتفاقية للتوقيع عليها من قبل الآخر بالنيابة عن نفسه وورثته من بعده، مقابل عائدات هزيلة، وجدير بالإشارة أن الشيء نفسه حصل مع سلطان لحج، وبقية السلاطين التابعين لمحميات عدن السابقة⁽¹⁶⁾. وهكذا تمكنت بريطانيا من وضع يدها على المنطقة، والتحكّم في أهم مورد اقتصادي لها وهو النفط.

المتغيرات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، وأثرها في السياسة البريطانية: خلال ما تم عرضه سابقاً اتضح جلياً أنّ بريطانيا قد تمكنت من فرض سيطرتها على الخليج العربي، من خلال سياسة اتسمت بالمداهنة والحنكة السياسية، في مقابل الضعف والجهل بعواقب الأمور من الأطراف العربية، وذلك فيما يخص المعاهدات الموقّعة بين الطرفين. كما أصبحت منطقة الخليج العربي أكثر أهمية بعد اكتشاف النفط فيها، إلى جانب الموقع الاستراتيجي المهم، على اعتباره شريان رئيسي في المواصلات البحرية والطرق التجارية، وهذه الأهمية زادت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فعاد من جديد، وبأكثر قوة

تنافس قوى عالمية فيما بينهما على هذه المنطقة. فالدول الغربية الرأسمالية زادت من أنشطتها نحو تكوين شركات نفطية؛ للحصول على الاستثمارات الاحتكارية، ويعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية المنطقة بحصول شركاتها على امتيازات نفطية، الأمر الفاصل في تغيير نهج السياسة البريطانية القديمة نحو الخليج، وذلك لعدة اعتبارات، وبخاصة بعد حصول باكستان والهند على استقلالهما وازدياد أهمية الخليج، ومن أهم المستجدات التي غيرت نهج السياسة البريطانية:

1- خروج بريطانيا من الحرب العالمية الثانية مثقلة ومترهلة اقتصادياً بسبب العمليات القتالية.

2- ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كمنافس جديد لبريطانيا، وحصولها على أكبر قدر من الامتيازات النفطية.

3- تحول النفط من القيمة الاقتصادية إلى الصفة الاستراتيجية⁽¹⁷⁾.

4- مواجهة السياسة الأمريكية التي تهدف إلى تحقيق رغباتها الذاتية، بتكوين لجان متخصصة لهذا الغرض، مثال ذلك اللجنة التنفيذية للسياسة الاقتصادية الخارجية لأمريكا عن طريق تقديم المساعدات للشرق الأوسط، وبالتالي تقلل من أهمية بريطانيا.

5- ظهور الوعي القومي العربي المتمثل في الحركات الإصلاحية التي قامت في بعض إمارات الخليج العربي، في الكويت والبحرين ودبي، ومن بعض الأعيان مطالبين بإصلاحات اجتماعية وسياسية واقتصادية، وداعين بإنشاء مجالس تشريعية في تلك الإمارات الخليجية⁽¹⁸⁾.

6- ظهور الوعي السياسي لدى الشعب العربي في الخليج عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، و تزايد المد القومي وحركة القوميين العرب، بعد نكبة فلسطين وظهور مفهوم جديد للاستقلال، هو الاستقلال السياسي القطري الوطني.

نظراً لهذه المتغيرات تطلب من بريطانيا تغيير سياستها تجاه الخليج العربي، فبدأت تولي اهتماماً بالشؤون الداخلية للمنطقة، وذلك من وجهة نظرها الاستعمارية، وليس من وجهة نظر مصلحة الشعب العربي في مشيخات شرق الجزيرة العربية، كما كشف وزير الخارجية البريطانية (عن قلقه بسبب قلة الجهود المبذولة في الخليج العربي، مما يؤدي

إلى الهجوم على السياسة البريطانية من قبل الأمم المتحدة، بسبب إهمالها للسكان العرب في إمارات شرق الجزيرة⁽¹⁹⁾.

وفي ضوء ذلك عملت وزارة الخارجية البريطانية على توفير مستشارين لكل المشيخات لتقديم النصح لهم، وتعريفهم بأهمية العائدات النفطية على السكان المحليين، والضغط على الولايات المتحدة الأمريكية للتعاون مع شركاتها النفطية؛ لتخصيص جزء من مداخيلها لتوفير الخدمات العامة، وتوصية البنك الدولي بتمويل بعض المشروعات، وبخاصة في المشيخات التي ليس لها دخل نفطي.

كما قامت بريطانيا بالضغط على الحكام المحليين بتعيين مقيمين سياسيين في مشيخاتهم؛ سعياً منها-بريطانيا- لدعم مشروعاتها الاستثمارية، وأن تكون سوقاً لمنتجاتها الاقتصادية⁽²⁰⁾.

وهكذا استطاعت بريطانيا في ظل سياستها الجديدة من المحافظة على مكاسبها، وذلك حتى لو انسحبت من الخليج العربي.

الحرب الباردة وأثرها على السياسة البريطانية في الخليج العربي: بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، برزت قوتان تزعمتا العالم هما: الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح التحالف ضد النازية والفاشية بين الدول الغربية المتحالفة من جهة، والإتحاد السوفيتي من جهة أخرى، من الماضي القريب الذي لا يمكن ترميمه فبرزت الخلافات الكبرى بسبب الاختلافات الإيديولوجية بين الإمبريالية الأمريكية، والشوعية السوفيتية وهو ما اصطلح عليه بمفهوم الحرب الباردة، في هذه الأثناء تراجعت قوة الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس إلى مرتبة تالية عن القوتين الأمريكية والسوفيتية.

من خلال هذه المتغيرات الدولية بدأت بريطانيا تواجه منافسة أمريكية إمبريالية، تسعى لفرض هيمنتها على العالم، وليس على الخليج العربي فحسب، فأولت للمنطقة أهمية خاصة، فمنذ سنة 1947م، أخذت تنهج سياسة مستقلة، وبعيدة عن المواقف البريطانية الدولة الفارضة هيمنتها على الخليج لعدة قرون⁽²¹⁾، فتمكنت سنة 1951م، من توقيع معاهدة مع السعودية، نصت على تنظيم استخدام قاعدة الظهران، مقابل معونة أمريكية

خصصت لتسليح الجيش السعودي وتدريبه، وجدير بالذكر أنّ هذه القاعدة تقع على مقربة من أكبر حقول النفط في العالم، كما بدأ النفوذ الأمريكي يتعاظم في إيران منذ سنة 1953م، بعد الانقلاب الذي دبّته الولايات المتحدة ضد رضا خان، فزاد من قبض الشاه على السلطة، وتصفية المعارضين. وبهذا التغلغل الأمريكي في الخليج دخلت بريطانيا فيما يسمّى بالتنافس الودي البريطاني الأمريكي⁽²²⁾.

هذا فيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية، أمّا الإتحاد السوفيتي فكان مهتماً بمنطقة الخليج العربي، كدائرة اهتمام روسيا منذ عهدها القيصري، وذلك في ظل سياستها الجيوسياسية لتأمين حدودها، وذلك عبر الأزمنة المختلفة. فكانت تأمل دائماً في الحصول على منفذ نحو الجنوب، يسمح لها بحريتها في الحركة التجارية، والتقليل من الكلفة الاقتصادية، فكان الخليج العربي هدفاً لذلك⁽²³⁾، ومن أجل تأمين حدوده عمل على إبعاد النفوذ الأجنبي المعادي له وإفشالاً لأية محاولة لتطويق أراضيه، واستخدام القوة إذا لزم الأمر في بعض الأحيان لضمان استمرارية فضائه الجيوبولوتيكي.

لقد اعتبر الإتحاد السوفيتي إيران صمام الأمان لأمنه من ناحية الخليج، فوطد علاقاته مع إيران، كما دعم ثورة العراق سنة 1958م وأمدّها بالأسلحة بالإضافة أنه -الإتحاد السوفيتي -أصبح الحليف الأول لليمن الجنوبي.

من خلال ما سبق شعرت بريطانيا أنّها ليست الدولة الرأسمالية الوحيدة في المنطقة، التي لها مصالح اقتصادية ونفطية، بل هناك منافسون آخرون، وهي غير قادرة على مجاراتهم بنفس الوسيلة، لذلك كان لزاماً عليها تغيير في نهج سياستها في الخليج العربي، كما كانت تفعل كل مرة وتحصل على ما تريد بأقل الخسائر وأضمن النتائج⁽²⁴⁾.

الانسحاب البريطاني من الخليج العربي 1968-1971: في ظل التطورات السالف ذكرها التي شهدتها العالم، ومنطقة الخليج العربي من ضمنها، فأيقنت بريطانيا أنّ الأوان قد حان؛ لاتخاذ خطوة تكتيكية تقضي بالانسحاب العسكري بالتوازي في الحفاظ على بقاء نفوذها بالمنطقة عن طريق أساليب جديدة، ولاسيما في ضوء تصاعد النضال المسلح ضد الوجود البريطاني خاصة في اليمن الجنوبي.

ويُلخّص ألكسي فاسيليف في كتابه: بترول الخليج والقضية العربية، السبب الجوهري الذي دفع ببريطانيا إلى الانسحاب من الخليج العربي فيقول "وأخذ البريطانيون درساً من تجربة عدن، حيث أدركوا أنّ البقاء لمدة أطول تعني وصول حكومات أكثر راديكالية إلى السلطة، ولذا من الأفضل الانسحاب عن طيب خاطر قبل فوات الأوان"⁽²⁵⁾.

كما صرّح لاحقاً رئيس وزراء بريطانيا أثناء اجتماع الحلف المركزي سنة 1972م، "أنّ انسحاب قواتنا لا يعني أنّنا لم نعد نهتم بهذه المنطقة البالغة الحيوية، إنّ ما فعلنا هو أنّنا جعلنا علاقتنا مع حكام الدول العربية أكثر عصرية"⁽²⁶⁾.

وهناك من الدوافع التي جعلت بريطانيا تنسحب من المنطقة وهي⁽²⁷⁾:

1-دوافع الاستقرار والأمن: يبدو أنّ بريطانيا اقتنعت بأنّ الوجود العسكري التقليدي غير مجدٍ بعدما فشلت في معاركها ضد الثوار في اليمن الجنوبي، وأنّ التفاهم بينها وبين حكام المنطقة لتحقيق الأمن والاستقرار هو خير وسيلة لحفظ مصالحها، والتخلّص من الحكّام والشيوخ الذين تشعر بأنّ وجودهم خطرٌ حقيقي على مصالحها لذلك يجب استبدالهم بمطيعين لها.

2-دوافع اقتصادية: تدهور الأحوال الاقتصادية في بريطانيا وعدم التوازن في ميزان المدفوعات والتضخم، جعل حكومة العمال البريطانية تفكر جدياً في إجراء عملية تقشّف كبرى؛ لإعادة الثقة في الاقتصاد البريطاني، ولتحقيق المصلحة الوطنية والدخول إلى السوق الأوروبية المشتركة، بالاتجاه نحو أوروبا، ودعم نشاطها في الحلف الأطلسي.

3-تطور الإستراتيجية العسكرية: فالتطور التقني في المجالات العسكرية لم يعد يستدعي إقامة قواعد ثابتة، وإنّما إمكانية الاعتماد على الغواصات والقاذفات وحاملات الطائرات والمدمرات التي تحمل جميع أنواع الأسلحة.

4-الدوافع السياسية: عبّرت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها في علاقاتها مع إمارات شرق الجزيرة العربية في تصريح له قال فيه: "إنّ العلاقات بين الطرفين هي أهم وأضمن من الوجود العسكري، الذي لن يكسبها شيء، وإنّما بل قد يضر بمصالحها ما يعني تغيير الأسلوب البريطاني القديم إلى أسلوب يتماشى وروح العصر بإلغاء المعاهدات القديمة واستبدالها بجديدة، تحت مسمّى جديد، وهو معاهدات الصداقة، تفي بنفس الغرض

السابق، وتحافظ على المصالح الاحتكارية⁽²⁸⁾. ولهذه الأسباب مجتمعة لم تر بريطانيا بدأ من إعلان انسحابها من المنطقة، بعدما أعدت لمرحلة ما بعد الانسحاب، وذلك في المقترحات التي أعلن عنها في يوليو 1967م واشتملت على⁽²⁹⁾:

- 1- أن تفتتح الأوساط الحاكمة التقليدية بضرورة تأقلمها مع متطلبات السلطة العصرية.
 - 2- أن تقوم بريطانيا بإقناع السعودية وإيران بضرورة العمل المشترك في المنطقة.
 - 3- إعادة العلاقات الطبيعية بين سلطنة عمان والسعودية، وترك الخلافات القديمة.
- وقد جاء إعلان الانسحاب البريطاني من المنطقة في 16/1/1968م، عقب زيارة وزير الدولة البريطاني جرونوي روبر سنر إلى إمارات الخليج وإيران والسعودية. والجدير بالملاحظة أنه قد أثرت مسألة الفراغ الذي قد يوجده الانسحاب البريطاني، لذلك سعت بريطانيا إلى تدعيم مركزها لما بعد الانسحاب بعقد اتفاقيات صداقة مع الإمارات المعنية، والتعاون مع إيران لجعلها شرطي يحرس المنطقة لصالح النفوذ الغربي⁽³⁰⁾، كما أعلن ملك السعودية فيصل بن عبد العزيز أنه "لن يسبب انسحاب بريطانيا أي فراغ في المنطقة، ما دامت الفيدرالية تتمتع بدعم أمريكا، وبدعم جيراننا وفيما يعيننا فنحن نؤيدها بدون تحفظ⁽³¹⁾".

هكذا أثبتت بريطانيا أنها قادرة، وفي كل مرة التأقلم مع المتطلبات الجديدة التي يعيشها العصر، وحافظت وبكل جدارة عن مصالحها داخل الخليج العربي. تأسيس اتحاد الإمارات العربية 1971م : عهدنا في دراساتنا التاريخية أن بريطانيا كانت الأكثر استعمالاً لمصطلح "فرق تسد" في تعاملها مع الخارج لضمان استعمارها وهيمنتها على المناطق التي ترى فيها مصلحة لها. غير أننا في حالة الخليج العربي سنلحظ غير ذلك.

فكرة الإتحاد بين إمارات الخليج العربي تعود بالأساس إلى ثلاثينات القرن العشرين، إذ بدأت بريطانيا في التفكير لتوحيد إمارات الخليج العربي في وحدة سياسية أكبر؛ بهدف ضمان الاستقرار دون المساس بنفوذها في المنطقة، فسعت إلى توحيد مناهج التعليم، والربط والتنسيق بين الأنظمة البريدية والبرقية، والعمل على إنشاء جيش نظامي موحد، بالإضافة إلى توحيد الأنظمة القضائية، و إنشاء مجالس يتم انتخاب أعضائها أو تعيينهم

من قبل الشيوخ، غير أنّ هذه المقترحات اصطدمت بقيام الحرب العالمية الثانية، التي حالت دون ذلك، وعدم الاستمرار للإعداد لهذا الاتحاد⁽³²⁾.

وبعد إعلان بريطانيا انسحابها طفت من جديد فكرة قيام اتحاد بين الإمارات التسع الممنوحة الاستقلال من جانب بريطانيا، وفق المدة الزمنية المحددة لسنة 1971م، وهذه الإمارات هي: قطر، البحرين، أبو ظبي، دبي، أم القيوين، الفجيرة، عجمان، الشارقة، رأس الخيمة، وهذه الإمارات بعضها لا يمتلك من المقومات الاقتصادية، والتعداد السكاني ما يمكنها من إعلان دولة مستقلة؛ لذلك رأت بريطانيا ومن جديد أنّ مشكلة ملء الفراغ يمكن حلها بوسيلة اتحادية مدعّمة لتضمن بقاء المنطقة بأسرها تسيح في النفوذ البريطاني. فكانت البداية بأن أعلن كل من حاكم أبو ظبي زايد آل نهيان، وحاكم دبي راشد بن مكتوم على إقامة اتحاد فيدرالي بينهما، وعقد اجتماع لذلك الغرض في 18/2/1968م، دعيا فيه سائر إمارات الخليج إلى الإتحاد، وتناول الاجتماع السبل الممكنة لتكوين اتحاد بين البلدين وتتاط به الشؤون الخارجية والدفاع والجنسية والهجرة، وبهذا الاتحاد اعتبر النواة الأولى لإتحاد الإمارات العربية⁽³³⁾.

وتجاوب سائر حكام الإمارات لدعوة حاكمي أبو ظبي ودبي لمقترحهما بشأن الوحدة، فاجتمع الحكام وعقدت اجتماعات متتالية اعتباراً من 25 فبراير 1968م، واتفقوا على إقامة اتحاد يضم إماراتهم يطلق عليه اسم "إتحاد الإمارات العربية المتحدة" على أن يصبح ساري المفعول ابتداءً من مارس 1968م.

ولكن هناك الكثير من العقبات التي واجهتهم حول الاتفاق على كثير من المسائل أهمها: اختيار العاصمة، لذلك أعلنت كل من قطر والبحرين استقلالهما، وبالتالي خروجهما من الاتحاد، الذي أعلن عنه يوم 2/12/1971م، ضاماً الإمارات السبع الأخرى، متخذاً من أبو ظبي عاصمة، وشيخها زايد بن سلطان رئيساً للاتحاد، والشيخ راشد بن مكتوم نائباً لرئيس الدولة، وانضمت الدولة الجديدة إلى جامعة الدولة العربية يوم 6/12/1971م، ثم انضمت إلى عضوية الأمم المتحدة من نفس الشهر والسنة⁽³⁴⁾.

وفي خاتمة البحث يتضح خلال العرض السابق بعض المؤشرات التي اتصفت بها السياسة البريطانية تجاه منطقة الخليج العربي، فكان الدافع الأساس لبريطانيا لتوجيه

أنظارها نحو المنطقة هو غرض تجاري، وذلك بافتتاح فرع لشركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة سنة 1600م، ثم ما إن سيطرت بشكل كلي على الهند عندها سعى نابليون بونابرت ضرب الإمبراطورية البريطانية في الهند بحملته على مصر سنة 1798م، فما كان من بريطانيا إلا توجيه أنظارها نحو الخليج العربي، وبدأت في ربطه بمعاهدات ضمنت فيها وفي كل مرة ضمان بسط نفوذها وهيمنتها على المنطقة، وبموافقة حكام المناطق الخليجية دون أن يكون لهم أدنى مناوره مع السياسة البريطانيين، وهذه السياسة استمرت على الوتيرة نفسها، وبشكل متصاعد في كل مرة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، فحدثت من المستجدات ما جعل بريطانيا تقتنع أن وجودها العسكري لن يزيد المنطقة إلا تعقيداً، بل وقد يسمح بوصول أنظمة تقدمية قد لا تخدم المصالح البريطانية بشكل خاص، والغربية بشكل عام، فأعلنت أنها ستسحب ضامنة بدهائها السياسي عدم وجود فراغ قد يسمح لقوى معادية من الوصول إلى مياه الخليج العربي، والسيطرة على منابع النفط فيه كالإتحاد السوفيتي، لذلك أعلنت انسحابها في يناير 1968م، و في خطوة مغايرة لما عهد عن السياسة البريطانية بأن رعت ووافقت على إنشاء إتحاد الإمارات العربية الموالي لبريطانيا والغرب، وهذا ما زال حاصلًا إلى اليوم.

هوامش البحث ومصادره:

1. نقلاً عن الموقع الإلكتروني : www. Alklig . coom ..
2. جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية (دراسة في الجغرافيا الإقليمية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص 15.
3. زاهية قدوره، شبه الجزيرة العربية وكياناتها السياسية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ص 93-103.
4. فتحية النبراوي، ومحمد نصر مهنا، الخليج العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية 1988م، ص 85.
5. محمود علي الداود، عوامل الوحدة والتجزئة في الجزيرة العربية، بحث بمجلد بعنوان: (التجارب الوحدوية العربية المعاصرة)، مركز الدراسات الوحدوية العربية، بيروت، ط3، 1986م، ص ص 21-23.
6. أنطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية (1798م-1978م)، دار الجيل بيروت، 1993م، ص 11.
7. فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1981م، ص 24.
8. عبد الأمير محمد أمين، مقاومة شرق الجزيرة العربية وقبائل الخليج العربي للتغلغل الاستعماري الأوروبي 1500-1820م، بحث بمجلد التجارب بعنوان: (التجارب الوحدوية العربية المعاصرة) منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1986، ص 82.
9. أنطوان متي، المرجع السابق، ص 11.
10. جون بولوك، الخليج، ترجمة: دهام موسى العطاونة، مطبوعات دهام موسى العطاونة، لندن، 1988م، ص 191 - 192.
11. كاميليا أبو جبل، سياسة بريطانيا تجاه مشيخات الساحل العماني، مجلة دراسات تاريخية، العدوان، 81-82، 2003، دمشق، ص 95-6.

12. محمد رفيق الطيب، العالم العربي والتحديات المعاصرة، دار النفائس، بيروت، 2010، ص200.
13. محمد نصر مهنا، الخليج العربي (التطور الحديث والمعاصر) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996م، ص217.
14. فؤاد سعيد العابد، المرجع السابق، ص93.
15. محمود علي الداود، المرجع السابق، ص28.
16. فؤاد سعيد العابد، المرجع السابق، ص196-197.
17. محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، ط2، 1998م، ص259.
18. مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جامعة البصرة، 1984م، ص156.
19. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص260.
20. محمد رفيق الطيب، المرجع السابق، ص20.
21. محمد عبد الله المطوع، التطورات الإقليمية والدولية المؤدية لقيام الاتحاد، بحث بمجلد التجارب الوندوية العربية المعاصرة، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1986، ص157.
22. محمد حسين العيدروس، المرجع السابق، ص266.
23. أنطوان متي، المرجع السابق، ص92 - 93.
24. كاميليا أبو جبل، المرجع السابق، ص98.
25. محمد عبد الله المطوع، المرجع السابق، ص162.
26. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
27. فتحية النبراوي، ومحمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص420.
28. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص277.
29. محمد عبد الله المطوع، المرجع السابق، ص163.

30. روز ماري سعيد زحلان، الوحدة والحكم البريطاني، بحث بمجلد التجارب الوجدوية العربية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1986، ص 119-120.
31. محمد عبد الله المطوع، المرجع السابق، ص 163.
32. جمال زكريا قاسم، الأسس التاريخية لوحدة الإمارات، بحث بمجلد التجارب الوجدوية العربية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1986، ص 85، 86.
33. زاهية قدوره، المرجع السابق، ص 564.
34. زاهية قدوره، المرجع السابق، ص 565، 566.

النقد في الفن التشكيلي العربي المعاصر تفاصيل وتجليات في قراءات تحليلية لأعمال عينات من فنانيين عرب معاصرين

د. عمران بشنه

كلية الآداب الزاوية - جامعة الزاوية

مقدمة:

يُهدف الباحث إلى معرفة طبيعة الحالة التشكيلية العربية الحديثة في الفنون التشكيلية العربية وأهميتها وتأثيرها ودور مبدعيها، والحالات التي تسببت في انطلاقتها وتكون ما يسمى بالنقد محلياً بصورة موازية لها وأهميته وتقييم عينات عربية وتطبيق حالة النقد على أعمالهم.

وحيث لعبت الفنون دوراً ذو أهمية كبيرة في بناء تاريخ وحضارات الشعوب كافة، والحضارات التي تكونت على ساحتنا العربية الحافلة بالقيم والأمجاد، فإن معظم أجيالنا المعاصرة من أجيال الرواد المؤسسين والشباب المعاصرين تفضلُ أغلبها قاصرة في معرفتها عن أية معلومات عمّن ساهموا في تأسيس هذا اللون من الفن، عليه رأى الباحث الكتابة النقدية والكشف عن قدرة الفنان العربي في الممارسة التشكيلية لعينات مختارة من الفنانين.

ونحن نعرف أن عدداً من أسماء بعض الفنانين الذين كانوا على تواصل بما يحدث في بلادنا العربية والتي كانت السبابة لذلك مثل " مصر والعراق وسوريا والمغرب ولبنان والجزائر " باعتبارهم الرواد الأوائل في مجال الفن التشكيلي العربي الحديث، إلا أنه لم يكن تحت أي مرجعية تاريخية ثابتة، أو أي توازن لتوثيق تلك الأعمال الفنية التي قُدمت من بعضٍ منهم، وقد تمت بعض الدراسات والبحوث حول هذا الأمر، وإلى ما يمكن أن نعتبره استكشافاً لقيمة التجديد في فنونا التشكيلية العربية وأهميتها، لأن التاريخ في العادة يكتب وفق ظروف الحاضر وبمقومات إرادته، ويصل به إلى تصورات ينبغي تدوينها

وتوثيقها، وعليه تبقى بعض ملامح عدد من الفنانين للفترة الحديثة مُبهمة وهو نفس الحال بالنسبة للماضي، لأننا لم نتعرّف على كل أسرارها وأبرز روادها.

الفن التشكيلي العربي بصورته الحديثة هو أحد أبرز ملامح الحياة السائدة وذاتقتها الجمالية، ووجدانها الخفي الذي يصوغ حساسية التفاعل مع العالم في فترة معينة من الزمن، (يمكننا القول بان جيل الرواد استطاع أن يضع القواعد الأولى المدرسية لتأسيس الفن التشكيلي العربي الحديث، كما أستطاع أن يبلور العديد من الآراء لتشكيل نواة فن عربي واقعي له مميزاته الإبداعية، لتلك المميزات التي نرى امتدادها الآن في الوطن العربي من خلال الحركة التشكيلية وكثرة انتشارها في أماكن العرض المختلفة ومحترفات الفنانين أو التجمعات بالمننديات والجمعيات والاتحادات الفنية، إضافة لإقامة المعارض والبيناليات المحلية والدولية المتخصصة، إلى جانب تعدد مختلف المؤسسات الراعية، واهتمام وتشجيع السلطات الرسمية بهذه الظاهرة)¹.

مشكلة البحث: اختلفت آراء مختلف الباحثين والنقاد التشكيليين حول مسألة انطلاق " الفن التشكيلي العربي الحديث " والذي أصبح من الضروري أن نتبين هذه البدايات وصولاً إلى استمرارية الفن التشكيلي العربي خصوصاً لما له من أثار وشواهد هامة.

وُجد الفن في وطننا مترابطاً بفترات زمنية متوالية منذ القدم وحتى اليوم إذ أبرزت تلك الحضارات القديمة التي شهدها التاريخ معطيات فنية مختلفة من فن الكهوف إلى الفن الإسلامي عبر العصور الوسيطة وتلك الملامح التي تميز بها بشكل واضح وبمفردات تشكيلية تجريدية أثرت بشكل أو بآخر في الفنون الغربية وأثرت قبل وبعد ظهور مدارس الفن الحديثة.

والفن التشكيلي بأساليبه المتعددة من قديمه وحديثه وجد في وطننا العربي في حالات تتميز بتنوعها بثقافات تتباين عن بعضها البعض بشكل واضح بين ما يسمى التراث من

جهة والمعاصرة أو الحداثة من جهة أخرى وهذا ما جعلها تواجه التحديات الحديثة المتواصلة، ومن خلال التلاقي الحضاري بين الثقافات العربية المحلية والحداثة الغربية الأمر الذي ترتب عليه هذا الاحتكاك لنسج رموز وصور أشكال جديدة جاءت من ذلك الاحتكاك المباشر، والاستفادة الكبيرة من أدوات الممارسة الفنية الغير معروفة عربياً من قبل مما ساهم في تطور ممارسة التشكيل عربياً مع بدايات القرن العشرين الماضي وانتشاره خلال النصف الثاني منه.

إن هذه الإشكالية دعت الباحث للقيام بهذا الجهد المبسط لأسلط الضوء من خلاله على أهمية الفن العربي وأساليبه المتعددة بما ينسجم مع قيمته ومكانته .

أغلب الفنانين العرب وجدوا أنفسهم أمام تحديات جديدة عليهم تُسمى بالحداثة وكيفية توظيف عناصر التراث المحلي من خلال الدلالات الرمزية المتنوعة والتجارب الحديثة عبر ممارستهم التشكيلية.

ويأتي هذا العمل كمحاولة للرد على جملة من الأسئلة حول أهمية دراسة ظاهرة الريادة في فن التشكيل العربي على اختلاف مستوياتها ومصادرها وسبل توظيفها واستثمارها . ويأتي هذا العمل متواصلاً مع الدراسات العلمية لهذه الظاهرة في الفن التشكيلي العربي، ومن جانب آخر فإن مثل هذه الدراسة تعتبر خطوة مهمة للتعريف بعينات من الفنانين وإبداعاتهم الفنية أمام النقاد والباحثين وطلاب الفنون للوقوف على أهم الملامح التي ميزت إنتاجهم وما صاغوه من قيم جمالية وتقنيات أو أساليب فنية تعبيرية .

ونهدف هنا إلى تسليط الضوء حول الفن التشكيلي العربي خاصة الفن الحديث والمعاصر لما له من دور أصبح من الضروري الإشارة إليه وتتبعه في الوقت الحاضر لبيان أصالته وارتباطه بتراث المجتمع العربي كمسار وملامح تاريخية ومؤثرات وليس كأسماء لأن ذلك يصعب تحديده إلا من خلال دراسات تحليلية محلية وبأسلوب تقصي تاريخي وفلسفي وجمالي من خلال تحديد الملامح والسمات التي صارت مع توالي الأجيال تأخذ طريقها

لرسم ملامح محلية في كل بلد من بلداننا العربية التي تخضع للمؤثرات الواحدة من المناخ والجغرافية البيئية والاجتماعية والعادات والتقاليد والتراث، وبعوض تلك التأثيرات السياسية التي توسم مجتمعاتنا العربية.

أهمية البحث: تتركز أهمية هذا البحث حول دراسة اللوحة التشكيلية العربية ومعرفة قيمتها الدلالية والتعبيرية نقدياً في مسيرة وتجارب عينات من الفنانين التشكيليين العرب المعاصرين في مجموعة من أقطار مختلفة من وطننا العربي ونفض الغبار عنها للعالم لتبيان وجود الفن التشكيلي وتحديد أهميته وخبرة فنانينا بمعطيات بناء اللوحة المتكاملة من تكوينها وخطوطها وألوانها إلى محتواها الفكري والتعبيري والجمالي كرسالة للمتلقين ووصولها لقلوبهم .

أهداف البحث: يهدف الباحث إلى لفت الانتباه وتسليط الضوء على النقد في الفن التشكيلي العربي الحديث لما له من دور أصبح من الضروري الإشارة إليه في الوقت الحاضر محلياً عند المواطن والمسئول، وخارجياً عند العارفين بالفن التشكيلي العربي علماً وثقافة بأننا أمة لنا فنانونا وخبراتنا وثقافتنا ولمستنا المحلية لبيان أصالة فنوننا وفنانونا وارتباطهم بتراث هذا الوطن الكبير لتحديد بعض الملامح والسمات التي صارت في تعاقب الأجيال وتأخذ طريقها لرسم ملامح محلية في كل بلد من بلداننا العربية وفق خضوعها للمناخ والجغرافية البيئية والاجتماعية والمؤثرات من عادات وتقاليد وتراث، والتأثيرات السياسية والدينية.

حدود البحث: هذا البحث جاء من خلال شبه انعدام كلي للنقد الفني التشكيلي ولكن بقدر داخل الساحة العربية ككل رغم وجود وانتشار الفن والفنان في بعض منها وحتى وصول الكثيرين منهم للعيش منه والتفرغ له تفرغاً كاملاً.

لذلك رأى الباحث تحديد عينات بحثية مختلفة من فنانونا العرب بما يحملونه من تجارب من أعمالهم الفنية وقراءتها وتحليلها تحليلًا وصفيًا لاختلاف جوانب لكل تجربة فنية من تجارب الفنانين من العينات التي حددها الباحث لوحدها وهي:

أولاً / تونس : (خليفة البرادعي – آمال بن حسن – دليلة بن مريم).

ثانياً / المغرب : (عبد الرحيم غزالي – بو شعيب خلدوني).

ثالثاً / ليبيا : (علي أحمد الزويك – أسماء محمد سويسي).

رابعاً / مصر : (محمد الطحان).

النقد بين المفاهيم والأساليب:

مقدمة: كثيراً ما يُطرح خلال الحوارات حول الفترة التي بدأت تشكل فيها المعالم الفنية الحديثة في هذا البلد العربي أو ذلك، ومستوى الخطاب التصويري وهدفه من هذه التجربة ومختلف مساراتها الفنية، والى القديمة . وأين تسير بتوجهاتها، وما أهم العوامل الفكرية وآفاق لغتها الجديدة وأسلوب خطابها الذي كان ينشده الفنان المؤسس لإثبات حضوره، وأهمية وجوده وقيمه ومدى امتلاكه للتقنيات المتطورة دون أن يُفكك عرى روابطها التاريخية .

وفي علمنا أن الفنون التشكيلية بشكلها المعاصر والحديث خاصة فنون الرسم قد انطلقت من بلد عربي إلى آخر بقدر ارتباطه بأوروبا خلال تلك الفترة الإستعمارية، والتي أعتبرها البعض بأنها المنبع الأساسي للفنون التشكيلية متناسين تاريخ وطننا الحضاري وتلك الثروات الفنية التي ولدت على أرضه من مشرقه إلى مغربه.

النقد:

1- **المعنى والمفهوم:** إن ما نُطلق عليه اليوم اسم النقد كان يناقش منذ القديم من قبل الفلاسفة مثل " أرسطو" وجماعة البلاغيين مثل " كوينتيليان " .

وللنقد في اللغة العربية معاني كبيرة نذكر منها ماله صلة بالنقد الفني والأدبي والكشف عن جيدها ورديئها وصحيحها وزائفها كالنقد والانتقاد، ويقولون نقد الرجل الشيء بنظره، أي اختلس النظر إليه، وما زال ينقد بصره إلى الشيء أي ينظر إليه يُنقد الشيء بعينه معناها يختلس النظر إليه كي يعرف حقيقته دون أن يُفطن إليه.

وهذه المعاني اللغوية للكلمة في أصل وضعها واستخدامها تلتقي كلها حول معاني النظر والفحص والتمييز، وما يمكن أن يتصل بها من اكتشاف العيب أو النقص الذي هو نتيجة النظر والتمييز، وكذلك معاني الانتقاء والاختيار والحكم وهي تتصل في النهاية بالاستعمال المجازي للنقد للأمر الإبداعية كالأدب والفن).²

2— **وظيفة:** (إن النقد سواء من الناحية الاشتقاقية أو الفكرية إنما يعني الحكم أو إصدار الحكم على عمل فني أو أدبي، وفهم الحكم هو الشرط الأول لقيام نظرية تدور حول طبيعة النقد، ولكلمة الحكم بعض الدلالات القانونية والتشريعية ووفقاً لهذه الدلالة فإن الناقد هو ذلك الرجل الذي يصدر حكماً جازماً يتصف بالسلطة وبالصبغة الأمرة وهنا لا يعد النقد نشاطاً تكون مهمته تفسير مضمون العمل الفني من حيث صورته ومادته بل هو يُعد عملية تبرئة أو إدانة بالاستناد إلى المحاسن والعيوب التي ينطوي عليها العمل الفني).³

3— **الناقد:** الناقد هو شخص مُلمّ بالجوانب النقدية وعلم الجمال وتاريخ الحضارات القديمة والحديثة، وأن يكون مُلمّاً بعلم الفلسفة، وأن يكون له علاقة بالفن ممارسة وليس بالنقد فقط مع بقية الحلقات الأخرى للتعرف على الفنانين من خلال لغاتهم الإبداعية .

4— **دور الناقد:** (يُحدد الناقد الأسلوب الفني المتبع للتعبير عن عنصر جديد في عالم الجمال ودور الناقد في هذا المجال تصنيفي، يربط فيه بين المدارس والتيارات ويحدد

المصادر والأصول ويُعين كل اتجاه ويقارنه بالواقع أو بالقواعد الكلاسيكية أو بالفلسفات الشائعة، والدور الثاني الذي يقوم به الناقد هو دور تاريخي⁴.

والنقد بتعريفه اللغوي هو تفحص الشيء والحكم عليه وتمييز الجيد من الرديء ويعرف بأنه التعبير المكتوب أو المنطوق من متخصص يسمى (الناقد) بالكشف عن سلبيات وإيجابيات أفعال أو إبداعات أو قرارات يتخذها الإنسان أو مجموعة من البشر في مختلف المجالات من وجهة نظر الناقد .

كما يذكر مكامن القوة ومكامن الضعف فيها، وقد يقترح أحيانا الحلول المناسبة لها، وقد يكون النقد في مجال الأدب، والسياسة، والسينما، والمسرح وفي مختلف المجالات الأخرى . وقد يكون النقد مكتوباً في وثائق داخلية أو منشوراً في الصحف أو ضمن خطب سياسية أو لقاءات تلفزيونية وإذاعية النقد أيضاً، النظر في قيمة الشيء، والتقييم، فالنقد المعرفي مثلاً هو النظر في إمكانية وشروط المعرفة وحدودها، وهو عموماً عدم قبول القول أو الرأي قبل التمهين، وينقسم إلى نوعين هامين :

– " نقد خارجي " وهو النظر في أصل الرأي .

– " نقد داخلي " وهو النظر في الرأي ذاته من حيث التركيب والمحتوى.

5- دور النقد: (يرى إليوت: أن للنقد مهمة مزدوجة أحد طرفيها " توضيح الفن وتصحيح الذوق " وطرفها الثاني "إعادة الشاعر للحياة"، أما أدوات الناقد التي يُحقق بها هذه المهمة فهي المقارنة والتحليل وغاية النقد هي تحقيق نوع من التواصل المستمر بين فن الماضي وذوقه وفن الحاضر وذوقه .

ومن الأفكار المحورية الكاشفة في أسلوب إليوت النقدي نظريته عن " طبيعة لا شخصية في الفن "فهو يقول في أحد مقالاته" ليس الشعر إطلاقاً لسراح العاطفة وإنما هو هرب من العاطفة وليس هو تعبيراً عن الذات بل هو هروباً منها : فعلى الشاعر أن يجتهد

ليحول آلامه الذاتية الخاصة إلى شيء خصب غريب، شيء كوني عام لا ذاتي. أما الروائي فعليه أن يقول بـ "عملية سكب الذات أو بمعنى أعمق سكب حياة الأديب في الشخصية التي يخلقها".

إن ما يريده إليوت هو أن يركز الناقد كل اهتمامه النقدي حول الإنتاج الفني بغض النظر عن شخصية الفنان وميوله ونزواته . فالذي يهتم الناقد المقام الأول هو اللوحة الفنية الرائعة أو القطعة الموسيقية المشجبة أو القصيدة الموحية المعبرة... ألخ، فالعمل الفني وفق هذا التصور الكامل متكامل في ذاته وله كيانه ووجوده الخاص بقدر ما له من موضوعية⁵ .

مدارس النقد:

أ- المدرسة الكلاسيكية الجديدة: (يمثل "إليوت" أحد أهم النقاد المعاصرين الذين تميزوا بالحفاظ على التقاليد، ولهذا بدأت حياته الأدبية بحملة شعواء على النقد الرومانسي لأنه متأثر في هذا بالموجة التي بدأها الناقد الإنجليزي : ت.أ. هيوم T.E.Hulme المتوفى عام 1917م، فهو الذي وجه الأنظار إلى بزوغ فجر الكلاسيكية في النقد الأوربي الحديث.

وفي أواخر القرن " التاسع عشر " عندما ظهرت الحركة الانطباعية في النقد والفن كصدى للنزعة الرومانسية حيث كرس إليوت كل جهوده لهدمها ونقدها، فقد رأى أن مثل هذا النقد يقوم على العاطفة الفردية والانطباعات الشخصية، وهي غالبا ما تقتصر إلى المنهج العلمي لأنها تخفي في ثناياها ميولا وأهواء ذاتية لا تمت للإنتاج الفني بأدنى صلة (من الصلات).

ب - المدرسة السيكولوجية: (إذا كانت نظرية " إليوت " قد أسقطت من حسابها خالق العمل الفني وهو "الفنان" واكتفت بالتركيز على العمل ذاته فإن المدرسة السيكولوجية

حاولت أن تعيد الاعتبار للمبدع من خلال تسليط الضوء على العالم الداخلي للفنان ولكن مهمة الاتجاه السيكولوجي في النقد لم تقف عند تلك الحدود الضيقة الخاصة بالعلاقة بين الأثر الفني وصاحبه وإنما تجاوزت ذلك لما سنرى من خلال تلك السطور.

وفي العصر الحديث حاول " كولردج " أن يطرح تصورا متكاملًا حول سيكولوجية المبدع ودور الخيال في العملية الإبداعية وأشار إلى مفهوم: "اللاشعور"⁶.

ج - المدرسة الشكلية: (في روسيا ظهرت حركة الشكليين الروس وأتباعهم من التشيك والبولنديين، ونظرا لأهمية هذه الحركة الأخيرة في بلورة وتحديد ما يسمى بالمنهج الشكلي، لذلك فإن علينا أن نتوقف عندها قليلاً.

في العام 1915م قامت مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة موسكو بتكوين حلقة " حلقة موسكو اللغوية " وكان الهدف من هذه الحلقة هو استثمار الحركة الطليعية الأدبية والقضاء على المناهج القديمة في الدراسات اللغوية والنقدية في نفس الوقت، وبعد تكوين الحلقة بعام واحد انظم إليهم كوكبة أخرى من نقاد الأدب وعلماء اللغة وأسسوا جمعية دراسات اللغة الشعرية، وبذلك ولدت المدرسة الشكلية من هذين المركزين معا)⁷.

(الشكل الفني كما يعرفه (ماركيزوز): "هو مجموع السمات التالية " التناغم - الإيقاع - التضاد "والتي تجعل العمل الفني مكتفيا بذاته، وتجعل له بُنية ونظام خاصين به هو "الأسلوب" . وبفضل هذه السمات فإن العمل الفني يبذل النظام الذي يسود الواقع القائم، وهذا التبديل وهمي، لكنه وهم يمنح المضمون الممثل، معنى ووظيفة مختلفين للمعنى والوظيفة اللذين يسودان عالم الخطاب السائد .

ويؤكد ماركيزوز نفس الفكرة، فيقول: "إن الوظيفة النقدية للفن ومساهمته في النظام من أجل التحرر تقتصر على الشكل الجمالي، فالعمل الفني لا يكون أصيلاً أو حقيقياً بفضل

مضمونه (أي من خلال تمثيله الصحيح للظروف الاجتماعية) وليس بفضل شكله الخاص وإنما لان المضمون قد أصبح شكلاً).

وفي توضيح العلاقة بين الشكل والمضمون يلجأ ماركيز بشكل خاص إلى استعارة أحد مفاهيم التحليل النفسي الأساسية للتعبير عن هذه العلاقة وهو مفهوم التصعيد أو التسامي sublimation فهو يرى أن الشكل الجمالي يقوم بعملية تصعيد أو تسامي بمضمون الواقع المعطى يكون نتيجته تجاوز الواقع المباشر وتحطيم (الموضوعية المتشائمة في العلاقة الاجتماعية) وبذلك يستطيع الفن أن يفتح باباً جديداً للحرية هو بعث وإحياء الذاتية المتمردة، الذاتية التي تستطيع أن تقول " لا " في الواقع القائم⁸.

د - مدرسة الالتزام: (يرتبط مفهوم الالتزام في الفن بأحد اتجاهين متنافرين من اتجاهات الفكر الفلسفي :

— الأول الاتجاه هو الاتجاه الماركسي .

— الثاني هو الاتجاه الوجودي.

ولأن لكل اتجاه من هذه الاتجاهات منطلقاته وتطوراته الخاصة، لذلك فإن علينا أن نتناول كل اتجاه بمعزل عن الآخر⁹.

نشأة النقد وتاريخ نظرياته :

بدأ النقد حديثاً مع بداية القرن التاسع عشر، وهو يرتبط بعلم الجمال ويرتكز على أسس الحياة في المجتمعات سلبية أو إيجابية .

لوجود عمل فني ناضج يشترط أن يكون هناك ناقد يوضح الجوانب الإيجابية في العمل الفني، والفنان يعرف نجاح عمله من عيون المتلقين وقراءة الناقد .

في الثقافة الاغريقية كان المصطلح Criticism يعني "مقياس الحكم" وكانت قد وردت كلمة Kritikos في اليونانية، منذ القرن الرابع قبل الميلاد، بمعنى "الذي يصدر حكماً على الفن أو الأدب" وبعد ذلك ظهرت كلمة Critica في الإيطالية منذ عام 1595م، وانتشرت في فرنسا في أوائل القرن السابع عشر ومع تعاطف الاهتمام بالمسائل المتعلقة بالمشاعر والأحاسيس في مجال الفن انتشرت الروح النقدية ووصف الناقد بأنه الشخص الذي "يتمتع بذوق وفتنة" على اعتبار أن الفتنة تفسر القدرة على إصدار الأحكام، أما مهمة النقد فهي "التفحص".

وأتسع مفهوم النقد في القرن الثامن عشر فأفسح المجال له من أجل أن يعمل بالتعاون مع علم النفس فأصبحت كلمة "النقد" تشير إلى أي تعقيب Cammentary على أداء شيء ما على نحو جيد أو رديء وفي الحقيقة أن الفن يتضمن ما يجعله ملائماً لتشكيل أهداف تستدعي التقييم Evaluation، إذ أنه يوفر الإشباع الجمالي، ويكشف عن قيمته الأساسية من خلال عملية التذوق، وغالباً ما يبحث المتذوق عن السبب الذي يجعل العمل الفني جديراً بالمشاهدة أو بالاستمتاع، أو يبحث عن ذلك الشيء المتميز في العمل الفني الذي يتطلب الأمر تعيينه، ذلك الشيء الذي قد نجح في تحقيقه أو فشله .

وكان " هردير Herder (1744 – 1803) " قد نبذ استخدام المقاييس الثابتة للأحكام، وفهم النقد على انه عملية تقمص عاطفي أو تمثل ذاتي، بل عملية تلقائية .

وينصح " ليبنيز Leibnitz (1646 – 1716) " بضرورة أن يندمج الناقد في روح العمل الفني عند تفسيره له، وأن ينظر إلى كل عمل فني على أنه جزء لا يتجزأ من الوسط الذي ينمو فيه، ولا يحتاج إلى أي نقد وبذلك تحولت دراسة الفن إلى نوع من الدراسات العلمية.

العلاقة بين فلسفة الفن والنقد الفني: (لعل التساؤل عن العلاقة بين فلسفة النقد التي تبدو ملحة طالما أننا نحاول أن نضع حدودا واضحة وبدون مختلف التخصصات التي تعالج الفعاليات الإنسانية المختلفة)¹⁰.

طالما نحن بهذا الصدد ونحن نحاول أن نحدد نقاط واضحة بين جملة من التخصصات التي تنتظر في فعاليات إنسانية مختلفة، فهل هناك تباعدا بينهما – أم هناك تداخلا بينهما. (يرى " مجاهد عبد المنعم مجاهد " أنه يمكننا أن نتصور الفرق بينهما بسهولة إذا ما تصورنا أن أي عمل فني هو عبارة عن ثلاثة دوائر متداخلة:

– الدائرة الأولى: الأكبر تضم العناصر أو الشروط التي تجعل العمل الفني عملا فنيا وليس صنعة من الصنائع. وهذه الدائرة من نصيب فيلسوف الفن لأنه معني بالمسائل العامة والأسس المشتركة بين جميع الأعمال الفنية، أو الذي يجعل من الفن فنا وليس شيئا آخر.

– الدائرة الثانية: الأوسط وتضم جملة من العناصر التي تجعل هذا العمل الفني بالذات "شعرا أو رسما أو نحتا أو رقصا... الخ" كعناصر الكلمة أو اللون أو الإيقاع. وهذه الدائرة الوسطى فهي أرض مشتركة بين فيلسوف الفن والناقد الفني فالأول يستطيع أن يستخلص الأصول العامة التي تميز النوع الأدبي أو الفني. والناقد معني بإصدار الحكم على العمل الفني، على حين أن فيلسوف الفن مهتم بما وراء هذا الحكم من خصائص موجودة في العمل الفني، والناقد يقف عند حدود ما هو جزئي بينما يسعى الفيلسوف إلى تجاوز الجزئي إلى ما هو عام وكلي.

– الدائرة الثالثة: الأصغر وتضم العناصر الأسلوبية والخصائص المميزة الأديب أو الفنان، وهذه الدائرة الأخيرة هي مجال تخصص الناقد الذي يعني بالأسلوب الخاص بالفنان ومدى قدرته على استخدامه ومدى أصالته)¹¹.

الإطار التحليلي:

– العوامل المؤثرة في الفنان التشكيلي الحديث ومنها "الذاتية" و "العامة" و"وفرة الإنتاج":
 أولاً - الذاتية: هي تتمثل في الموهبة والرغبة بالممارسة الفنية والجوانب الحسية وتوصيل الرأي وعرض الإنتاج لتقافة الناس وتغيير المفاهيم العامة بين الناس ثقافياً وذوقياً ومواكبة لتطور الحياة والإنسان والمساهمة في تطوير مختلف العلوم العامة.
 ثانياً - العامة: تمثل الجوانب الوطنية والقومية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية أو الفلسفية والعلمية والثقافة العامة للمجتمع.

ثالثاً- وفرة الإنتاج: بعد انتهاء اندحار زمن الاستعمار العسكري للعرب صارت الساسة الحديثة عند الغرب هي الاستعمار الثقافي والعقلي والاقتصادي، لكن ومع تزايد الوعي الديني والثقافي والاجتماعي صارت الرؤية بين الناس ومنهم الفنانون تتغير نحو التحرر من تلك القيود الراحية من الغرب، فأصبح للفنانين رؤيتهم الفنية المشبعة بالوطنية والدينية وثقافة المجتمع فحولوا أنظارهم للتراث وبأسلوبهم الفني ليجسدوا حكايات الناس وعاداتهم وتقاليدهم وطموحاتهم، ومع مرور الزمن طوروا من لغتهم التشكيلية وأصبح أغلب الفنانين وخاصة الشباب منهم إن لم يبدعوا بالبحث عن التجديد من خلال مواهبهم كفنانين عصاميين أو من خلال ما تأثروا به من خلال دراساتهم العلمية الأكاديمية، ومن هنا صار الزحام في وفرة المنتجات التشكيلية خاصة فن اللوحات بتنوعها وأساليبها وتقنياتها وانتشرت المحلات المتخصصة للبيع والشراء وقاعات المعارض الخاصة والعامة والساحة العامة بين ووسط الناس وأزداد تعلق الناس بقضية بالعمل الفني وازداد الإنتاج والاهتمام بالعمل الفني التشكيلي.

القيم الفنية الحديثة في اللوحة العربية: وتتغير مفهوم العملية الإبداعية في التشكيل خاصة في اللوحة صار لزاماً عليه أن يؤسس للوحة محلية عربية تحمل الدلالات والقيم

الإنسانية من حسٍ ذوقي وأخلاقي وانتماء وطني وديني، وشعور بالمسئولية تجاه الله والوطن والإنسان ومراعاة للتاريخ والعادات والتقاليد الصحيحة وبناء لوحة تحمل دلالات تحمل هموم الأمة ومعاناتها وتراثها وقيمها الجمالية الراقية بعيدا عن التأثير الزائف والمكبل بقيود التبعية مع الاستفادة من الجوانب المعرفية العامة للوصول إلى آخر ما وصل إليه الآخرون كتقنيات ومواد حديثة.

أولاً - تونس:

العينة الأولى: الفنان التشكيلي التونسي / خليفة البرادعي - صفاقس. (انظر الشكل 1).



ش (1)





أولاً - السيرة الذاتية:

فنان تشكيلي عصامي التكوين .

* عضو محترف باتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين .

* أمين مال المكتب المحلي للاتحاد بصفاقس .

* عضو بجمعية التربية الفنية بصفاقس

* عديد المعارض الشخصية والمعارض الجماعية في : تونس و خارجها مثل : فرنسا -

ليبيا اليمن - مصر - المغرب - جمهورية البوسنة - تركيا .

* عديد المشاركات بملتقيات فنية مثل :

1- تونس :- مهرجانات / المحرس - دوز - المهديّة - الشابّة - سوسة .

2- المغرب :- ملتقى قصبة الفنان بقلعة مكونة .

3- مشاركة في مصر .

* التقنية المستعملة هي تقنية مزدوجة تعتمد على المواد الكيميائية والمستحضرات الصيدلانية التي تكون في حد ذاتها المكون الرئيسي للوحة لتعطينا ألوانا مختلفة من جهة وأشكالا متعددة داخل اللوحة.

ثانياً - التحليل:

الفنان خليفة البرادعي فنان عصامي التكوين أحب الرسم منذ طفولته، وهو طبيب صيدلاني، رجل جاد ومنظم في حياته وطيب جدا استطاع أن يجمع بين عمله كصيدلي وبين موهبته كفنان تشكيلي، ولم يحرم نفسه من المشاركات المحلية داخل تونس وخارجها.

فنانا يستكشف أسرار جمال اللون وحده مجدد في تقنيته حيث أدخل مواد كيميائية صيدلانية وأخرى مواد معروفة فجعل للوحاته ملمس يختلف فيه من لوحة لأخرى إلا ما قل حيث تتشابه السطوح عنده في ملامسها .

التجريد هو أسلوبه المنوع مثل تجريد لوني وتجريد تعبيرى مابين الحروف والوجوه وكأنها أفنعة، لكن فوق كل ذلك تتحسس في ألوانه المتوهجة كونا غريب تحس فيه حرائق ورياح أو عواصف ويضل ملمس السطح الأبرز جمالاً وتمعنة تدفعك لوحاته لتكرار رؤيتها والفسحة في روايتها.

مدن وصحارى وسهول وشواطئ وأطياف لمخلوقات تراها في لوحاته من خلال الألياف والكتل فلا تمل منها عينك فتبحر فيها بأحاسيسك وكل قواك .

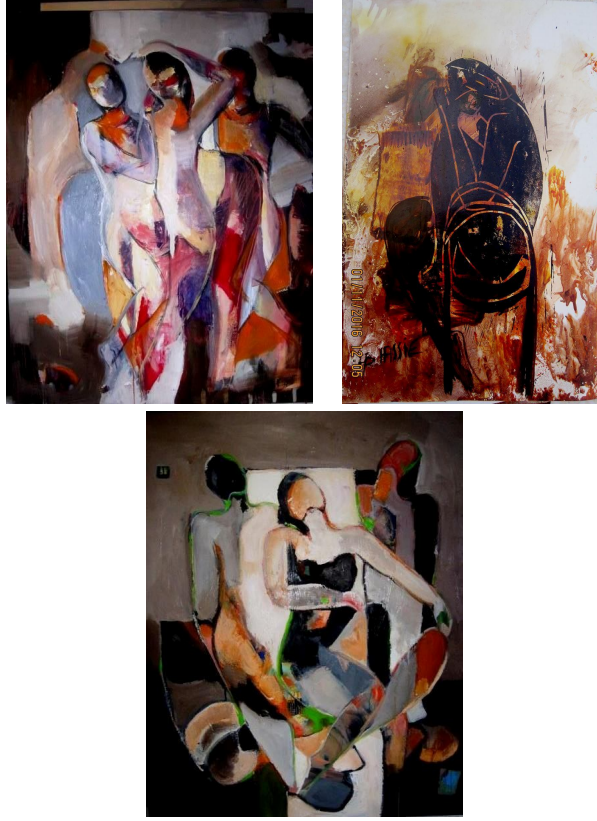
هذا هو سحر الجمال في لوحات الفنان التونسي خليفة البرادعي الذي عرفته أول ما عرفته في ملتقى المحرس الدولي للفنون التشكيلية كيف يعيش فيعمق لوحاته لتعانق تلك

السطوح لغة تفكيره وذوقه لما يريد التعبير عنه بترجمة لونية راقية وبإضافاته التقنية خاصة الكيمائية، هكذا هو الفن ابتكاراً وتطويراً واستكشافاً يميز صاحبه عن غيره.¹²
العينة الثانية: - الفنانة التشكيلية التونسية / أمال بن حسين . (انظر الشكل (2)).



ش (2)





أولاً - السيرة الذاتية:

— درست بالمركز الثقافي الايطالي على أيدي أساتذة ايطاليين عام 1983

* المعارض الشخصية:

— معرض بدار الثقافة ابن رشيق عام 1986

— معرض بدار الثقافة ابن خلدون 1988

— معرض بدار الثقافة بجربة عام 88

— معرض بغالوري بلال بالمنزه تونس 1989

- معرض بدار الثقافة المنزه السادس عام 1993
- معرض بمقهى الجورنال قمرت عام 2001
- معرض بغاليري الالورنيام بقرطاج عام 2007
- معرض 2008 بغاليري التياترو ببلفيدار
- معرض بغاليري لمسات بالقاهرة عام 2015
- * المشاركات :
- من 1983 إلى اليوم بأهم التظاهرات الفنية بتونس وخارج تونس
- مشاركة بمهرجان شرم الشيخ عام 2010
- مشاركة بصالون الخريف بباريس 2010
- مشاركة بمهرجان فأس 2014
- تكريمها في بينالي القاهرة من طرف صالون الخريف بباريس عام 2014
- * التقنيات التي استعملتها في الرسم :- المائي - الحفر - الاكريليك - الزيتي.
- تحصلت عام 1989 على جائزة عالمية من ايطالية للفنانين الشبان في الرسم المائي

snaidi chi

ثانيا - التحليل:

شخصية أخرى في الفن تؤسس في الفن خطأ من لون وردي حالم في بستان التشكيل وتوثق لنفسها مكانا رائعاً وها هي تتحدى تيارات بعضا ممن تجدهم منادين بأن الفن هو أكاديمي وما دونه لاشيء متناسين أن عمالقة الفن الحديث والحداثة أغلبهم عصامي لتكوين ولم يدرسوا الفن وأنهم هم وحدهم كل شيء .

صارعت وتصارع ومازالت تبذل الجهد في سبيل محاولتها إثبات وجودها وغيرها من التشكيليين الذين لم تتاح لهم فرص التعليم الأكاديمي وإنما وجدا كفنانيين من خلال

رؤيتهم وحبهم للفن ومداومتهم حتى أضحى غالبيتهم متميزون في كثير من كل بلاد العالم.

الفنانة التشكيلية التونسية ببديها وإحساسها وحبها للون وحبه لأن تفعل شيء يترك أثراً كبصمة تعيش منها بين الناس فهي قد تعرفت على تجارب كثير من أعمدة وعظمائه. رسمت لوحاتها بعشق المحب لحيوبه فعاشت للفن وهي تهبه نفسها وتعيش منه دون ما وظيفة .

رسمت لوحات حديثة تشعرك بأنك أمام أحد كبار التكعيبين خاصة أمثال بابلو بيكاسو في إحدى لوحاته الشهيرة " نساء إفيون " .

. " لوحاتها جمعة عناصر متطلبات اللوحة ككل (خط – لون – ملمس – تكوين – شكل – تقنية) وكانت الحركة داخل كل لوحة تستشفها من تلك الشخصيات التكعيبية أو الخدوش التي تُحدد أو تبيّن تفاصيل كل عنصر من عناصر اللوحات فكان التكوين أهلاً بالزخم الحركي من خلال الخط في التكوين في حركة دعوية وكأنها تتشد أناشيد الحماسة لتُحرك حواس الناس نحو أوطانهم أو خصوصياتهم.

تنزين لوحات الفنانة أمال بن حسين في حُلّ لونية زاخرة بالبذخ اللوني بشكل ملفت يضيف قيمة التعبير والجمال الشكلي للوصول إلى المضمون الذي يُحرك كل لوحة . وفي أعمال الفنانة أمال نلاحظ قوة مميزة في البناء ونضج التقنية والخبرة القوية في الدلالات التعبيرية والمفهومية لها .

التضاد اللوني في لوحاتها يُحسننا بخبرة لا تقل شأنًا عن المنادين بالفن الأكاديمي الذي لا يزيد أصحابه على أنهم تعلموا الفن طلابًا عن غيرهم في قاعات وورش الدروس ومعلومات مؤدجه في نظريات وكتب، بينما العصاميين تلقوا خبرتهم بالتعلم الذاتي أو بالمشاهدة والمحاكاة أو من خلال توجيهات ممن يحتكون بهم كمتذوقين أو فنانين .

الفنانة التشكيلية التونسية أمال بن حسين أثبتت صدق موقفها ضد التيار الذي لا يرى سوى الفن الأكاديمي ويهمش ما دونه، حيث نتبين وبعيوننا جمال الموضوعات وجمال الألوان وجاذبيتها¹³.

العينة الثالثة: الفنانة التشكيلية التونسية / دليلة بن مريم – مواليد 1981م. انظر الشكل (3)



ش (4)



السيرة الذاتية:

- أبصرت دليلاً الجمال منذ طفولتها فعشقتَه وترجمته برسومها .
- عاصمة التكوين حيث كانت تبحث بمفردها في الكتب والمجلات الخاصة بالفن وعن التقنيات الأساسية للمادة والحامل بمختلف أنواعها.
- كانت انطلاقها الفنية بإقامة أول معرض شخصي سنة 2009م
- ارتطمت ريشتها صدفة بما أنها ليست أكاديمية التكوين ببعض المدارس والتقنيات التشكيلية، إلى أن رست أخيراً في عالم المدرسة السريالية.
- في السنوات الأخيرة دخلت عالم التصوير الفوتوغرافي حيث كانت لها العديد من المشاركات المحلية والدولية .
- هي عضو بالرابطة التونسية للفنانين التشكيليين .
- عضو بجمعية رهان لفنون الركح .
- عضو في جمعية مراجعات .
- عضو خبيرة في اللجنة الفنية للاتحاد الدولي للثقافة والفنون في كوريا الجنوبية .
- عضو في الجمعية التونسية للمصورين الفوتوغرافيين .
- اشتغلت لسنتين منشطة لنادي للفنون التشكيلية .
- اشتغلت منشطة متطوعة لنادي التصوير الفوتوغرافي قامت بتنظيم ثلاثة دورات للملتقى الدولي " ربيع الفنون " بمدينة مساكين .
- ستة معارض خاصة في الفن التشكيلي داخل البلاد التونسية .
- اثني عشر معرضاً جماعياً داخل البلاد التونسية .
- ستة معارض جماعية في تونس في مجال التصوير الفوتوغرافي .
- القيام بمعرض قياسي في الفن التشكيلي .
- أربعة معارض جماعية في الفن التشكيلي .

- معرض فردي في الفن التشكيلي في سلطنة عمان .
- أربعة معارض جماعية عربية وعالمية في مجال التصوير الفوتوغرافي .
- * التحليل: الفنانة التشكيلية دليلة فنانة من تونس عند إرسالها لصور لوحاتها للتحلي كانت لي مفاجأة مما جعلني أكرر رؤية اللوحات بشكل مميز .
- اللوحات جميلة جدا كأغلب لوحات الفنانين من قبل لكن اللوحات لدليلة بن مريم نموذج جميل في الفن كموضوعات وكأسلوب وتقنية، تشعر وأنت وجهها لوجه أنك أما تجربة سريرية واقعية على تجريد، تتفكك بينها لعالم الخيال وتضعك تفكر أكثر في كل لوحة وتقرأها بشكل منفرد وكأنك تنتقل من مدينة لمدينة ومن بلد لبلد حيث تجد روابط تجمع بينها ككل وتختلف في أخرى ليكون لكل منها نكهة ومذاق رغم أن الصانع واحد.
- لوحات دليلة بن مريم خيال يجمع الخيال العلمي بروح الواقعية مع تجريد للحالة يجعلك تتعامل معها بروح حدائوية ترتاح بينها نتاج تلك الحرية التي عاشتها الفنانة وهي تكون لوحاتها وهي تكسوها الخطوط والألوان بتناغمات تحسسك بفرح فيها ضل وضوء ولون وخط وتشريح وكما ذكرت في خيال فني علمي تجريدي راقى . فلوحاتها كتجربة لا تمل رؤيتها ولا حتى الكتابة عنها ومهما تكتب عنها تجد أنها مازالت تحتاج أكثر إلا أنها عند رؤيتها تشعر بالوصول لشواطئها ببسر أمان .
- فنانة في أول الطريق وهي تبتسم كعادتها بروح الفنانة الخالية من العُقد تعدنا بأن المشوار طويل والإبداع أكثر بعون الله والطموح اكبر¹⁴ .

ثانياً - المغرب: العينة الأولى :- الفنان التشكيلي المغربي / عبد الرحيم غزالي . انظر الشكل (4).



ش (5)





التخليل: استلهم الفنان غزالي لوحاته من موضوعات مختلفة منها الوجوه و عمارة الأقواس والأشخاص الكاملين في لوحات سريرية خيالية تذكرك بأولئك العظام من مؤسسي السريالية التي تعتبر من ابرز مدارس الفن الحديث.

المدرسة السريالية جاءت نتاجاً لتخطيط وجهه قد بُذل من الفنانين الدادائيين وكانت تقوم على العمل المنسق وتسعى إلى تحقيق ثورة متأججة في الفن نقيضاً للدائنية التي قامت على الفوضى . ولم تستند على طريق أو أسلوب معين لأنها تعتمد على الجانب النفسي والشعوري لذلك فهي ترفض المبدأ القديم القائل بأن الفن للفن في الوحدة الذهنية. و(تتمثل الأعمال الفنية السريالية في نوعين، فهي إما ذات أشكال واقعية ضمن موضوع

غير واقعي، وإما ذات أشكال تجريدية غير واقعية وبعيدة عن ضوابط العقل والمنطق، منسجمة فقط مع العقل الباطن والخيال)¹⁵.

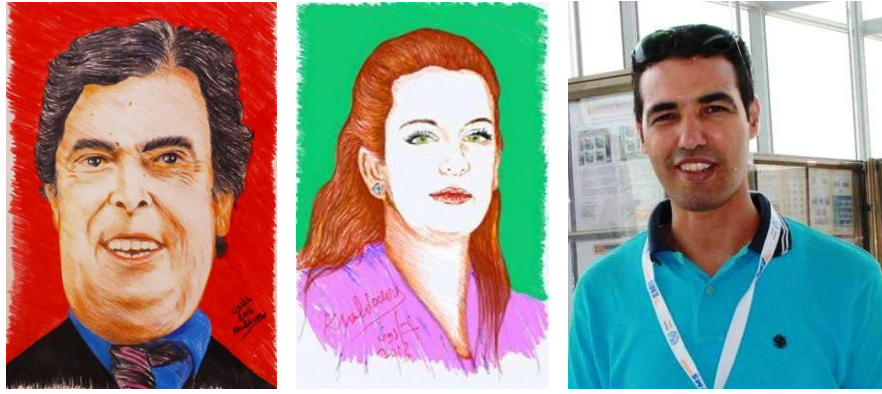
وجهة نظر "بيريتون A.Breton" في التصوير: (أن الموضوع الجمالي في السريالية في التصوير يكمن وراء المظهر مباشرة ويعتمد فيها الفنان على عناصر ايجابية وموضوعية تمكن من إدراكها خالصة بواسطة إدراك العين أو الإدراك البصري، التي هي أدق وأبرز الحواس في تقدير القيمة الجمالية التشكيلية التي يفترضها أو يتخيلها الرسام أو النحات حتى أن التعبير اللغوي الأدبي يستمد مادته من تركيب العبارات وتأليف المعاني مما تبصره العين من أشياء تنطبع صورها على صفحة الذهن الذي يقوم بدورة ترجمتها والتعبير عنها من خلال الكلمات والعبارات ومن ثم تتحدد وظيفة العين في القوة المتخيلة بشتى الرؤى والمشاهد التي يمكن للمصور أن يعيدها مرة ثانية إلى الوجود في مظهر يتضمن العناصر الأساسية)¹⁶.

هذه المدرسة أفرزت أجيالا أعطوا للسريالية كفن تميز بين بقية المدارس والأساليب حيث تعتمد الواقع مغمورا بالخيال والذي تشعر من خلاله بعوالم خفية في صور تراها فتعرف انتمائها وبتقنية رائعة مع تنوع بالموضوع من لوحة لأخرى تشعرك بمتعة عامة في جميع اللوحات.

اعتنى الفنان بدراسة العناصر وتفصيلها وحالات حراكها وطموحات، كما لونها بألوان تختلف من لوحة لأخرى وإنما مقصودا لنشعر نحن كمتلقين بجاذبية تجعلنا نستمتع بها ونعيش أجمل اللحظات معها.

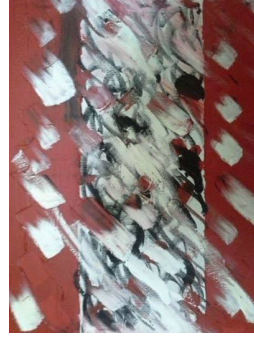
اللوحات التي رسمها عبد الرحيم رائعة وقد نفذها بحب كبير لها وأصبع عليها من نفسه الكثير¹⁷.

العينة الثانية: الفنان التشكيلي المغربي / بوشعيب خلدون – من مواليد 1970/01/01
سطات . انظر الشكل (5)



ش (6)





أولاً - السيرة الذاتية:

- فنان تشكيلي - ناقد تشكيلي - إعلامي - شاعر.

- حائز على جائزة لندن العالمية والتوشيح بميدالية ذهبية ودرع كأحسن فنان عربي وعالمي في الملتقى الدولي للفن بلندن .
- حائز على جائزة الإبداع الدولية بمهرجان شرم الشيخ الدولي للفنون التشكيلية 2012 م .
- رئيس السمبوزيوم الدولي للفن المعاصر بالمغرب .
- رئيس المركز العالمي للفنون التشكيلية فرع المغرب العربي .
- مدير ثقافي بالمركز المغربي البرازيلي مقره ببياباولو .
- تم اختياره من المغربي والعربي الوحيد للمشاركة في معارض طريق الفنانين في " سانت ريمي دي بروفانس " بفرنسا 2015 م — Route des Artistes de Saint Rémy de Provence .
- رئيس شرفي لنقابة الفنانين المبدعين المغاربة .
- رئيس السمبوزيوم الأول للفن المعاصر بمراكش 2015م
- مدير معرض للفن التشكيلي نظمته منظمة اليونسكو بشيراتون البيضاء 20015
- قام بمبادرة معرض في كتاب طور الانجاز .
- اختارت الفنانة العالمية " ميتسي سوانو " أعماله لتكون أنموذجاً للفن المغربي والعربي لتدرس في اليابان .
- مدير فني بمركز المديرين القطري ومديرا لتحرير مجلة المديرين .
- مدير فني في الأونكتاد — مؤتمر عالمي تابع للأمم المتحدة في الدوحة .
- مدير فني بمؤتمر البريد — مؤتمر عالمي أقيم في الدوحة .
- اختير كأحسن مصمم ومدير فني بدولة قطر من طرف كلية الصحافة والإعلام بقطر عن مجلة المديرين
- مدرسة الفنون التشكيلية الدار البيضاء
- المدرسة العليا للفنون الجميلة الدار البيضاء

- المعهد العالي للصحافة والإعلام بالدار البيضاء
- تدريب على النقش في جميع أنواع المعادن
- تدريب في فن الديكور
- مقابلات صحافية مع فنانيين وأدباء ونقاد مغاربة وأجانب
- له كتابات فنية ونقدية.
- أشرف على ورشة عمل للرسوم المتحركة للأطفال والبالغين
- عضو مؤسس لنادي القلم المغربي
- عضو شرفي في جمعية تكوين اللبناية
- أسس الرابطة العالمية للفنون التشكيلية مع الفنان التشكيلي العالمي عبد الحق أغازوت وفنانين آخرين.
- مدير موقع ارت بريس طور الانجاز موقع متخصص بالفنون
- مدير تحرير مجلة لالة عائشة الورقية.
- مدير تحرير ومؤسس لمجلة المغربية سياحة وسفر
- * المعارض الفردية:
- دار الشباب 1985 elgara
- بمقر عمالة إقليم سطات وسط المغرب 1987
- معرض برواق العين واليد استمر لسنة 1990 – مهرجان الدار البيضاء وسيدي عبد الرحمان 1995
- معهد سربانتس – الدار البيضاء 1996
- سرقسطة (اسبانيا) 2000
- معرض بكتارا – الدوحة، قطر 2013
- معرض بشيراتون الدار البيضاء 2015

* المعارض الجماعية:

- مركز شباب مدينة الكارة وسط المغرب – 1984 و 1985
- المجمع الثقافي – سطات 1986
- قصر الكلاوي – مراكش 1993
- معرض دائم رواق) العين واليد (الدار البيضاء 1993 وحتى عام: 1994
- الأسبوع الأول في سيدي رحال الثقافية) إقليم سطات 1994
- الملتقى الخامس لتاريخ فنون الشاوية بسطات 1994
- معرض نظمه الجمعية المغربية لتنمية الفنون التشكيلية 1994
- وزارة الثقافة والنقابة الوطنية للفنون التشكيلية 2008
- معرض سرقسطة إسبانيا 2001
- معرض بمدينة مارتيل المغربية شاهده حوالي ٣٠٠٠٠٠٠ ألف شخص 2011
- معرض بشرم الشيخ – جمهورية مصر العربية 2013
- معرض جماعي بمدينة تطوان 2014
- معرض بمدينة الجديدة = الوان دكالة 2015
- معرض بلندن = متوج كافضل فنان عربي عالميا 2015

* التكريم:

- مدينة سطات بمهرجان بصمات للفنون الجميلة تحت الرعاية الملكية السامية
- مدينة تطوان .. الفن في خدمة الوحدة الترابية
- مدينة الجديدة .. الفن والشعر
- مدينة الجديدة .. تكريم والمساهمة في ندوة دولية
- مدينة الدار البيضاء ،، تكريم في المعرض الوطني للكتاب

— مدينة الكارة المذاكرة .. تكريم في مسقط رأسي بحضور قلة من الدكاترة والكتاب والإعلاميين والفنانين.

* مجموعة خاصة:

الدار البيضاء — ولاية سطات — القصر الملكي — اسبانيا / سرقسطة — ملقة — إيطاليا — قطر — السعودية — الإمارات — ما ليزيا — الولايات المتحدة الأمريكية — فرنسا — الهند.

ثانياً - التحليل:

الفنان بوشعيب خلدون يُعتبر من أهم الفنانين التشكيليين بالمملكة المغربية رغم عمره الزمني إلا أنه ومن خلال مسيرته وتفانيه بالعمل الفني الجاد وكما تبينه سيرته الذاتية الحافلة بالتأسيس والإدارة والإشراف طموحا منه لخلق وتكوين شيء للتشكيل المغربي فخلال سنوات مرت من مسيرته الفنية هاهو يترك بصماته المميزة تنوعا في الفن التشكيلي وفي العطاء الجماعي بما حمل له تميزا مقروناً باسمه حتى فتح الطريق واسعاً أمام كثير من وسائل الإعلام لتفسح له مساحات واسعة خاصة خلال فوزه المتميز وما بعده وحتى اليوم خاصة لتتناوله بالكتابة والتعليق حيث أن الساحة العربية كانت تفتقر لحدث كهذا في المجال التشكيلي من زمن طويل .

ومن خلال عطائه المتواصل والدعوى في الرسم وبتقنيات مختلفة مع تنوع لوحاته ما بين اللوحة التجريدية واللوحة الحروفية والبورتريه "الصورة النصفية" وبشكل مميز فكانت لوحاته التجريدية حيث أعطى مساحات وألوان ودلالات تعبيرية من النوع الفني السهل الممتع حيث استطاع أن يلعب لعبته الفنية وكما يراها معتمداً على البساطة للوصول لمضمونه باللوحة ليمنح للشكل جمالا يتكامل مع المضمون الكامن بعمق اللوحة من جهة من خلال ألون متناغمة وجميلة خالية من كل تعقيد تثبت وعيه أو خبرته بتقنيات الألوان، ومن جهة أخرى نجده في لوحاته الحروفية يعبر بالخط العربي المقروء بشكل جميل

مكوناً علاقات جمالية تُعبر عن علاقات مفهومية جعل من خلالها سمواً للحرف العربي وأهميته في اللوحة الحروفية العربية من منظوره هو الفنان بوشعيب خلدون وبشكل بسيط وجميل خالي من العقد المتماهية في طقوس الحدائث الفنية المعاصرة مما نتج عن مهارته التقنية والفنية وتذوقه الفني الجميل أن يفوز بالجائزة العالمية في الملتقى الدولي للفن التشكيلي بمدينة لندن الانجليزية وأن يتوج بالميدالية الذهبية وبدرع كأحسن فنان عربي وعالمي في هذه المسابقة السنوية .

كما تعامل مع الحروفية بشكل إيحائي جميل وهو تقديم لوحات خطوطها وألوانها تعطيك الإحساس بأنها خطوط ملونة تلقائية تراها العين حرفاً تتعاقب من تكوينات غاية بالجمال وروعة في الإيقاع وباللون هادئة وبسيطة غاية في نجاح التعبير وإيصال للمعنى الكامن بذات الفنان .

رسم الوجوه لشخصيات وأسماء معروفة كموديل معتمداً الخط في أشكالٍ أبيض وأسود وقد أحاطها بهالة من لون واحد كخلفية ليجعل العين لدى القارئ لا تسرق من مركز وجودها لتتبين أكثر تلك الشخصيات وأهمية وجودها فكانت موديلاته أو شخصه المتميزين من أعلام الفن والسياسة .

نتبين من الوجوه القدرة الهائلة في التعبير حيث جاءت الوجوه جامعة لخبرة عظيمة من جمال الشكل والتعبير والمضمون والمحتوى الطبيعي لأصحابها وأهميتهم .

الفنان بوشعيب رساماً وكاتباً ومنشطاً لتظاهرات فنية وثقافية، ومحاوراً ممتازاً، ذو شخصية راقية محترمة يعتمد مخزونه الفكري والفني والثقافي عند حوارك معه لتجد نفسك أمام شخصية تُعطي وأنت تسمع لها ولا تمل منها وتجد أن مستقبله مازال أعظم .

فنان يعرض لوحاته رغم معاناته الخاصة ومسئوليته التي يتحملها والتي نجدها في ألوانه وتلك المساحات التجريدية الحرة معتمداً الخط العربي كزخرفة تستنطق المفهوم عبر الألوان التي يحبها فكانت عنواناً لمساحاته رغم بساطة وحداتها، إلا أنها تمتلئ جمالاً لونيًا

صريحا في إيقاعات موسيقية تتردد بين ألوانه من أحمر وأبيض وأزرق وأصفر وأسود، ليجعل سطوحه سهلة الدخول إليها وللغوص في أعماقها والاستمتاع ببساطة تلوينها، الأمر الذي جعله ينجح في أغلب لوحاته والتي يعتبر أغلبها رائعا وقد وفق فيها من خلال علاقات التجاور في كل لوحة بتناغم سهل للقراءة مع فرص سهلة للاستمتاع باللون وقيمتها الجمالية المؤدية للمضمون في اللوحة أو في مجموع اللوحات.

تعامل بوشعيب كفنان بجدية مع أعماله وفي بساطة وسهولة للوصول لمضمون لوحته بدون إفراغها من المعنى أو القيمة أو المحتوى أو إغداقها بالحشو المتقل والمحير للمتلقي بل أعطائها قيمةً جمالية ساعدت على نجاحه في الوصول لمبتغاه وطموحه لتصل اللوحة للناس عند التعامل معها وقراءتها.

ها هو يتفوقه وتميزه على شباب زمانه ومن أسلوبه أو منهجه داخل عمله الفني ما جعل اسمه يُرشح لإدارة ورئاسة الكثير من المؤسسات الفنية والثقافية مغربيا وعربيا وعالمياً.

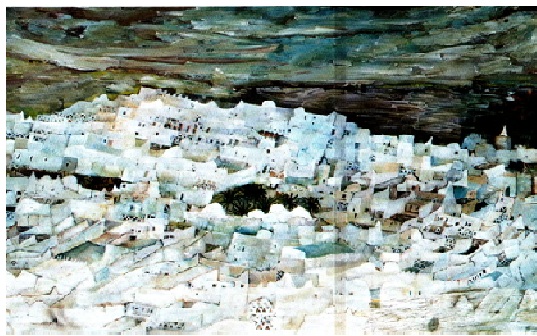
استحق بوشعيب ما وصل إليه حتى أصبح فخراً لبلاده وللمغرب العربي والعرب كافة وفخراً لكل الفنانين التشكيليين العرب¹⁸.

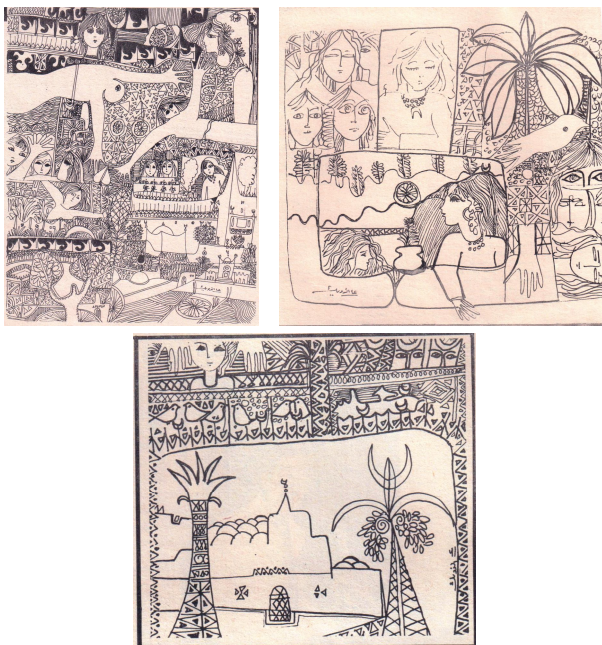
ليبيا :

أولاً - العينة الأولى: الفنان التشكيلي الليبي علي أحمد الزويك - الزاوية. انظر الشكل(6).



ش (6)





السيرة الذاتية:

المعارض الشخصية:

- معرض شخصي في قاعة جردانس ببلجيكا 1985.
- معرض شخصي في قاعة دار الفنون بطرابلس " شجون القرية بكات المدينة " 1998.
- معرض شخصي " مائيات " في متحف الفن المصري الحديث " الأوبرا " مصر بدعوة من مدير المتحف " الفنان ثروت البحر 1998 .
- معرض شخصي بقاعة الصحافة بمنظمة " الأوبك " في فيينا / النمسا 2000.
- معرض شخصي بقاعة 5 + 5 لوحة وكتاب بالقاهرة، بدعوة من فنان المائيات " عدلي رزق لله " 2004 .
- معرض فردي مع فنانيين سويسريين في anton meier جنيف، مرفق كتلوج 2007.

المعارض الجماعية:

- مشاركة في معرض متنقل بين خمسة دول مغربية تحت اسم " مقامات من الرسم المغربي " " مرفق بكتاب " 1991.
- مشاركة في معرض الفن المعاصر للدول الاسلامية وللدول المتأثرة بالإسلام في معهد بحوث الفنون في مدينة " هان موندن / المانيا " " مرفق بكتاب " 1995.
- مشاركة في معرض " الفن التشكيلي العربي " في " بيروت عاصمة الثقافة العربية " مع الفنان " علي عمار العباني 1999.
- معرض بدعوة من معهد العالم العربي بباريس " مرفق بكتاب " 2001.
- معرض جماعي إيطالي ليبي في متحف السرايا الحمراء بطرابلس " مرفق بكتالوج " 2002.
- معرض أيام ثقافية (إشراقات ليبية) بأنقرة وأستمبول، بتركيا، بالاشتراك مع الفنان " علي عمار العباني، والفنان علي المنتصر.
- معرض الفن التشكيلي الليبي المعاصر في قاعة الثقافة المغربية بن خلدون بتونس العاصمة 2002.
- مشاركة في معرض " ضفاف " ليبي فرنسي، وبحضور الناقد (أسعد عرابي)، مرفق بكتالوج 2005.
- معرض ثنائي مع الفنان (علي عمار العباني) (sechzi c بالنمسا، مقاطعة فورال بيرغ 2006 .
- بينالي القاهرة الدولي العاشر للفنون التشكيلية – ضيف شرف بدعوة من قطاع الفنون التشكيلية، من طرف احمد فؤاد سليم 2006 .
- معرض بالسوق الدولي الفنون القرن 20 / 21 بمدينة زيورخ في سويسرا 2008.
- الفنان الزويك عبر كفاحه الفني التشكيلي فتح الطريق له للفوز بجوائز مهمة هي :

- 1- الجائزة التقديرية من إدارة الثقافة - طرابلس. 1973.
- 2- الجائزة التقديرية من معرض السننتين العربي بالكويت. 1974.
- 3- جائزة الرسم المائي بمدينة أنتويربن في بلجيكا 1981.

ثانياً - التحليل:

الفنان علي الزويك قامة فنية عربية وليبية متميزة بدأ موهوباً جاداً مُحبباً للسم واللون حتى كرس حياته كلها للرسم.

رسم في عدة مراحل فنية مختلفة مرَّ بها وأشبعها عطاءً من روحه وجهده وتفكيره الكثير. رجل عاش محملاً بهموم الفن منذُ بدايته وحتى الآن، جل يحمل في قلبه أحر رجل لا يتنازل عن موقفه، له ثقافته المُشكَّلة من خلال قراءته لثقافات وأدبيات كثيرة، ويحمل في جعبته أكثر من خمسة لغات قراءة وكتابة فتحت أمامه السبيل للبحث في فن الرسم والإطلاع في الكتب فتكون رجلاً مثقفاً بصريا ونظريا بعين فنان واعي جداً. رسم لعدة صحف محلية في السبعينيات من القرن العشرين من أهمها الأسبوع الثقافي وكانت سودا خطية بمهارة قوية من فنان محترف، كلها في مدن وعمائر ومآذن وقباب ونخيل وحمام ووجوه، كل منها لوحة ولا أجمل .

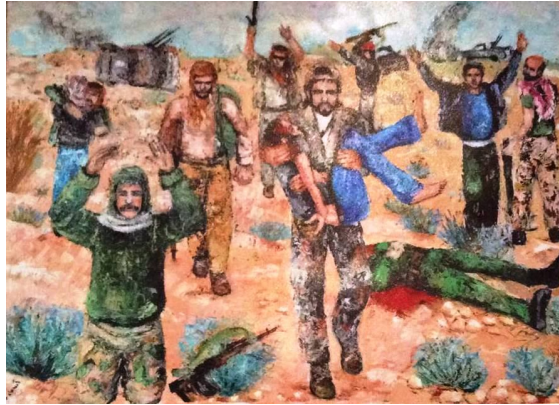
رسم لوحات أخرى ملونة أخذها بلغته في وحدات من التراث الجميل بروية فنان حقيقي واعي بسير قلمه وفرشاة ألوانه.

رسومه الأخيرة ولدت في زمن الترحال بين مدن وبلاد كثيرة إما مشاركاً في معارض أو عارضاً لوحده أو متتبعاً لقضية التشكيل أو باحثاً عن علاج .

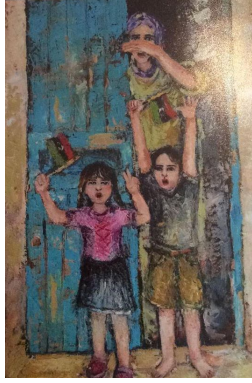
رسومه تعبر عن حالات نفسية أسماها " بكات زويكية " أعمال مائة بشكل هرموني جميل صدرت في كتاب مائيات "علي الزويك / فيوض السرد - فن الخلية " - الرسوم تقرأ على أنها حالة نفسية وهي رسوم مائة تشكيلية غريبة عن المعتاد والمألوف عليها عيون الناس . ولعل من أجمل وأبرز أعماله لوحته " القرية البيضاء " والتي صارت لوحة ليبية

مميزة سيذكرها التاريخ دائما، وكذلك لوحته " الراعي " وهي من لوحاته المميزة، وغيرها الكثير¹⁹.

ثانياً - العينة الثانية: الفنانة التشكيلية الليبية - أسماء محمد أسويسي - درنة انظر (7)



ش (7)



* أولا - السيرة الذاتية.

الموهل العلمي :

— بكالوريوس فنون و عمارة من جامعة عمر المختار درنة 1996-1997 بتقدير

عام جيد (74.32%).

الخبرات العلمية :

— معيده بالكلية .

— تجيد كافة برامج الحاسب الآلي .

— العمل ضمن اللجنة الفرعية لأقسام الفنون (نحت -تصميم - مطبوعات - تصوير -

خزف

– التربية الفنية – التصميمات الزخرفية – الاتجاه العام (2011 / 2012 – 2013 / 2014 .

المعارض الفنية:

- معرض الجامعات الليبية 2007 .
- مشاركة مع حرائر ليبيا 2011.
- معرض بانوراما في مدينة الزاوية 2011.
- معرض الصحابة في درنة 2012.
- معرض جمعية شعلة العاصمة
- معرض فنون تشكيله الأول لثورة 17 فبراير في بنغازي.
- ملتقى مؤتمر النخب الوطنية بينغازي .
- ورشة عمل إلى جانب معرض تشكلي.
- تحصلت على الترتيب الأول في طرابلس في الرسم على الجدار بمشاركه شعله العاصمة.
- ورشة عمل في مدينة طبرق للعمل الدولية للمستثمرين بطبرق بتاريخ 20 / 2 / 2017م.

ثانيا - التحليل:

الفنانة الليبية الشابة ابنة مدينة درنة " أسماء سويسي " مُحبةً للرسم واللون منذُ طفولتها وكانت تلعب بالألوان والأقلام حتى تكونت مع الزمن لتجد نفسها ومن حبها للرسم وعشقها للون في كلية الفنون تعانق الفن مباشرة في الفنون والعمارة، ورغم ذلك فقد شدها فن اللوحة وأنجزت فيه لوحات وشاركت في عدة معارض محلية، وقدمت لوحات تلامس الواقع كالطبيعة الصامتة والرؤية الفنية وشهداء الأرض المحتلة فلسطين وشوشة البنات وبعض الوجوه .

رسمت " أسماء " لوحاتها بحب تام وبلون تعبيرى انطباعي واقعي سلس وجميل، كما ترسم من ما تراه عيناها وكما تحس به هي.

تغمر لوحاتها إيقاعات فرشاتها وفي أجواء حميمية وبألوان بسيطة لكن أثرها جميل ورائع في أشكال تسرق العيون لها لجمالية الشكل ولوصول المضمون للمتلقي مباشرة .

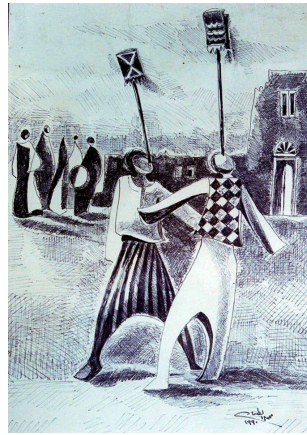
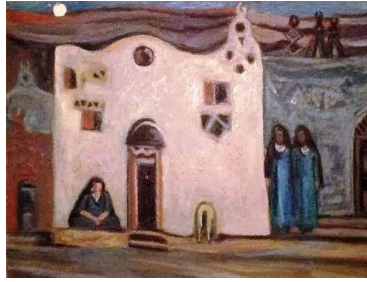
فنانة اللوحات وألوانها نكهة خاصة ومذاق تجتمع فيها قوة ألوانها رُغم انطباعيتها مع موضوعاتها الملامسة للبيئة ومختلف قضايا الناس لأنها ترسم بعين فنان ناقد لحالات المعاناة لتي تعيشها الأمة ومعاناتها انطلاقا من محيطها الضيق فالأكثر اتساعاً، والأهم عند أي فنان هو وصول رسالته لمحبي الفن ومنتذقيه ونقاده ²⁰ .

مصر:

العينة الأولى :- الفنان التشكيلي المصري محمد الطحان – القاهرة . انظر الشكل (9).



ش (8)



الفنان التشكيلي المصري / محمد الطحان – الجمالية، القاهرة – 1946.

* أولاً – السيرة الذاتية:

- بكالوريوس من المعهد العالي للفنون الجميلة (ليوناردو دافنشي) 1973.

- عضو مؤسس بنقابة التشكيليين (استشاري تصوير) .
- تقلد منصب مدير عام إدارة البيناليات والمعارض الدولية بقطاع الفنون التشكيلية .
- تقلد مدير عام المراسم وبيوت الإبداع بوزارة الثقافة (سابقاً)
- أقام العديد من المعارض الخاصة والجماعية وشارك في العديد من البيناليات والمعارض المحلية والدولية بالحركة الفنية بمصر وبالخارج منذ 1968 وحتى الآن.
- حصل على العديد من الجوائز والميداليات وشهادات التقدير المحلية والدولية وتناولت معظم الصحف والمجلات المصرية والعربية أعماله بالنقد والتحليل .
- له مقتنيات رسمية لدى وزارة الثقافة المصرية وفي أغلب البنوك والوزارات والهيئات الرسمية، ومقتنيات خاصة لدى الأفراد في مصر ومعظ.

* ثانياً - التحليل:

عند الشروع في الحديث عن أي فنان يتوجب علينا التعرف عن جملة من الخصوصيات كأبجديات هامة وخطوط لمعرفة مسارات حياته وعطائه :

(بيئته - ذكائه - تعليمه - تخصصه - ثقافته - خصوصيته الدقيقة - مدة عطائه - المرحلة الزمنية لعطائه) .

وهنا نبرر كل ما سبق ومن خلاله لتركيبية ونجاح هذا أو ذلك من عدمه والجديد عنده أو مدى إضافته للساحة من تجربته وعمقها وتأثيره وتأثره.

الفنان هو إنسان من طفولته نتبين عمق مواهبه وميوله الأدبية كانت أو الرياضية أو ميوله الفنية ونوعها، فالموهوب تحكمه عوامل بيئية تؤثر عليه فقد تدفعه للأمام وقد تكبله وتميت كل ما فيه فتقافة من حوله من الأسرة للشارع للمدرسة مهمة جدا فقد تجده يقع بين يدي معلم يكره الفن لقصوره فيه كمعلومات أو هو كشخص غير محب للفن أو أيا كانت موهبة التلميذ، وقد توجد هذه بالبيت الذي منه الطفل الموهوب فالمحيط محبط ولا تعنيه

هذه الأشياء بجهل أو من ظروف الحياة التي قد تضغط على الموهوب لتوجهه لمسار آخر فتقل فيه طموحه وقد تجد كل هذه العوامل تأخذ بيده وتدفعه للأمام.

والفنان ثقافته التي أكتسبها من تعليمه ومن البيئة هي التي تنير له طريقه وتفتح أو توسع آفاقه عبر مسيرته فلا فنان بدون ثقافة، والفن هو أحد مكونات الثقافة البصرية فهنا الثقافة الاجتماعية والدينية والوطنية وهي كلها هامة جدا عند كل متقف وفي كل فنان لان هؤلاء مؤثرين بشكل كبير وهام في مجتمعاتهم لان الفنان ببصيرته ورؤيته يرى ما لا يراه غيره.

الفنان شخص رمز واهم من كل الرموز لأنه شامل لجميعها بدون استثناء، فالفنان المتقف والمحب لربه ولفنه ووطنه وأمه هو من يقود الوعي كرسالة ومن ينير بصيرة العامة من الناس .

وفناننا العربي المصري الكبير " محمد الطحان " وكما عرفته في مطلع الألفية الثالثة وتحديدا في 2003 م مديراً عام لإدارة البيناليات والمعارض الدولية بقطاع الفنون التشكيلية، عرفته رجلا حركي دعوب وشعلة من العمل والعطاء دخل القطاع، ثم تعرفت عنه فنان يمتلي راقى وعلى خلق كبير جدا من ابتسامته تعرفه لأنه يملك روحا لفنان صانع للجمال محب لفنه وللناس في تعامل راقى حضاري مميز يجعلك تحبه.

رسم وأبدع ومن خلال رحلتنا ونحن نستنطق لوحاته نجد أنفسنا نعيش بين مزارع وأرياف الفلاحين المصريين ونعيش حياتهم ونتحدث معهم من خلال رسوماته لهم التي عبر فيها عن القرية المصرية ميرزا محبتهم وتعاونهم ومعاناتهم مع الحياة اليومية وبساطة عيشهم، يضع في تصويره من لوحة لأخرى بين حدث لواقع من حياة شعب لحدث أفتعله هو وكأننا أمام مشهد مسرحي في أحد الضواحي الريفية حيث الناس يعملون أو يرقصون أو يتزاورون ويتسامرون وغير ذلك.

نلمس اهتمامه الكبير بمباني القرية السكني والديني وبسطوح واجهاتها وبحياة الناس والزراعة، حيث لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ويهتم بها ليكون التكامل التام للحياة الشعبية البسيطة الخالية من عقد الحضارة.

العمارة الدينية أعطاه دورها المهم كشكل وقيمة واهتمام روحاني وما كساها به من تعبيرات في السطوح من الفتحات والمثلثات والأقواس ومختلف التزيينات إضافة للاحتفالات السنوية كالمولد النبوي الشريف وحفلات الأفراح وحفلات الترفيه كالمهرجين والبهلوانين وضاربي الدفوف وغيرهم حتى لم يترك شيء إلا والتفت إليه وعبر عنه.

الفنان الكبير محمد الطحان الأستاذ والمعلم وبجدارة في حرفة الفنان التشكيلي الذي يملك خبرة كبيرة من العطاء لزمّن طويل حافل بالإبداع والجوائز وما ترتب عنه من اقتناء لأعماله الفنية لصالح وزارة الثقافة المصرية وفي أغلب البنوك والوزارات والهيئات الرسمية ولدى أفراد كثيرين في مصر ومختلف دول العالم.

الفنان محمد رسم لوحاته بطرق تقنية اختلفت عن بعض ففي لوحات ترى ملامس السطوح فيها خشونة واضحة بروح ولا أجمل حيث أغدق عليها من ألوانه الكثير، وفي أخرى بشكل تسطيحي ناعم تحسسك بنعومة أبطالها من عناصر رسومه .

اهتم بإعطاء الحرف العربي دوره وقيمه الجمالية في لوحات مستقلة وبأسلوب ميزه عن غيره، وقد أعطاه مكانا في لوحاته الدينية و سطوح المساجد والزوايا الدينية الخاصة بنحفيظ القرآن وأهل الصوفية .

فنان أعطى الكثير وتجربته الفنية تشهد عليه ولا تزال وسيعطي الكثير بعون الله من مخزونه الفكري والثقافي وطيبة قلبه الحنون وعمق بصيرته لمصر ولأمته العربية وكل البشرية .

كل هذا وأنا أشعر أنني لم أتمكن من أن أوفيه ما يستحق فهو لا يزال علماً أكبر بكثير
فناننا الرمز الكبير "محمد الطحان" أطال الله في عمره وحفظه²¹.

النتائج: من خلال ما تقدم وعرض عدد ثمانية عينات بحثية من فنانين عرب توصل
الباحث في هذا البحث إلى التالي :

1- من خلال أهمية هذا البحث بات على الفنان العربي مواكبة النقد الفني التشكيلي
لمسيرة ميلاد اللوحة وحتى الانتهاء منها .

2- صار لأهمية التحليل النقدي للعمل الفني دور كبير وهام لكشف الغبار عنه لإظهار
قيمه الجمالية والتعبيرية .

3- صار لأهمية النقد للعمل الفني التشكيلي وجوب تدريسه في كليات وأكاديميات الفنون
في بلادنا العربية ككل وتشجيع طلاب الفنون على التخصص فيه حتى يقوم على الدفع
بحركة الفن التشكيلي العربي للأمام ليكون بمصاف الفنون العالمية الأخرى .

4- تأكيد أهمية النقد للكشف عن قيمة اللوحة الفنية وإبراز شخص الفنان ودفعه لتطوير
نفسه في ثقافته النظرية والعملية لزيادة نشر الوعي الجمالي ودور الفن في الحياة .

5- صار ربط العلاقة بين النقد والفن لازماً لمواكبة جدية الإنتاج للعمل الفني التشكيلي
وخلق مكونات الوعي التام بين الناس والعملية الإبداعية ككل .

6- من خلال القراءات النقدية في أعمال الفنانين التشكيليين العرب توصل الباحث إلى أن
ملامح لغة اللوحة الفنية التشكيلية العربية واحدة أو متقاربة موضوعاً وشكلاً ومضموناً
وتقنية من خلال كونها تلتقي في الانتماء لمحيط مكاني واحد وهو الوطن العربي الواحد
دين واحد ولغة واحدة وثقافة واحدة وفكر وفلسفة .

الهوامش :

- 1 – وزارة الثقافة والفنون، مجلة الثقافة والفنون، بغداد، العراق (د. ن).
- 2 – حسن حماد، النقد الفني وعلم الجمال – ظافر للطباعة، الزقازيق / مصر – 1988
- 3 – حسن حماد مرجع سابق، 1998 – ص 26
- عفيف البهنسي، النقد الفني وقراءة الصورة – دار الكتاب العربي، 1997 دمشق – ص 4، 14،
- ⁵ – حسن حماد مرجع سابق، 1998 – ص 32 .
- 6 – حسن حماد مرجع سابق، 1988 – ص 30
- 7 – حسن حماد مرجع سابق – ص 35، 36
- 8 – حسن حماد مرجع سابق – ص 66
- 9 – حسن حماد مرجع سابق – ص 135، 136 .
- 10 – حسن حماد مرجع سابق – ص 48 .
- 11 – حسن حماد مرجع سابق – 1998، ص 17.
- 12 – حسن حماد مرجع سابق، 1998 – ص 17، 18
- 13 – خليفة البرادعي / من خلال الموقع الشخصي الفيسبوك: [Khalifa Bradai](#)
- 14 – امال بن حسين / من خلال الموقع الشخصي الفيسبوك. [Amel Ben Hassine](#) –
- 15 – دليلة بن ميم / من خلال الموقع الشخصي الفيسبوك [Dalila Ben Mariem](#) –
- 16 – عفيف بهنسي، اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي (السلسلة الفنية 1) ص 94.
- 17 – محمد عزيز نظمي، القيم الجمالية، دار المعارف بالقاهرة، منطقة الإسكندرية، ص 120.
- 18 – عبد الحيم غزالي / من خلال الموقع الشخصي الفيسبوك: [Abdo Rhazali](#)

19- بوشعيب خلدوني / من خلال الموقع الشخصي Bouchaib Khaldoune _

الفيسبوك :

20- مقابلة شخصية وجه لوجه ومن خلال الموقع الشخصي الفيسبوك علي الزويك

اسماء عبد القادر أسويسي / من خلال الموقع الشخصي شمش السماء الساطعه اسويسي:

21- الفيسبوك

22 - محمد الطحان / من خلال الموقع الشخصي الفيسبوك: Mohamed El Tahan

THE DIFFICULTIES FACED BY Libyan EFL STUDENTS IN TRANSLATING ENGLISH PREPOSITIONS 'AT', 'IN' AND 'ON' INTO ARABIC

د. حسن علي محمد البكوش
كلية الآداب الزاوية - جامعة الزاوية

ملخص : الصعوبات التي تواجه طلاب اللغة الإنجليزية في ترجمة حروف الجر الإنجليزية [at, 'in' and 'on'] إلى اللغة العربية.

في هذه الدراسة تم التركيز على مادة القواعد الإنجليزية لما لها من أهمية بالغة في استخدام اللغة في حد ذاتها. تتناول هذه الدراسة الصعوبات التي تواجه طلاب اللغة الإنجليزية في استخدام وترجمة حروف الجر الإنجليزية إلى العربية وبالعكس. حيث تم توزيعه على عدد 20 طالب وطالبة من السنة الثالثة قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة الزاوية، تم التركيز على مادة ترجمة القواعد الإنجليزية وخاصة حروف الجر في هذه الدراسة لما لها من أهمية بالغة في استخدام اللغة في حد ذاتها. هذه الدراسة تفحص الحالة الحالية فيما يتعلق بتدريس هذه المادة والتي من بينها الصعوبات التي تواجه الطلاب في تعلم فنون الترجمة بصفة عامة وترجمة قواعد اللغة الإنجليزية بصفة خاصة. هذه الصعوبات لها علاقة بالبناء والوظيفة اللغوية لحروف الجر وترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وبالعكس، طبقاً لمعنى السياق بالشكل الصحيح. الطريقة البحثية التي استخدمت في جمع البيانات كانت الاستبيان، أكدت النتائج بان اغلب الطلاب لديهم مشاكل وصعوبات في ترجمة حروف الجر من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وذلك لعدة عوامل واسباب قد تم تناولها والتركيز عليها في هذه الدراسة. كذلك فقد اوضحت هذه الدراسة بان اغلب الطلاب يتبعون الترجمة الحرفية اثناء عملية الترجمة، أي انهم يستعملون لغتهم الأم أي اللغة العربية بشكل مطلق في الترجمة مما يجعلهم يقعون في اخطاء فادحة تخل بمعنى السياق للغة المصدر.

Abstract:

English grammar was a concern for investigation in this study because grammar is what makes communication possible. This study examines difficulties that Libyan university students face in learning principles of translation and the translation of prepositions in particular. These difficulties are the structure and function of the English prepositions. In addition, translating them from English into Arabic and vice versa according to the context precisely. The method that was used in data collection is a questionnaire. The questionnaire is given to 20 males and females students of third year department of English faculty of arts at Zawia university. Findings concluded that some of students have problems and difficulties in translating English prepositions into Arabic, therefore, several factors and reasons have been discussed in this study. Moreover, this study concluded that the majority of students used to follow absolute literal translation. In other words, they use their mother tongue in the translation. Thus, they commit mistakes that affect on the meaning of the source text.

Background: Prepositions pose major problems when translated from English into Arabic. The accurate meaning between English – Arabic prepositions is sometimes very difficult to determine by Arab learners.

Aims: This study aims to identify the difficulties of translating English prepositions 'at', 'in' and 'on' which Libyan EFL students may face when translating them into Arabic. It is also to determine which sexes (males or females) can translate these three prepositions better.

The Sample: Twenty (20) Libyan EFL students (10 male, 10 female) were tested to translate twenty (20) sentences and phrases on English prepositions (at, in and on) into Arabic.

Conclusion: Findings revealed that Libyan EFL students face difficulties when transferring simple prepositions from English into Arabic. Significant differences related to the performances of both male and female students where females scored higher marks than those scored by males.

Introduction:

Few studies have explored differences in using English prepositions out of their English contexts (Al-Adam,2011; Charlop, et al, 2012). Most studies have used models with both genders, models mainly consisting of men, or models with fewer females (Guan, 2011; Kulj, et al, 2011; Chang-ling,2012). Using of prepositions, linguistically speaking, has always been apart of human communication as it helps promote self-presentation. Although speakers of both sexes are equally disposed to commit mistakes in matters concerning translating prepositions, their performance may be different based on how and why this or that preposition is used.

Looking at it a lexical viewpoint, translating prepositions from English into Arabic is one of the most difficult tasks for Libyan English as foreign language (EFL) students. When fully investigating this grammatical phenomenon, it is found that the main problem remains not only in recognizing the equivalent preposition, but also in understanding its use and usage in Arabic. Linguistically speaking, there are some differences in the points of views linguists look at prepositions. In the dictionary, a preposition is defined as "a word that is used before a noun, pronoun or gerund to show that word's connection with another word, as 'of' in 'a house made of wood', and 'by' in 'we open it by breaking the lock'. (Longman, 1995). According to Wishon and Burk, (1980, p.285), "prepositions are always followed by nouns or pronouns". They are, add, "connective words that show the relationship between the nouns following them and one of the basic sentences elements: subject, verb, object or complement".

In the definition of Webster's New English Dictionary (1976, p. 395), a preposition is "a word or expression that combines with a noun or pronoun to form a phrase". A preposition is a part of speech that introduces a prepositional phrase. For example, in the sentence "the manager is sitting in the office", the word 'in' here is, a preposition, introducing the prepositional phrase, 'in the office'. Studies show that in English, the most used prepositions are: of, to, in, for, with, and on. Compared with English, the most frequent preposition in Arabic is 'fi'

(in) (Iatcu, 2011). In that sense, it can be said prepositions function as 'linkers' not only between parts of a sentence but also all information that are mentioned in it. They are not restricted to meaning expressed by nouns; rather, they extend to include those expressed by adjectives and adverbs (e.g. wh-questions; who, why, how, when, where, etc.). Linguistically, a preposition is a grammatical phenomenon whose characteristics could involve syntactic, semantic and applied linguistic variance from different standers. Several evidences support the hypothesis of structural and functional culture reorganization in the speakers, with a different impact for male to female and female to male subjects. Linda White investigated this linguistic issue. According (White, 2012: p.2) "there are important linguistic considerations, complicated by historical and political developments". Few studies have explored differences in using English prepositions. (Hansard, 2012), for example, divided them into two kinds based on their uses in the sentences. According to her, preposition can be used for both location and prepositions of direction. The two kinds may be either positive or negative. Prepositions of location appear with verbs , describing states or conditions, especially be; prepositions of direction appear with verbs of motion. (Hansard, 2012 : p, 1).

As a matter of fact, a preposition has always been a part of human communications it helps to promote self-presentation. Although both men and women are equally disposed to commit mistakes when translating them, these mistakes may vary from one type of gender to know to another. It is for this reason that some researchers attempted to define the preposition to know to what extent it can help understanding human communication. (Brown, 2003) concluded that a preposition is a 'connector', and states "its function is to connect a noun or pronoun (called the object of preposition) to another word in a sentence. It also shows how that noun or pronoun (its object) is related to the other word. Consequently, a preposition can never stand alone: it must always be within a phrase (a group of words) called a prepositional phrase. Most often, prepositions show

relationships of direction, location and time, but they can also express other relationships as well (for example, the prepositions: but, except, without, etc, show a relationship of exclusion".

Prepositional effects are strong in our daily life, especially when we translate the preposition and/or the prepositional phrase from a target language into a source (mother tongue). Functional reorganization of neural and biological activity and facial expressions may contribute to limit our misunderstanding, and possible differences in this process may have important grammatical and syntactic implications. To that end, Bennet (1975) examined the features that are often required of prepositions. Some of these requirements are as follows:

1. A preposition combines syntactically with exactly one complement phrase, most often a noun phrase. In English, this is generally a noun called the object of preposition, together with attendant modifiers.
2. A preposition establishes the grammatical relationship that links its complement phrase to another word or phrase in the context. In English, it also establishes a semantic relationship, which may be spatial (in, on, under, etc), temporal (after, during, etc), or logical (via, ...) in nature.
3. A preposition determines certain grammatical properties of its complement (e.g. its case). In English, the objects of prepositions are always in the objective case. Prepositions are non-inflecting (or invariant); i.e., they do not have paradigms of forms (for different tenses, cases, genders, etc,) in the same way as verbs, objectives, and nouns in the same language. There are exceptions, though, for example in Celtic language (see inflected preposition)". (Bennet, 1975: p,3,4)

Some researchers investigated differences in using electronic translation machines to translate contexts from a source language into a target language and vice versa. Most of these researches have used models with both genders, models mainly consisting of men, or models with few females. Two electronic dictionaries could be recommended for an accurate and correct translation. Mainly, these

machines are: Sakhr and Systran. What distinguishes these electronic translators from natural translators is, according to the researchers, their ability to avoid committing mistakes that are frequently made by human being. One of the reasons why the translation of these two translating machines is that their translation goes through some steps what the researcher called "translating process". Abdulhay, (2012). These include: Decoding the meaning of the source text and re-encoding this meaning in the target language and the transferred meaning along with the semantics is the most significant point of focus. Some researchers looked at the issue from another angle. They believe that the reason why human being, notably EFL students make mistakes is not because of their inability to translate the prepositions themselves, but to understand the various uses of these prepositions. Alexander (1988, p.144) for example listed some four relationships expressed by prepositions. These are as follows:

-Space: We ran across the field.

-Time: The plane landed at 4.25 precisely.

-Cause: Travel is cheap for us because of the strength of the dollar.

-Means: You unlock the door by the key to the right.

Recently, there has been growing interest in understanding the prepositions to decode information from high-dimensional data. Some studies employed a support of prepositional differences. Chodorow, et al., (2012) conducted many studies on such phenomenon using similar approaches. The researchers concluded to recommend the following means (methods) to be used by new researchers in the field in the future. According to Chodorow, et al., (2012) understanding this linguistic phenomenon requires using more training data, combining classifiers and using semantic information. Similar to this study, Maalej, (2010) diagnosed the phenomenon and suggest some solutions. According to Maalej, the difficulties come from the different nature of Arabic and English. Secondly, teachers are not drilling prepositions properly. Moreover, an Arabic preposition is equivalent to more than one English preposition. In addition, interference from the native language is

another difficulty because of its relationship with the problem of literal translation into English. Having the phenomenon diagnosed, the researchers suggested the following as crucial solutions which he called "remedial level": Prepositions should be introduced gradually based on the targeted level of learners. Furthermore, Arab EFL students need to be taught prepositions with their collocations.

Aims of the Study:

Prepositions are words in both English and Arabic. Nevertheless, large numbers of Libyan EFL students, namely university students have a lot of problems concerning how and when one can translate these prepositions correctly due to some prepositions in English have equivalents in Arabic and others do not have this feature. The current research aims to explore the difficulties that Libyan EFL students face during the process of translating the English prepositions at, in and on into Arabic. More specifically, it attempts to find answers for the following two major questions:

1-How do Libyan EFL students translate time prepositions at, in and on into Arabic? Is there any similarity / dissimilarity between these English prepositions and their equivalents in Arabic? What are the difficulties Libyan EFL students face when they translate these English prepositions into their mother tongue.

2.How are place prepositions at, in and on translated into Arabic? Compared with the time prepositions, which kind is more difficult to be translated? Does the local dialect of the participants in question play a role?

Limitation of the Study:

This study is limited to the English prepositions at, in and on. The study focused on investigating the use of these prepositions not only as time issue but also as place subjects according to the significance they occupy in the Arabic context wherein they are translated.

Methodology:

Twenty (20) students of both sexes (10 males and 10 females) study at the department of English, faculty of arts, Zawia University were used in this study as models. They were given a test (in terms of

questionnaire) on translating English time and place prepositions at, in and on conducted to them by the researcher. In the test, participants were asked to translate 20 sentences and phrases (10 sentences and 10 phrases about time prepositions and 10 sentences and phrases about place prepositions) that contain the target prepositions (at, in and on). In clearer terms, in each part, the participant was asked to translate 10 sentences and phrases where prepositions at, in and on are used. Strictly, the purpose of giving such sentences and phrases was to test Libyan EFL students' ability to translate these prepositions into Arabic. Having the participants' answers collected and prepared, they were then qualitatively and statistically analyzed.

Analysis:

As mentioned earlier, the test posed in the questionnaire aimed to disclose the different aspects of the problem and how students commit mistakes due to the confusion of translating some English prepositions. The test contained 20 sentences and phrases, and students were supposed to translate these sentences and phrases, namely the prepositions with suitable Arabic prepositions to give the right meaning of the text. In view of the fact that, the researcher selected the test items properly taking into consideration both time and place cases.

Libyan EFL students and translation of English time prepositions at, in and on:

As for Libyan EFL students' responses, it is found that these students committed many errors in translating the target prepositions that have been used for time. Clearly, some these Libyan EFL students were hesitated in writing their answers because of the fact that they were not sure of the appropriate Arabic preposition that should be used. In addition, there were some Arabic orthographic errors which have been made by the Libyan EFL students which makes it worse because any change in any Arabic preposition means different word, therefore, different usage.

The main problem for these students lies in the fact that they are not familiar with the usages of the prepositions in both languages (English and Arabic). Certainly, prepositions in Arabic are syntactically different from those in. The use of a preposition may be also different in the one language taking into account the semantic and grammatical factors time and place uses. Nor must we forget here the sociolinguistic factors whereby some prepositions are partially or completely deleted in some dialects (AlYoari et al., 2012). Taken together, these factors confuse Libyan EFL students, notably those who lack knowledge of the same factors in the target language.

-Compare:

1. I'm a doctor and I work at Tripoli Central Hospital.
2. Birds are flying above us.
3. He was waiting for you at the gate of the college.
4. Simahum fi wujuhihim (their mark) is on their faces.
5. Marhaba 'Ala al ain wal Ras' (great welcome to you).
6. Ohjumu Alayhum, (attack them).

The above six sentences and phrases are selected from English (first three sentences) and Arabic (last three sentences). In the first sentences, the preposition 'at' is used when talking about the occupation. Notice here that the translation of this preposition in Arabic will definitely be in. In fact, understanding of the translation of such English preposition will be the same as that of the Arabic. In clearer terms, the English speaker will understand that what is meant by the preposition 'at' here in this sentence is the meaning of the preposition 'in'. The difference here will be in the written word which is written in Arabic as 'in' while in English is written as 'at'. In the second example, 'at' is used to indicate a specific place. Also, it can be used to indicate a removable place. The translation of this English preposition will be, again, the same as the former case of sentence '2'. In other words, this preposition will be orthographically translated in Arabic as 'in' regardless the English equivalent of the Arabic preposition 'fi' (in). The third sentence cannot be understood without fully understanding of the differences in the uses of the

English words 'on, top, tip, peak, over and above. Simply, each of the above mentioned words has its own uses that can better be understood in light of a comparison between the words and other synonyms from the same language and other languages as well. What makes the problem of translating this sentence into Arabic worse is that in Arabic they only mean two things, that are the preposition 'fawq' (above), and 'ala' (on). Regardless the differences between the English prepositions over and above, the preposition 'fawq' here is the only equivalent of these two prepositions in this sentence.

Likewise, in sentences 4-6, the English translation of these sentences is not sufficiently enough to cover the meanings of the three Arabic sentences. For example, in the first sentence, the Arabic used is 'fi' while the English translation is 'on' which was supposed to be 'in' to meet the Arabic text. However, the meaning of the Arabic translated preposition is 'on' in both English and Arabic, but such issue needs a comprehensive understanding of the meaning of the Arabic prepositions and their English equivalents along with all related factors linked with them. The second sentence is another relative issue in Arabic where it is used to indicate a semantic and pragmatic meaning that lies behind the conventional 'Ala al Ayn wal Ras' means on the eye and the head, but what is meant by this idiomatic expression is a great welcome to valued guests. This reminds of the phrasal verbs, prepositional phrases, allocations and collocations and idioms in English. Using preposition 'to' after verbs like 'able' (e.g., She is able to do that.) and adjectives like dangerous (e.g., It is dangerous to your health.) to mean 'on' in both English and Arabic languages for example is a controversial issue that pose many questions among specialists from two languages like how and why the oral translation of the preposition is different from the written word, and what will happen to the meaning of the sentence if the preposition is changed into 'on'. Omission of some prepositions from the oral translated text while the fact is that they are exist in the written sentence and/or phrase is another problem that faces new

translators who tend to translate what they see, not what they understand. This can be clearly seen in the third sentence where the Arabic preposition 'ala' is mentioned in the written text, but not in the translated version of English, although it is understood when translating the text. Such issues need to be understood by Libyan EFL students. The following tables illustrate students' answers. Consider:

Table 1. below shows that Students' responses to time prepositions at, in and on:

ss. No.	The test items of time	Correct Translation		Incorrect Translation		No Translation	
		males	females	males	females	males	females
1.	She is going home at nine o'clock.	3	4	6	4	2	1
2.	The journey will finish on Monday.	2	3	7	7	1	—
3.	He will be there in ten minutes.	1	2	12	4	1	--
4.	I learnt to drive in four weeks.	6	7	2	3	2	—
5.	We will meet you at the weekend.	2	2	8	6	1	1
6.	The course ended on May 7, 2014.	8	8	2	1	1	—
7.	We met 3 times in the last year.	4	5	7	3	1	--
8.	I made an appointment with him at night	8	6	3	2	1	--
9.	She said that she won't be back at noon.	5	9	3	2	1	—
10.	My aunt will visit us in three months.	7	8	2	1	1	1
	Total	51	48	47	33	12	3
	General Means	5.1	4.8	4.7	3.3	1.2	0.3

As can be seen in table 1, the students performance in translating English time prepositions was below the average. In fact their answers as senior students were unexpected. The researcher believe that it may accounted for because of the fact that what preposition Arab student can translate well is the Arabic preposition 'fi' where

they believe it to be the equivalent of any English preposition. However, this true about certain sentences wherein this Arabic preposition becomes the appropriate preposition as in sentence 6 where 16 students translated it correctly. Again, this 'correctness' in the students' answers was not because of their knowledge of translating this preposition precisely; rather it is because of that it is what they (will) always translate. The same thing applies to other English prepositions where students could not translate (sentences 1, 2, 3, and 7). In comparison to other sentences, students performance 4, 6, 8 and 10 was the best (nearly full marks). This can be clearly seen when looking at the students' incorrect answers in other sentences of the test. Some items were unanswered this is due to that Libyan EFL students find them difficult. Therefore, they left them until they finish everything where they think they will have enough time to translate them. Compared with the males' performance, females' performance was better. This can clearly seen through the general mean of tests.

Libyan EFL students and translation of English time prepositions at, in and on .

Generally, students' performance in place prepositions at, in and on is not so different from that of their performance in time prepositions. It is simply because he who does not fully understand the use of the prepositions will normally face some difficulties in the use of both time and place prepositions. However, the students' performance in the test of place prepositions as is illustrated in table 2 below.

Table 2. below shows that Libyan EFL students' performance at place prepositions at, in and on:

Ss. No.	The test items of place	Correct Translation		Incorrect Translation		No Translation	
		Males	Females	Males	Females	Males	Females
1.	I arrived at the hotel.	7	9	2	1	1	--

2.	He is standing at the door.	6	10	2	1	1	_
3.	We were at home all weekend.	5	10	3	1	--	1
4.	Two players are on the soccer field.	6	8	2	3	1	--
5.	There is a new roof on the house.	5	9	3	2	1	--
6.	Write it down on a piece of paper.	7	11	1	1	--	--
7.	The box is in the ring.	7	8	3	1	1	--
8.	I read about it in the newspaper.	7	7	2	2	1	1
9.	The doctor works at a privet clinic.	5	7	2	3	2	1
10.	She lives in Tripoli.	5	12	--	--	3	--
	Total	60	91	30	15	11	3
	General mean	6.0	9.1	3.0	1.5	1.1	0.3

In Comparison to students' performance in table 1, wherein the majority of them scored low marks as they could not translate most of the sentences correctly, in table 2, the majority of them translated the sentences correctly. This can be clearly seen in the number of incorrect sentences where we find the students, mistakes in time prepositions are more than those of place prepositions. Taking into consideration the distinctive features of the Arab prepositions that Libyan EFL students ignore, it is not surprised that they could not translate sentence 4 properly.

Statistically, the students' performance at translating English place prepositions into Arabic (both males and females) overpasses their performance in translating English time prepositions into Arabic (General Means=5.1, 4.8 vs 3.0 and 1.5 respectively). In fact, even when looking at the performance of those who could not translate very well, one can easily identify that their performance in time prepositions is worse than that of place prepositions (general Means= 6'0, 9.1 vs 3.0 and 2.5 accordingly). Zero scores refer to the fact that students could not find an Arabic translation due to the lack of knowledge in Arabic prepositions and their multiple uses. Significant high versus low scores among participants condition effects were observed in students, responses of both sexes, despite

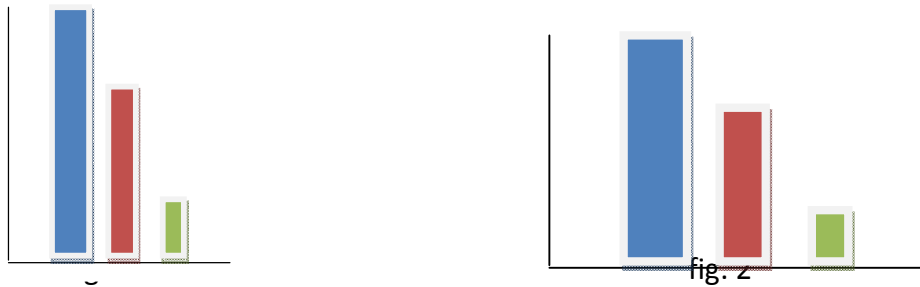
similar performance on some of the sentences being translated in both time and place tasks. In most clusters with significant interactions, the low scores demonstrated relatively less, whereas the high scores demonstrated more.

Conclusions:

There is not consensus in global and domain-specific self esteem or even in the incidence of some definitions related to prepositions. Linguists worldwide agree upon the fact that there are flight differences in the performances underlying one's own self-esteem. In this study, the researcher investigated these differences in the performances of the Libyan EFL students while subjects (20 students of both sexes) performed an implicit self-esteem tasks using a questionnaire. While student's high performance was significantly observed in translating English place prepositions, this ability was not activated in the English time prepositions in the inconvenient condition (self = negative) compared with the convenient condition (self = positive). Additionally, scores on the explicit self-esteem test were negatively correlated with time prepositions and positively correlated with place prepositions. Furthermore, the functional relationships among the students' responses found by direct translation to the given text were discussed based on the Arab model of translating the sentences of the test. These showed that, compared to time prepositions, English place prepositions more firmly store even the inconvenient associations as part of their schematic self-knowledge, and such associations automatically activate the Arab lore for linguistic responses and control, in which knowledge of both languages (source and target languages i.e. Arabic and English) plays a central role. Findings also showed significant differences in the abilities of the students in translating English prepositional sentences into Arabic during any experimental phases. However, during test conditioning, there were significantly greater changes in the performance of the students, nearly in place prepositions compared with time prepositions.

These results indicate performance differences among participants despite similar peripheral automatic responses. Such differences can be clearly seen in light of tables 1 and 2, it can be seen in the two tables, percentages vary from one item into another. Compared with correct translated sentences, incorrect translated answers registered high percentages in time prepositions, notably with males (table 1). For better illustration, one can compare the outcomes of the tests (time and place) in light of the following four comparative figures.

Figures 1 and 2 show that Libyan EFL students' performance in translating time prepositions at, in and on: Comparison between correct, incorrect and zero translation of both males and females.



Figures 3 and 4 show that Libyan EFL students' performance in translating place prepositions at, in and on: Comparison between correct, incorrect and zero translation of both males and females.



Based on the outputs of the figures above, it can be said that Libyan EFL female students are better than male students in translating the prepositions at, in and on. Generally, Libyan EFL students sometimes

tend to use their own language to express or compensate the preposition they want translate from their own language or to other language(s). This why sometimes they leave the text without translation (zero translation). They tend (unconsciously) to leave it until the end of the time, thinking that somehow they will know the best translation since they do not have the right words to be used here. Such phenomenon is due to lack of prepositions' patterns and sentences and the result is what can be seen when these Libyan EFL students express themselves orally or in writing. The researcher believes that one of the causes is the influence of mother tongue (L1). Libyan EFL students cannot separate the two grammatical systems of both Arabic and English. They mixed them together the moment they start to translate. Needless to repeat here the lack of knowledge of use of every single preposition in both source and target languages (Arabic and English) affects the overall performance of the participants.

Libyan EFL students of both sexes cannot distinguish English preposition 'on' for example from its equivalents in the same language 'into', 'inside' and 'at'. Actually, they cannot even differentiate between sentences like 'look at my eyes'. They cannot tell how and why the preposition 'at' is used in the former while the preposition 'in' is used in the later or what if we reverse the two prepositions in the sentences. The same thing applies to sentences like 'he came in time', and 'He came on time'. Such controversial issues need to be fully explained and discussed in details. The Arab grammarians, instructors, school teachers, university professors, and other experts in particular sectors in the field. Clearly the misunderstanding of some words used in the test caused Libyan EFL students to commit errors. In spite of the fact that both Arabic and English prepositions have some distinctive features in common, they differ in both number and usage. Nor must we forget to mention here that whereas Arabic has over 40 prepositions, English has less than 30 (Bennett, 2008) and this is another problem.

Semantic effects on the prepositions play another principal role on both Arabic and English prepositions. He who understands the semantic characteristics and the colloquial varieties can understand the differences between Arabic and English prepositions. It is integrated with many factors including the abstract, phonological, morphological and metaphorical usages. While some accents allow some degrees of errors, other do not. Such misunderstanding or missing of all these factors cause what is known as the systematic of errors be it in the use or of prepositions.

Recommendations:

Libyan universities are recommended to establish, new programs that help Libyan EFL students become creative and professional translators. One of these programs should enhance them and strengthen their ability in translation. They are recommended to send their students, notably senior students study at colleges of translation abroad to improve the language he/she studies at home university. It is in this way only that one can create professional translators who have already practiced the language they study with its native speakers.

Departments of foreign languages are also recommended to provide their students with all materials that guarantee the best knowledge for their students.

Universities' libraries should provide all foreign languages' literature to their readers and visitors. Programs including seminars, visiting a western institution (e.g. cultural councils, embassies, etc.) are also recommended to like Libyan EFL students with the western culture.

Universities should send their students to study in foreign centers that belong to the western embassies regularly. There must be a continuous follow-up and a comprehensive evaluation for the students' performance in these centers.

Libyan EFL students, namely senior students are also advised to try all means that may help to improve their translation like translating long sentences, and/or paragraphs about themselves. Alternatively, they can translate stories from and into their language. Libyan EFL

students should translate any passage they read and in case they find some difficulties they can ask their professors to help them and revise what they have translated. They can also visit Arabic language department to meet the professors and get benefit from them, especially when the problem is related to Arabic syntax. Libyan EFL students can also watch western channels including News Channels like CNN, BBC, etc, and then translate what they have already watched. They can also recommended to listen to the radio cassettes and then translate what they have just listened to. EFL students at Libyan university are also advised to read both Arabic and English literature including poems, novels, fictions, plays, and stories. They have to try their best to parse the sentence they read as this will definitely help them identify how and why this preposition is translated in this /way.

References:

- Al-Adam, H. (2011), Comprehension and Production of Prepositions' by Palestinian Speaking Bruca's A Phasesic, *Journal of the India Institute of Speech and Hearing*, 30125-129.
- Alexander, L. G. (1988), Longman English Grammar, Oxford, Oxford University Press.
- Bennett, C. D. (1975). *Spatial and Temporal Uses of English Prepositions: An Essay in Stratification Semantics*. London : Longman.
- Bennett, C. D., (2008), English Prepositions: A Stratification Approach, *Journal of Linguistics*, Volume 4, p. 153-172
- Brown, B. (2003), Prepositions, *Academic Center and the University of Houston – Victoria*, p. 570.
- Chodorow, M., Tetreaoalt, J. R., and Han, N. R. (2012), *Dictionary of Grammatical Errors Involving Prepositions. TESOL Journal. P. 1-4.*
- Charlop, H. M., Miltenberger, A. C.,& Bandar Miranda,B.,[2012], *Teaching Children with intellectual challenges to learn prepositions : Using a treatment package of computer based photographs . [8]*
- Hansard, M. (2012 Jan.), Prepositions of Location: at, in, on. *Purdue University Online Writing Lab*, p. 1-8.
- Iatcu, T. (2011). On English Prepositions. *Studia Universitatis Petru Major – Philologia. P. 175.*
- Maalej, Z. [Jul], *Spatial Scenes in Arabic & English KUS Journal*, pp. 3-9.
- Wishon, G. & Bruks, J. [1980], *Let's Write English*, New York, American Book Company.
- White, L., & Mc Clanahan, T. [1998], *Translating the Culture*, University of Nevada-Reno.